٢١٨ شرح الحكم العطائية، تأليف ابن عباد، محمد بن
ش. ع ابراهيم - ٧٩٢هـ. كتب في القرن الثالث
عشر الهجري تقديراً.
٢٧٠ ق ١٨ س ١٨×١٤ سم
نسخة حسنة، خطها مغربي، طبع.
٤٧٨٧ كشف الظنون ١ : ٦٧٥، دار الكتب
المصرية ١ : ٣٣٤
١- الشمائل والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ جـ- غيث المواهب
العلية على الحكم العطائية.

Copyright © King Saud University

Copyright © King Saud University

٤٧٨٧

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"

الرقم: ٤٧٨٧ ف ٩٤١/٤

العنوان: شرح الحكم العطائية

المؤلف: ابن عباد، محمد بن ابراهيم

تاريخ النسخ: الثالث عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ٢٧٠ ق ١٤×٢٨ سم

ملاحظات:

Copyright © King Saud University

دوجع ولد بن عمر احمد
عشر مثقل دوجع ولد
عصوط نتسعت مثقل
مد بنف عند ولد احمد
ثلثت مثقل سوكر شا
مر بنف عند المعلم اربعة
مثقل بنف عند حمعا
ربع ازبن دوجع عمر عشرت
احور بنف عند الشيا نصو
اربل عند الحاج النحمد ثلثة
ربلاو ابجد ثلثت اربعة احد
عند الصدف ستنة اربع
مثقل

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله المتفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستغراق
نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والأمثال
عن سمات الحدوث والتغير والانتقال المقدس
عن الحلول والاشتغال والاتصال والانفصال
علام الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة على نبيه محمد
الهادي من الضلال وعلى آله وصحبه الذين خلصت لهم الأعمال
وصفت منهم الأحوال وعلى جميع المتعلقين بهم الكاملين ومحاسن
الصفات ومحاسن الخلال وسلم تسليما. أما بعد
فإن كتاب الحكم المنسوب إلى الشيخ الإمام المحقق
العارف المكاشف الولي أبي الفضل تاج الدين أحمد بن محمد
ابن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري رضي الله عنه ونفعنا
به من أفضل ما صنف في علوم التوحيد وأجل ما اعتمد بالتفهم
لتعلم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم وعظيم
العلم ذا عبارات رائقة ومعان مستحسنة رائعة قصد بها إلى إظهار
كمالات العارفين والموحدين وبعض معاني العارفين وكذا الكشف
للمعتنين من أسرار البلاغ وما قرره لنا على استعمال

Copyright © King Saud University

وتفهيم الكتاب وما تضمنه من اللباب في
كلام الاولياء والعلماء المشتمل على اسرار مصونة وجواهر
مكنونة ولا تبين حقائقها الا بالتلقي عنهم وتخرج معاني
الكلمات التي نعتمد عليها في تيسير شرح كلام المؤلف ولا ان
[illegible] حقيقة من هيبته حسبما يفعله كل مصنف وان اذا
عنا ذلك كان منا اساءة ادب يقول بنا والعياذ بالله تعالى ه
[illegible] وكنا قد تعرضنا للخوض والفرق في تعاطي ما لا يليق
بنا شرح كلام السادات [illegible] اهل الله تعالى من غير ذوق ولا [illegible]
[illegible] وذلك على حسب ما وهبناه من كلامهم وما اتضح
لنا [illegible] منهم من اصطلاحهم [illegible] وعرفنا فيه حقيقة الامر [illegible]
[illegible] كان ذلك من الشعر التي لا يحصى لها شكل او لا تعرف
لها [illegible] او ان [illegible] ولكن اولى [illegible] تلك المسائل [illegible]
على نقصنا وجهلنا والتقاعد التقصير بقولنا ان نقرر
ان كلام المؤلف رحمه الله مشتمل [illegible] تشعر كلامه
بصيغة الغنى والدعوى [illegible] بعبارة [illegible] من
عبارته والاشارة [illegible] الاشارة ليفهم من ذلك ما [illegible]
في تعبيره [illegible] لانه تعبير حقيقة فقره ونذكر
في اثناء [illegible] كثيرا مما [illegible] في الكلام المثنية عليه
[illegible] ذلك القارئ في الفهم المتوجه اليه وما [illegible]

قفهم
وحبا
استقامة
مراد
ناسبه
بعلمي
وشعا
لايق

في كلامه من تكرار معانيه
التنبيه عليه في كل العرض وتداخل في وجه و
الناشئة لهذا المجموع واحلنا بعضه على بعض
كرع المؤلف بصنيع ان يتبع فيه ما رسمناه و
او يكتبه بغلطه مخالف لو تبدلون ما يكتب به
كل واحد منهم حقه لتكون ... الغلط في
المراد في الاستخراج وبركة ذلك افهم الى من وبوجه
واراد غيره واخص الاخص في تيب الكلام والى عصو
تصنيفه وجمعه بعد تفرع ... والى ... والسر المو
ونفرق في ان ليس للعصر منه ... اراده الله تعالى الى ان
وابقاه من الخطاب العصمة ... ثم الراي
المعرفة الصالح بعض الاصحاب في ذلك ... صدر من
اعتقاد ... على ... عن
الحقيقة واستحقاقهم لما ... ومحبة ... الا
حيث ... نحا الله ... وصفت لهم الاعمال
الله وحكم وفضل بما علينا ونختم وتعفو
الله واياهم بما ... على ... ولا جعله ... عليه ولا عليه

ونحن نستغفر الله تعالى مما انطوت عليه ضمائرنا من الامر العظيم
التمسنا امن الخلق الجسيم ونستعيذ به من الوقوع في حبائل
العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقفنا على جادة الاستقامة
ويحمي فناء العمل بما يعقب ملامة وندامة ونرجوه مع مزالة
مع تحلينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم
والتعلق باذيالهم ومحاولة التشبه على منوالهم عز رضانا شيئا من
تعظيمهم وحبهم ونفعنا من تكريمهم وبرهم دار الاجر منا من سعا
عنهم ولا يحرمنا بركته ولا يبتهم ولا يبعدنا عن بابهم الكريم ولا يقصي

فناء منه حجبهم الفريح ... العفو ما يبتغا جليسهم
في سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم وانهم احبوك وما احبوك حتى
احببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك
الا بعطا منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك بارح الى ... وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين
وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم كثيرا تسليما وهذا حين
ابتدي وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق قال المؤلف رضي الله عنه
من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء

عند وجود الزلل افتر الا اعتمادا على الله تعالى العار
حين وجود الاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كما اذا ما كان دم
الغير حتى على علومهم واعمالهم واحوالهم اما العارفون الموحدون فانهم
على بساط الغيب والمشاهدة لا ينظرون الا ربهم فاينوا عن انفسهم فاذا
وقعوا في زلة او اصابتهم غفلة شهدوا تقريب الحق تعالى لهم وجريان قضائه
عليهم كما انهم اذا صدرت منهم طاعة او لاح عليهم لائح من يقظة
لم يشهدوا في ذلك انفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان العائق
الى قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان اقداره وقلوبهم
ساكنة بما لاح لها من انواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقوا في بحر
التوحيد فقد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه
من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما ياتون به من الاحسان قال الشارح الحا
لان العارفين فانون بالله فقد تولى الله امرهم فاذا انتهت منهم طاعة
لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها واذا ظهرت منهم
زلة فالحجة على الفاعل لم يشاهدوا واغيبوا في الشهود والى خلاف فيامهم بالله
تعالى وتلى هم الذين ينقص خوفهم ورجاؤهم الامر في التنهي واما
غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها
عليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا على احوالهم فاذا وقعوا في زلة
نقص بذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة فعلوها عظم عددهم

واقوى

واقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بها عن رؤية مسبب
الارباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا
يتعد طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين اتباعهم من علامة
اصحاب اليمين وسياتي اشارات الى هذا المعنى في مواضع من كلام
المؤلف وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم
الاصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض
الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من علمك الا ان تتوب فقلت
مجيبا له ان التوبة تطرق بابي ما اذنت للخلق ان انجو بعامر
ولو ان الصدق والاخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا مني فيهما
لاني ان كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم اتخلف باقتراف
الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي
واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي
اليه وهداني لمعرفته التي لا تفاه لنفسه فقال ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله و
كرمه اولى بي وان كنت حرا عاقلا من اعتمادي على افعالي المدخولة
وصفاتي المعلولة لان مقابلة فضله بافعالنا من قلة المعرفة بالكريم
المتفضل قلت وتعد هذه الحكاية وامثالها مما تقرع اسماع من
لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقد او يسلمه

ومن عيوب مقامات النفس وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها الى ضرر وخطر
فليتق الله تعالى عبد ليس له بصيرة في هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه ويقع
في الاعتراض على السادات الاولياء وفي ذلك تبعده من الله تعالى او يدعي
مقامات النفوس من غير ان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار
الذي نبهنا عليه ومحال وجود ذلك ممن لم يصح مقام الفناء عن النفس بعد
فيكون حينئذ ممن خالف الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه
على لهوه وجهله وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله. **إرادتك**

التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية

الاسباب هاهنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا
والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه
الله في الاسباب واراد هو الخروج منها بذلك من الشهوة
الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به
وارادته هو فلاجل ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ
عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي أعلى
بزعمه ولكن فاته الادب لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه
فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة

اقامته اياه في الاسباب ان يدوم له ذلك ويحصل له فيه ثمرته
وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في دينه وقطع
الطمع عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة فقير وما في معنى
ذلك من توابع المال المتعلق بالدين ومن اقامه الحق في التجريد
واراد الخروج منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء ادبه
وسبب وافقها مع شهوته الجلية لا الخفية والتجريد مقام رفيع اقام الحق
تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين ومن علامة اقامة الحق
تعالى في مقام الحال فلم يتحول عن نسبتهم الى منازل الانتفاع وقال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يانف من مشاركة الاضداد في الا
سباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذ
كرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك صفاء وقت المتجرد
وجمع قلبه ووجدان راحته من ملامسة الخلق ومخالطتهم والهمة
العالية القلب هي قوة ارادته وغلبة انبعاثه الى نيل مقصودها وتكون
علية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر

وقائلة لم علتك الهموم … وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي … فان الهموم بقدر الهمم

وقال آخر

إذا عطشتك اكف اللئام … كفتك القناعة شبعا وريا

يكون حينا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

وما ذكرته من بعيان الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد تعويل [illegible] وهذه
[illegible] هذا من علامة اقامة لك في الشيء ادامته اياك فيه مع
حصول النتايج والله اعلم وقد ذكر في التنوير لهاذه المسئلة ننصها
[illegible] عن هذا الكتاب وقال باشره واجبهم رحمك الله ان من شان العدو
ان ياتيك فيما انت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير
ما اقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك انه
ياتي للمتسببين فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار
وصفت منكم القلوب والاسرار فانا وكذلك صنع فلان وفلان ولا يكون
هذا العبد ليس مقصوده التجريد ولا كافة له انما صلاحه في الاسباب
فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الخلق من
الطلب والى الاهتمام باي شيء فيرميه في القطيعة وذلك قصد العدو
منه لانه انما ياتيك في صورة ناصح كما اتى لابويك فيما اخبر الله عنه
وقال ما نهاكما ربكما عن هاذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما نصح بيانه وكذلك
ياتي المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب الم تعلموا ان ترك
الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في ايدي الناس ويفتح باب الطمع
ولا يمكنه الاسعاف ولا الايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا

ال

الى ما يفتح به عليك فلو دخلت في الاسباب لنفي تخييم [illegible]
ما يفتح عليه منهم الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته
وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى
يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود القايم
في سببه احسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها
فقصد مقصدا ثم انعطف عنه فاحبهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم
بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك ان يمنع
العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وان يخرجهم عن مختار الله تعالى
لهم الى مختارهم لانفسهم وما ادخلك الله فيه تولى اعانتك عليه
وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل
الصدق ان تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق ايضا كذلك فاعلم
والذي ينبغي للعبد هو ان يمكث حيث اقامك حتى يكون الحق هو
يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشان ان تترك السبب
بل الشان ان يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا
من مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم اعد اليه وقد دخلت على الشيخ
رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قايلا في نفسي ان الوصول الى
الله على هاذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود

من جملة من غير ان اسأله يعني انسان مشتغل بالعلوم
لاهم ومقصد وجيهه بذا من عادة الطريق شيء فجاء الى جهة اليه
سيدي خرج مما انا فيه و تتبع صحبتك فقلت له ليس الشان ذلك ولكن
امكث فيما انت فيه وما قسم الله لك على ايدينا يصل اليك قال
ثم قال الشيخ وهكذا شان الصديقين لا يخرجون من شيء
حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل
الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى جليسهم انتهى
كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما اثبتناه ها هنا
على طوله لانه تولى فيه بيان مسئلته التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه
بيانا شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو رجع جميع مسائله تكون
هكذا **سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار** الهمم
السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض الموجودات باذن الله
تعالى وتسمى عند الصوفية همة فيقولون فلان همته على امر ما
فانفعل له ذلك وهذه الهمة السابقة لا تنفعل الاشياء عنها الا
بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها
ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار لا تنفذها وهذه الهمم قد تكون
للاولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن

والسلام

والساحر وقد ثبت ان العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وهو
ذلك انه يجب ان يعتقد انها اسباب لا تاثير لها ولا فاعلية وان
الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها وكان المؤلف رحمه الله انما
اورد هذه المسئلة بين يدي كلامه في التدبير ليمهد بذلك وجود
التدبير لا يجدي شيئا ولا فائدة له لان الهمة الفعالة اذا لم تعد في خرق اسوار
الاقدار شيئا فكيف بضعيف في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فحق العاقل ان لا
يشتغل فيه ويتعلق فيه ذوو العقول ولذلك قال **ارح نفسك
من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به
لنفسك** تدبير الخلق لامور دنياهم على الوجه الذي يقع له مذموم
لان الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا
قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فيقولوا وهو
ان يقدر العبد لنفسه شئونا يكون عليها من امر دنياه على ما يقتضيه
شهوته وهواه ويرى لها ما يليق بها من احوال واعمال ويستعد
لذلك ويهتم لاجله ويقدر التعب عقيب الشيء لنفسه ولعل اكثر ما
يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية
ومضادة احكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر ما يحمل
العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده واسبابه قال سهل بن
عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس

عيشهم وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير
فدبروا ان لا تدبروا وتمام هذه المسألة اسرار طريق القوم بل هي جملة
وتفصيل الكلام فيها طويل وعريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر
اليسير من التنبيه لان المؤلف رحمه الله افرد في هذا المعنى كتابا سماه
التنوير في اسقاط التدبير احسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه
بحيث يستغنى به عما صنف في هذه الطريقة من دواوين فتحصيله متعين
على كل مريد نجيب **اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك**
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك
الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى
كونه مضمونا ان الله تعالى تكفل بذلك ووضع العباد عنه ولم يطلب منهم
الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام به والشيء المطلوب من العبد هو
العمل الذي يتوصل به الى السعادة الاخروية والقرب من الله تعالى من عبادات
وطاعات ومعنى كونه مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده
فيه ومراعاة شروطه واسبابه واوقاته بحسب ما اجرى سنة الله تعالى
في عباده قال الله عز وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من
دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه
منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد روي في الاثر عن الله تعالى عبدي
اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك وقد خرج الحديث عن رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام يشرفون المترفين ويستخفون
بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه
فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير
السعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون
فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة
التي لا تبور وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف
ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي
من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وترك تعب القلب
من الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته واشرق نور الحق في قلبه و
حصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة اعمى
القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر
العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين والتقوى
هي التي يجب للعبد ان يجتهد فيها لا غير ويفنوا اناه ويقفو عما يمنع
منها لا غير وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بان طلب
الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح
وما ذكرناه فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير
فيما امر به قال في التنوير في قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك اي فهم هذا ونحن نقوم لك بقسمتنا

ولا شيئا ان يشغله ضمنه الله لك ولا تتهمه وينبغي طلبه منك ولا تهم
فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته
وقل ما ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه
عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق اهل الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود
اذا كان سبحانه اجرى رزقه على اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على اهل الايمان
وقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك اي مضمون لك منها ما يقوم
بزادك والآخرة مطلوبة منك اي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما
ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من امر الآخرة حتى
قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة
وطلب منا الدنيا انتهى **لا يكن تأخر أمد العطاء مع**
الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن
لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك
وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد
حق العبد ان لا يتخير شيئا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال
انه جاهل من كل وجه فقد يكره الشيء وهو خير له ويحب الشيء وهو
شر له قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا تختر من امرك شيئا
واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء الى الله

عز

عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد دخل رجل على الشيخ
المرسي رضي الله عنه وبه ألم فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت ولم
يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال الشيخ
ابو العباس وانا ما سألت الله العافية فقد سألت الله العافية والذي انا فيه
هو العافية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن قد قطعت ابهري وابو بكر رضي الله عنه سأل
الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وعمر رضي الله عنه سأل الله العافية
وبعد ذلك مات مطعونا وعثمان رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك
مات مذبوحا وعلي رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مقتولا
فاذا سألت الله العافية من حيث يعلمها لك انها عافية انتهى كلامه
فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد ان الخير له في جميع ما يبتليه
الله وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى ان له
فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب
لكم وقال عز من قائل واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من احد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل او كف عنه من السوء مثله
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من داع يدعو الا استجاب الله دعوته او صرف عنه مثلها سوءا او حط

فهو سبب بقيد زمان ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فإذا الإجابة المطلقة حاصلة
لكل داع بحكم سمعها ورد الوعد الصادق إلا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى
يجعلها ما شاء وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاء لمن فهم عن الله
تعالى في ذلك فلم يبق على العبد من الله تعالى إذا امتنعا وتأخرا إلا أن يلح في الدعاء
والسؤال وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيرا له فقد جاء في بعض الأخبار يبعث
عبد فيقول الله تعالى له ألم آمرك برفع حوائجك إلي فيقول نعم وقد رفعتها
إليك فيقول الله تعالى ما سألت شيئا إلا أجبتك فيه ولكن ادخرت لك بعضه في
الدنيا وبعضه الجزاء في الدنيا فهو معد لك فيجده إلا حتى يقول ذلك
العبد ليته لم تقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
فيقول دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على
فرعون فيما أخبر الله تعالى به عنهما حيث قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ثم أخبر أنه أجاب دعاءهما
في قوله سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون قالوا وكان بين قوله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما وهلاك
فرعون أربعون سنة قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما
أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهم
الذين يستعجلون الإجابة وناهيك قدرا وخطرا ما يتحصل له بسبب مداومة

الدعا

الدعاء من الشكر بنعمة الله ومن افتقار رضاه فقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يحب الملحين وقد جاء في
الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته
فيقول دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع دعاءه رواه أنس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا أن من الناس من يعجل
الله له حاجته لكراهيته إجابة لصوته وقد روي عن العتبي
منصوصا عليك العتبي خاليا من ذلك عن تعجيل إجابة دعائه
قال أبو محمد عبد الغني بن المصري رضي الله عنه كل من لم يكن
في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج
وهو ممن قيل له اقض حاجته فإني أكره أن أسمع صوته فإذا
كان مع دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه كان مجابا
وإن لم يعط والأعمال بخواتمها انتهى ثم تكون الإجابة مرتبة
على شروط لا يعلم الداعي بها فيتأخر لعدم وقوع ذلك أو
بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار فإن الله تعالى لم يجب
المضطر إذا دعاه فرتب الإجابة على الاضطرار وقال بعض العلماء
فمتى أراد الله تعالى أن يستجيب دعاء عبده رزقه الاضطرار
في الدعاء ومن الاضطرار أن ينقطع الطمع من نفسه وجميع ما لا
قال بعض المفسرين إذا رفع يده إلى السماء لم يشعر بنفسه عملا وهذا
مقام شريف ومقام منيف يعز على أكثر الناس الوصول إليه

فكيف يتحقق ما ينبغي عليه في المسألة التي تكلمنا في هذا
تنبيه على هذا المعنى لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود
وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا
لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده مولاه
شيئا وإن كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي
أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع
ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق
تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يتهم فهمه ويتأدب
مع ربه ويصدق الله فيما وعد به ويتهم الفهم ولا يشكك
في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف
فهو عارف بالله تعالى صاحب البصيرة منور السريرة و...
ومن العكس إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن
قل عملك فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك
ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها
إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك معرفة الله
تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فإذا وجه
الله تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف له فيها
فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث بما يفوته
بسبب ذلك من أعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الأجر
وليعلم أنه سالك به مسلك الخاصة المقربين الموصل إلى حقائق التوحيد
واليقين وغير المكتسب للعبد ولا تعلق والأعمال التي من شأنها

من شأنه أن يلتفت بها هي الكشف به وتعلقه فلا تسلم من دخول الآفات
عليها والمطالبة بوجود الإخلاص فيها وقد لا يحصل له ما أمله
عند مناقشة الحساب وأين أحدهما من الآخر ومثال ما يجاب به إلا
نصار من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه
من تكثير أعمال البر فإن مراده أن يستمر بقاؤه بعد نيله طيب العيش
ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادته إلا في حال المترجهير المتودد
ولا تنحصر فيه إلا الأعمال الظاهرة التي لا كبير مؤونة عليه فيها ولا مشقة
ولا تنقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد الله منه أن يطهره من
أخلاقه البهيمية ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر
وجوده إلى متسع شهوده ولا سبيل له إلى الوصول إلى هذا المقام على
غاية الكمال والتمام إلا بإفناد مراده ويشوش عليه معتاده وتكون
حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الأعمال الظا
هرة فإذا جهل هذا علم أن اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره
لنفسه ومراده لها وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أني قد
ابتليت عبدا ببلاء فدعاني فماطلته بالإجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك
من شيء به أرحمك وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده
ثم أنشطته من عقالي وأبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

سبحانه العمل وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة يقول قال الله تبارك
وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني الى عواده اطلقته من عقدي وبدلته
لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت استانف العمل قال ابو عبد الله
محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه لقد مرضت في سالف ايامي مرضة فلما اشفاني
الله منها فكرت في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه
المدة وبين عبادة الثقلين في ايام علتي فعلمت لو خيرت بين هذه العلة
وبين ان تكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها الى ايهما اميل اختيارا
صح عزمي ودام يقيني ووقعت بغيتي ان مختار الله لي اكثرهما خيرا واعظم
خطرا وانفع عاقبة وهي العلة اذ ليس لي فيها تدبير ولا شيء فيه اذ كان فعله
فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت هذا
ذوي في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما اتاني فصارت
العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامل عطاء
فعلمت في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع
الجوع بهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى قلت وهذه هي
وجهة النعمة التي يتمنى الله له وحصلت له الغبطة بها واثرها على
عبادة الثقلين والله اعلم فاذا اراد الله تعالى على العبد شيئا من البلاء
فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه
حتى يحصل له السكون والطمانينة ساحل عنه انقال ذلك ويزيل عنه

مرارته

مرارته ويوجد حلاوته فعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين
من العيش والاغتباط به فيرى من حق شكره الرجاء بما يكلفه واعمال
بدنه واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسالة بالحكاية التي ذكرها ابو
العباس بن العريف رحمه الله في كتاب مفتاح السعادة ومنهاج سلوك
طريق الارادة قال فيه كان بالمغرب عم ابي العباس الاسلامي رجل يدعا ابا
الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره اصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز
سنه التسعين وهو اعمى فلم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار
وعمي جسمه الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال
الزاهد فرايته يمشي على الماء ثم تغيب بعد ذلك الا يشفي واذا هو
ابي من فعلت له يا سيدي كان الله سبحانه لم يجد للبلاء محلا من اعدائه حتى
انزله بك وانت خاصة اوليائه قال فقال لي اسكت لا تقل ذلك انه لما اشتهى
بناء على خزائن العطا لم نجد عند الله شيئا اشرف ولا اقرب اليه من البلاء
فسماه لنا ابداله وكيف بك لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام
الاولياء والاوتاد في غار بارض طرطوس وجبا له الحمد نتناثر وجسمه
يسيل قيحا وصديدا وقد احاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع
بذكر الله وشكره على ما اعطاه من الرحمة واسكر جسمه والعافية
حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة على هذه ليلة حتى يطلع
الفجر انتهى وسيأتي شيء من كلام المولف رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه

عليه واله ولي التوفيق **تنوعت أجناس الأعمال لتنوع**
واردات الأحوال والواردات الاحوال هي ما يرد على القلوب من
المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهي توجب لها احوالا مختلفة فمنه
وارد يوجب رغبة ومنها وارد يوجب انسا ومنها وارد يوجب قبضا
ومنها وارد يقتضي بسطا الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت
هاذه الواردات ايضا متنوعة كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه
الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة ابدا تبع لاحوال القلب
الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتائج حسن
الاحوال **الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود**
سر الإخلاص فيها اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته
ومقامه فاما من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه ان تكون
اعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي وقصد موافقة الهوى النفسي
طلبا لما وعد الله به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا
عما اوعد به المخلطين من اليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقق
بمعنى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك
في عبادتنا غيرك وما طالبه اخراج الخلق عن نظره في اعماله مع
بقاء رؤيته لنفسه في النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان
منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه

انما

المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم يلتفتوا الى
المستحسنات وهذا اصل كبير عندهم في المجاهدة باحوال الرياضة انتهى
وقال محمد بن بصير اياك وفضول النظر فانها تؤدي الى فضول الشهوات
وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين
سبب الخير ومن ارسل طرفه افتتن قلبه وان النظر الى الاشياء يا
لبعض يوجب تفرقة القلب وقد انشدوا في هذا المعنى
وانك ان ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر
وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الياس وذلك من اعظم فوائد
العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال
القلب بالفكرة وهي المقصودة هاهنا وكانت العزلة مقدمة لها
ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الاكد
فيه والقيام بمراعات واداب بالحسنة وذكر الشيخ ابو حامد الغزالي رضي
الله عنه جملة شافية في كتاب العزلة من الاحياء فلتنظر هناك وقد
جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة هكذا اورده اعل
وكان عيسى بن مريم عليهما السلام يقول طوبى لمن كان كلامه ذكرا
وصمته تفكرا ونظره عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت وقال كعب من اراد ان يبلغ شرف الاخرة فليكثر التفكر وقيل

قيل لأم الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء قالت التفكر وذلك لأنه يصل به الى معرفة حقائق الأشياء ويتميز الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفوس ومكائد العدو وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل مع التحرز عنها والخلاص منها قال الحسن رضي الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ويطلع به أيضا على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تتضمن وجود الخلوة وهي أحد الأركان الأربعة التي هي أساس المريد ويلحق بها من الثلاثة الباقية الصمت إذ لا يتأتى من أكثر الناس إلا بالخلوة والعزلة فإن أضاف إليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية الدواء والتحق بزمرة الأولياء والأبدال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها في كلمة

يا من يريد منازل الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها فلست من أهلها ... إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ... ساداتنا فيه من الأبدال

ما

١٤

ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي

كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع في حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته

الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الأشياء التي ذكرها المؤلف رحمه الله أضداد لا تجتمع فإن إشراق القلب بنور الإيمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه إلى الأغيار والأكوان واعتماده عليها والسير إلى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاشتغال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الإقصاء والإبعاد وفهم دقائق الأسرار المستفادة من التقوى مضاد للإصرار على المعاصي والهفوات والدلالة على ذلك قوله عز وجل واتقوا الله ويعلمكم الله ومما روي في بعض الأخبار من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال الحسن بن سعيد رحمه الله التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال أحمد بن حنبل لأحمد بن أبي الحواري يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي

سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد بن حنبل سبحان
الله وطولها بلا عجب فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا
انعقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد
بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما قال فقام احمد بن حنبل
ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه
ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد
ابن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق شيخك ولاجل كون هذه الاشياء اضداد
اعجب المؤلف رحمه الله ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع في نيل
مراتب الرجال مع كونه على اقبح الحال **الكون كله ظلمة وانما
اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده
فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود
الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب
الآثار** العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم
وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود متنور ثم اختلفت
احوال الناس هاهنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن
رؤية المكون وهذا الذي في الظلمات محجوب بسحب الآثار الكائنات
ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم في مشاهدتهم اياه فرق
فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر

على الآثار

على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء الذين يستدلون بالآثار على
المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية هاهنا اما معية اتصال وهو
شهوده في الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه
الظروف المذكورة لا يتصف بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الا
كوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما
ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتعرف فيها
هذه الحقائق على ما هي عليه موكول الى اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فيها
هنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات
منكرة في الشرع فكفروا بذلك ويجب علينا اعتقاد كمال التنزيه وبطلان
التشبيه ونتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع العليم
**مما يدلك على وجود قهره سبحانه ان حجبك عنه
بما ليس بموجود معه** اتفقت مقالات العارفين والمحققين
واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبل هذا من ان ما سوى الله تعالى
عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت
قالته الشعراء الا كل شيء ما خلا الله باطل قال بعض العارفين
ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية
واحاطة الديمومية وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا

لتنظر الى الله بعين الابصار والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان و
نستدل به على الخلق بل في الوجود شيء سوى الواحد الحق جلالة اهم فان
كان ولا بد عندهم كالهباء في الهواء فان فتشتهم لم تجده شيئا وقال
ابن الفارض رضي الله عنه فرق على الشهود من جمال الله ان يستتر ذلك عن بقيل في
لو سالته ما سالت موسى كليمه وعيسى روحه وهو حبيبه ايشعون بالكون
سلبه او يعترك بمسيلة فغفيها وقال ابن عطاء الله في التنوير جما سوى الله
عند اهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقدان لا يوجد معه غيره لثبوت
احديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتكت حجاب الوهم
لوقع العيان على فقد الاعيان عن الاشرف ونور الايقان فغطى وجود الاكوان
وهذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت
ان ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه قال الشاعر

فمذ عرفت الاله لم ار غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع
فمذ تجمعت ما خشيت افتراقا ... وانا اليوم واصل مجموع

وقال اخر الله قل ودر الوجود وما حوى ... ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته ... عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها ... لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ... شيئا سوى المتكبر المتعال

ورأوا

ورأوا السوى في الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال
وقد صنفوا في بيان هذا الامر كتابا وتعمقوا في الكلام في هذا المعنى
نظما ونثرا وكل عبر على حسب مشربه وذوقه جزاهم الله عنا خير الجزاء
فنحن تقرر هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله بشهودهم الدنيوية و
درجاتهم الاخروية ومقاماتهم العلوية وكذلك من الاغيار العدمية
والموجودات الوهمية علما بذلك وجود فهي اوهى من اسمائه تعطي الفهم
ولو ارتفع الحجاب عنهم لغنوا عن انفسهم وارادتهم وفنوا به وكانوا
عباد الله حقا وقد سئل ابو سعيد بن الاعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء
ان تبدو العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال وا
الدرجات والمقامات والاذكار تغنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه
عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق في التعظيم انتهى قالوا والفناء
على ثلاثة اوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء الصفات
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة
الا الله وفناء في الذات لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقاء

وقال الشيخ محي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم
لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وانشدوا

من ابصر الخلق كالسراب ... فقد ترقى عن الحجاب

الوجود تراه وتغار بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم تشاهد به سواه فهناك تهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه ولا مشير الى الخطاب

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء
بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء حتى
استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم اياتنا
في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق كيف يتصور ان يحجبه
شيء وهو الذي ظهر في كل شيء اذ هو المتجلي فيها بمعاني
صفاته واسمائه كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي
ظهر لكل شيء في طور ذلك التجلي ولذلك كان ساجدا له ومسبحا
بحمده ولكنا لا نفقه ذلك كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو
الظاهر قبل وجود كل شيء لتحقق هذا الظهور له ازلا وابدا
كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر
من كل شيء لان الحق هو الظاهر والعدم على كل حال كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس
معه شيء اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو اقرب اليك من كل
شيء

شيء لانه ثبت احاطته بك ووجود قيوميته عليك كيف يتصور
ان يحجبه شيء ولولاه لما كان وجود كل شيء
حتى استدل به الشاهد وعلى الاشياء كما قال تعالى اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم
لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف يثبت
الحادث مع من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور
الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقوله
عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قلت
وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا ابدع فيه المؤلف غاية الا
بداع واتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضي الله عنه ذكر
جميع متعلقات الظهور وابطل حجابيته كل ظلام ونور وادرك فيه الحق
رؤية عيان وبرهان ورقى من مقام الايمان الى اعلى مراتب الاحسان كل
ذلك في اوجز لفظ وابدع عبارة واتم توضيح والطف اشارة ولو لم يكن في هذا
الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا جزاه الله عنا خيرا وقال رضي الله عنه
ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت
غير ما اظهره الله فيه اذا اقام الله العبد في حال من
الاحوال التي لا تذم من الشرع فليلتزم حسن الادب في اختيار بقائه عليها
ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة اداب ولبوافق مراد الله تعالى

في ذلك حتى يكون هو الذي يتولاه عنه قال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المولف رحمه الله مع شيخه ابي العباس حين عزم على التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما اجابه به الشيخ رضي الله عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان تسخطه تلك الحالة وتشوفه الى الانتقال عنها بنفسه واراد ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساء الادب في حق مولاه عز وجل فنعوذ بالله من معارضة حكم الوقت التي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من اعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فهو ادب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو احد معاني الوقت في اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه امر او اقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما امرت به واحالة الامر على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف اي كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقتضيه الوقت ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك

الوقت

الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وانشد

وكالسيف ان لاينته لان مسه … وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام ابي القاسم القشيري وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله اعلم

احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس اذا كان العبد ملتبسا بحال من احوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحات واحال ذلك على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه واي ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثاره الدنيا على الاخرة وليس هذا شان عقلاء المومنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل توثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى الثاني تسويفه بالعمل الى اوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك او يزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل

فما قضى احد منها لبانته … وما انتهى ارب الا الى ارب

والثالث انه ربما يفرغ منها ما الذي يوثقه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة في جميع الاحوال ما يستغفر في مثله جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على اي حالة كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجات الموت وحلول الفوت

وان يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها
وما احسن قول ابن الفارض في هذا المعنى
وعد من قريب واستجب واجتنب غدا اشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى واياك علّ فهي اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو ارادك لاستعملك من غير اخراج

كما انه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة
بالدين او بالدنيا لا ينبغي له ان يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم
وقته فيحدث فيه غير ما اظهر الله كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل
شيئا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهر الله فيه مع التخلط المتقدم
وسواء لا يكون في ذلك مخالفة امر او ارتكاب نهي فينبغي له ايضا ان لا يعارض
حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منه ويستعمله فيما سواها لان
هذا من التخيير على الله تعالى ولا خير له في ذلك بل ينبغي له ايضا ان لا يعارض حكم
الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منه ويستعمله فيما سواه لان هذا
من التخيير على الله تعالى ولا خير له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار
مراده على اختياره هو وحينئذ يتحقق ان يكون منه عبدا لله تعالى

وارادته

وارادته له فيستعمله استعمالا احسن باعين منه مع بقائه على الحالة التي
هو عليها فيكون ذلك مراد الله تعالى به لا بارادة لنفسه وهو خير له مما
اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت اني لو تركت
الاسباب واعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك ان تستريح من تعب
الاسباب قال فبعثت ثم كشف الغيب فاوتي كل يوم برغيفين فطال
ذلك علي حتى ضجرت فبكيت يوما في امري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم
رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت من
ذلك ورجعت الى الله عز وجل فاذا باب الغيب يفرع فتخلصت وخرجت
قال فيه فتادب بهذا ايها المؤمن ولا تطلب ان يخرجك من امر
يدخلك فيما سواه اذ كان ما انت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك
من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى
ما طلبت وتمنح الراحة فيه من تارك شيئا ودخل في غيره ليجد الترويح
والراحة فتعب وقوبل بوجود التعسير عقوبة لوجود الاختيار انتهى
كلامه في التنوير وهو نفيس لما ذكره ها هنا فلذلك اوردته

ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر

السائر إلى الله تعالى يتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فإن
أرادت همته أن تقف عندما كشف له من ذلك لاعتقاده أنه وصل
إلى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة
المطلوبة الذي تطلب أمامك فجد في السير ولا تقف وإن تبرجت له
ظواهر المكونات بزينتها جمالها وحسنها وجمالها نادته حقائقها
الباطنة إنما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت إليه
ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه ما دامت لك همة وإرادة فأنت
بعد في الطريق لم تصل ولو قد جئت عنها لوصلت وما أحسن قول الشيخ
أبي الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاما حسنا مناسبا
لما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هاهنا من الترقي في الأحوال وظهور
النفوس ورؤية الكمال فرأيت أن أذكره هاهنا بنصه لما فيه من سنا
الفوائد وشرف المقاصد قال رضي الله عنه اعلم إن أردت أن يكون لك نصيب
مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على الله

بإشارة

بإشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن
الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن
في ذلك عبد الله أمرك أن ترفض عدوه فإن كنت بهاتين الخصلتين الإعراض
عن الدنيا والزهد في الناس فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية
والاستغفار بالإنابة والخضوع للأحكام بالاستقامة وتفسير هذه
الوجوه الأربعة أن تكون عبد الله فيما تأتي وتذر وتراقب قلبك أن لا ترى
في المملكة شيئا لغيره فإن أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز
أنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله بالمراقبة وأنت
تسمع قوله وكان الله على كل شيء رقيبا فهاهنا تذكر من الحياء ما
يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك
أن لا تشهد ذلك منك فتعود إلى ما خرجت عنه فإن صحت هذه
منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق التوبة منه بدأت والإنابة
منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهناك
تكون مع أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والإنابة
فنادتك من قريب اخضع لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع
إرادتي برفض إرادتك وإقامتي ربوبيتي تولف عبودية وكن عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شيء عليم
فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هناك على أسرار لا تكاد تذ

ويجمع من اهمه العلمين طلبك منه اتهام له وطلبك له
غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه
وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه الطلب الذي
يتصور من العبد على اربعة اوجه وكلها مدخولة معلولة طلب من الله
وطلب له وطلب لغيره وطلب من غيره فطلبه من الله تعالى تهمة له اذ لو
وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه وطلبه له غيبة
عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره لقلة حيائه منه اذ لو استحيا منه ان
ان يتضرع عما يكرهه له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه ان لا ياذن في معه غيره
ولا يوثر عليه سواه وطلبه من غيره لبعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره
بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول
كان الطلب متعلقا بالخلق او بالحق الا ما كان من الطلب على وجه التعبد
والتادب واتباع الامر واظهار الفاقة والافتقار فحينئذ تزول عنه العلة
ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس
ازمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبدو امنه ظرف
لقدر من اقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فاذا كانت جزئيات العبد
ودقائقه قد استغرقتها احكام الله تعالى واقداره وكان جميع ذلك يفنيه
منه حفظ الازمنة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسئول
عنه وعن انفاسه التي هي امانة الحق عنده كيف لا اذا كان محل التدبير دنياه

ولا

ولا يعل الاتباع شهوته وهواه لا تترقب فروغ الاغيار فان
ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو
مقيمك فيه اذا اقام الله تعالى عبده في سبب من الاسباب فالواجب
عليه ان يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا
منه فان تاميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما اقيم
فيه وتوفيته ما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب
ذلك المريد قال ابو حفص رضي الله عنه الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت
بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه
وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا دخل الليل فلا تامل النهار حتى
تصلح ليلتك تلك وتوفي حق الله تعالى فيها وتنح فيها لنفسك واذا اصبحت
فكذلك وسئل سهل رضي الله عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم
ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه لا تستغرب وقوع الاكدار
ما دمت في هذه الدار فانها ما ابرزت الا
ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها جعل
الله الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل واحد فيها على مقتضى ما سبق
له ويجزى جزاءه في الدار الاخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وعمل كل واحد منهم انما هو مخالفة لشهوات نفسه او موافقته
وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب او مكروه يفعل له

يترك بعض ضرورات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار
بسبب ذلك وانما جعل الدنيا امورا وهمية انقادت طباع الناس
اليها وهي اتبع جميع مطالبهم لضعفها وقلتها وسرعة تقضيها وقلتها
فيتجاذبونها بينهم فتتكدر عيشتهم ولم يحطوا على كلية اغراضهم كما قيل

اري اشقياء الناس لا يسامونها ... على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت قليلا كانها ... سحابة صيف عن قريب تقشع

حتى لا تستغرب وقوع امثال هذه فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق
وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها قال
بعض الحكماء لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاطبيع
في اللوزينج وسيلة الفتية على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها
محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض
الحكايات المنقولة عن معن الهادي رضي الله عنه انه قال من طلب ما لم
يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وانشدوا

تطلب الراحة في دار الفنا ... خاب من طلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء من لم يوطن الصلاحة في دار المتالف والمعاطب كان
كالمتمرغ على مراقع الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود
رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح وقال
الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد علي من العالم لاني قد اصلت

اصلا

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

اصلا ان هذه الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن
حكمه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل والا فالاصل
هو الاول وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايها الناس انتم تحبون الروح
والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما
الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد الا يحرص على الراحة
في الدنيا نفسا ولا يركن منها الى ما يفتتن به حالا وانما يعمل على
قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابو هريرة رضي الله عنه الدنيا
سجن المؤمن فيتوطن العبد على الصبر في دنياه يهون عليه ما يلقاه
ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل

يمثل ذو اللب في لبه ... شدائده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى آخر ... فصير آخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ... ببعض مصائبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ... لعلمه الصبر عند البلا

فليتوطن المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند
جريان القضاء فعن قريب ان شاء الله ينجلي الامر ويستوجب من الله
تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي التوفيق وقال احمد بن ابي الحواري رضي

الله عنه قال ابو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر
قليل وقد انقطعت عنك ايام الدنيا واعلم ان ما ذكر من الصبر
هو جماع كل فضيلة وملاك كل ولاية ومكرمة نبيلة جزيلة قال
الله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال
تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال العز من قائل انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابن عباس رضي الله عنه ان استطعت ان تعمل لله بالرضا واليقين فاعمل وان لم
تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان صبرت مضا امر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضا امر الله وكنت
مازورا وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبوا وسيف لا ينبوا وقال
ابن عباس رضي الله عنه افضل العدة الصبر عند الشدة وفي نفحات الاخبار
انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تايسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا

فمن جعل الصبر معتصمه في نوازله واعتده من اعظم عدده ووجد
به فهو مصيب في رايه منجح في سعيه ومن جزع من المصائب واشتكى

عند وقوع النوائب كان عاملا فيما لا يرد ضرا ويكسبه وزرا ويعود
نصيبا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا اصابك مصيبة فاصبر لها عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل ايضا

وعوضنا اجرا من فقيد فلا يكن فقيدك لا ياتي واجرك يذهب

ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر
مطلب انت طالبه بنفسك من انزل حوائجه بالله تعالى
والتجا اليه وتوكل في امره كله عليه كفاه كل مؤونة وقرب عليه كل بعيد
ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله
وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه واهمله فلم
تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص
الشريعة وانواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله في
هذه المسئلة على ما يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية
التي مآل امرها الى الدين فانه في تلك المطالب والتي هي خواطر ومعا
نصب احدهم في سلوك سبيل التوحيد وفيه التعلق بالله تعالى حق
واصوب في جميع حركاته الى رجوع الى الله تعالى والى واجب جعل
جميع كان من الراي السديد والامر الاكيد ان يخصه من ذكر العلي وان
يفرده عقب هذه المسئلة بمزيد من الكلام ولذلك قال المص علامة

النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات

للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح
بدايته بالرجوع إلى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكر فالأليق
والنجح في نهايته وكان وصوله إلى الله تعالى وأمن عليه من الرجوع والانقطاع
قال بعض المشايخ ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا
ومن لم يصحح ذلك كما ذكرنا من تعلقه بالحول والقوة وركن إلى نفسه والخلق
انقطع ورجع من حيث جاء وقال بعض العلماء من ظن أنه يصل إلى الله بغير
الله قطع ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل إلى نفسه فعلى
العبد السالك أن يجعل اعتماده من أول الاستعانة بالله على ما هو بسبيله
ولا يرى حولا لنفسه ولا قوة في كثير من عمله ولا قليله فهذه أصول أساس
السلوك التي ينبني عليه قواعده من أشرقت بدايته أشرقت
نهايته هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فإشراق بداية المريد
برجوعه إلى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته وإشراق نهايته الوصول
إلى قربته والحصول في حضرته ما استودع في غيب السرائر
ظهر في شهادة الظواهر هذه بيان علامة يعرف بها
حال المريد السالك وما انطوى به باطنه من المزيد المتدارك لأن الظاهر
مرآة الباطن فما قبل الأسرة تدل على السريرة وما قام من القلوب فعلى
الوجوه يلوح أثره فما استودعه الله تعالى القلوب من الأسرار لا بد أن تظهر

أثر

أثر ذلك على الجوارح فيستدل بتقاعد العبد على غائبه من إرادة صحبته
والوصلة به وما أشبه هذا من الأغراض والمقاصد قال أبو حفص رضي
الله عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص
العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبا حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره
لا يخطئ منهم أحد فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا
القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان أدب الباطن ذلك وأكد في ذلك
أن يعرف المريد نفسه ويحذر من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما تتوهمه
من صلاح سريرته وعلانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم
تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من التلهج بذكره والمسارعة إلى
اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند تيسير شهوده والفرار
من العوائق الشاغلة عنه والتخلي عن الوسائط المبعدة عنه فهو
كذاب في دعواه متخذ الإله هواه فإن كان موصوفا بأضداد هذه
الخصال فبعده عن جادة الاعتدال فهو في دعواه كذب وحاله
إلى الشك والتعامي أقرب قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وقد
جعل الله تعالى وصف الكافرين أنهم إذا ذكر الله وحده في شيء انقبضت
قلوبهم وإذا ذكر غيره من دونه وجعل من نعتهم أنهم إذا ذكر الله تعالى
ينفرون وإن رأى في شيء غفلوا ذلك وكرهوه وإذا شكوا بغيره في ذلك

صدوره قال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بأنه
إذا دعي الله وحده كفرتم من الكفر المعطية وإن يشرك به تؤمنوا والشرك
الخفي أي جلكم بذكره ذكر سواه ثم قال تعالى فالحكم لله العلي الكبير يعني
لا يشاركه خلق في حكمه لأنه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له
في ملكه وعظمته ولا كفء له من عباده فيه دليل هذا الكلام وجهه من الخطاب
أن المؤمنين إذا ذكر الله بالتوحيد وإلا [illegible] شيء انشرحت صدورهم
واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره ونعم [illegible] وإذا ذكر الأولياء
والأسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة عجيبة
جامعة فمن قلبك أو من قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد
في القلب أو وجود خفي الشرك في السرائر كشف عاريا انتهى قلت وهذه
المسألة التي تضمنها كلام الشيخ أبي طالب المكي رضي الله عنه من أعظم
المسائل دلالة على صدق الصادق وكذب الكاذب من أوضح الدلائل لما كان
فهذه التنبيه استغنا ذكر العوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد
الغريبة لغرابة الدين في هذا الزمان والرد واستيلاء الغفلة والجهل على
المنسوبين إلى العلم والفضل فحسن منا إيراد هذه الكلمات على جهة
ضرب المثل والاعتبار بالتنبيه على العلل الخفية فيتفقد ذلك مريد السالك
ولينتج من نتيجة ربه في دينه وقلبه أوضح المسالك وأجمع على

هذا

هذا الأسلوب كل كلام لم تكفهم لك معانيه ولم تنتج في ذوقك منها
سبيته لتتسلح بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما تولع به أصحاب
القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله **شتان بين من
يستدل به أو من يستدل عليه المستدل به
عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله
والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا
فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى
تكون الآثار هي التي توصل إليه** بنو آدم في أول نشأتهم
وبدء خلقتهم وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل وعدم
العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم إن
الله تعالى لما اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهله
لولايته وما ذلك إلا بحصول العلم الذي تضمنه قوله وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة التي يحصل لهم النسبة ويوجب لهم الزلفة والقربة
المشار إلى ذلك بقوله لعلكم تشكرون فعلهم على قسمين مراد ومريد
وإن شئت قلت مجذوب وسالك وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق
قال الله تعالى الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب فالمريدون
السالكون إلى الله تعالى في سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار
فالآثار والأكوان كأنها لهم موجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم

جمع يستدلون بهما عليه في حال ترقيهم وان حجبوا عنه بعد اجتهادهم

الحق تعالى بوجهه الاكرم ونعم البعيد عن هواه فهما عن بعد الحجاب

انحجبت للاغيار عنهم ولم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تحققهم

فهذا هو حال العارفين وشتان ما بينهما اي بعد ما بينهما وذلك ان

المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو الموجود الواجب لاهله وهو المختص

بوصف القدم واثبت الامر المشار به الى الآثار العدمية من وجود اصله

المشار به الى المؤثر المحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما

ذكرنا لانما استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر

الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم

احتظائه بالوصول والاقتراب والاجتماع حتى يستدل عليه بالا

شياء الحادثة ومتى بعد حتى تكون الآثار الغريبة هي التي توصل اليه او بعد

حتى تكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه

عجبت لمن يبقى عليك شهادة والذي استشهد به كل شاهد

قال في لطائف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده

فان الشاهد غني بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة

باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود في نهايتها ضرورية

واذا كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه عن الشاهد ليدل على المكون

او ان يفتقر الى الدليل حصل غاية العجب ان تكون الكائنات

موصلة

٢٩

موصلة اليه فليس شيء من الكائنات مع وجود معه حتى توصل اليه او تدل عليه

من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان كانت الكائنات

موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة

التوصيل فما وصلت وما وصل اليه غير الالهية ولكن الحكيم هو واضع الا

سباب وهي لمن يقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب لينفق

ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه

رزقه السائرون اليه هذه الاشارة ملمحة الى حال العارفين كما

لواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد

وكمال الاستبصار اتسعت مساحة نظرهم فانفقوا من سعتهم و

نعم ج عوالمهم كما شاءوا والسالكون اليه مقدور عليهم في ارزاق

العلوم والفهوم محصورون في مضيق الخيالات والرسوم ينفقون

مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المقبول اهتدى الراحلون

اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة

فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم

لانهم لله لا لشيء دونه انوار التوجه نورها منهم الى

الله من عبادات ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة

جهة ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد

الانوار لوجودها حتى اليهم في الوصول الى مقصودهم والآخرون

ج عوالمهم

الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم جمع لهم الانوار دونه وسيأتي هذا
المعنى عند قوله انت مع الاكوان ما لم تشاهد المكون واذا شهدته كانت
الاكوان معك **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** اعراض
التوحيد يعني ملاحظة الاغيار هو حقيقة الكفر وروية ما سوى الله تعالى هو لهو
ولعب وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا عنهم
وكنا نخوض مع الخائضين وقال تعالى بل هم في شك يلعبون وقال رضي الله عنه
تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك
الى ما حجب عنك من الغيوب حق المريد ان يتشوف
الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك
هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه ويصرف عنان اعتنائه اليه ليحصل
له صلاح اعماله من الآفات ونقاء احواله من الكدورات وينتفي عنه الجهل والغرور
وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
في كتاب رياض النفس فصلا في الطرق التي يتعرف بها الانسان عيوب نفسه
فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله اربعة اوجه احدها ان يجلس بين يدي
شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما
يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على احواله واعماله
لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان يستفيد معرفة
عيوبه من اعدائه اذ لا بد من جريان ذكرها على السنتهم عند ثلبهم وغيبتهم

والرابع

والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس فيطلع بذلك على مساويهم
فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع
البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما رآه في غيره
فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا ملخص ما
ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب
النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب
عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه
وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده في الدنيا واما طلبه للغيوب المحجوبة
عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفسه لا حق عليه فيه
للحق تعالى فليكف عنها نفسه ولا يشتغل بها عقلا ولا جسما وما
الفضول منه الا بمكر الله به ولا يعول عليه فان ذلك من المعايب الفادحة
في عبوديته ولهذا قال ابو علي كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة
فان نفسك متحركة في طلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة
ولان تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا
المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب بن منبه رضي الله عنه
ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام
فسأل الله تبارك وتعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال
ذلك عليه ولم يجب فقال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان

خير لك من هذا الأمر الذي طلبته جاء رسول الله إليه ملكا فقال له إن الله تعالى أرسلني
إليك وهو يقول لك إن كلامك الذي تكلمت به أحب إليّ مما مضى
من عبادتك فقد فتح الله عينك فانظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت
بالأرض وإذ ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب
فقال يا رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين وسياق ذكر بيان
الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبطة بوجودها لذا كل عالم
نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه الحق ليس
بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه
شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده
حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو
القاهر فوق عباده الحجاب عن الحق تعالى محال واستدل المؤلف
على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا إشكال فيه والحجاب على العبد
واجب من حيث ذاته إذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم
وبين الوجود فإن الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن يشاء كيف يشاء
متى يشاء ليس كمثله شيء وهذا مما يجب اعتقاده أخرج
من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك
لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا
أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان أحدهما ما يتعلق

بظاهره

بظاهر القلب وجوارحه وهي الأعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه
وهي العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم إلى قسمين
ما وافق الأمر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما
ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا إلى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة
ويسمى إيمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر
فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح فقها والنظر فيما يتعلق
بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا وهذان الأمران هما كلية العبد
وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لأن القلب هو الملك والجوارح جنوده
ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد
نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال إن في الجسد
مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله
ألا وهي القلب وصلاح القلب إنما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة
كلها دقيقها وجليلها وهذه الصفات المناقضة للعبودية من
أوصاف البشرية التي أشار إليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسمى
خاصيتها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب و
الرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن
هذه الأصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للأغنياء
واستحقار الفقراء وترك التقية بمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة

من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش
والمباهات والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة
والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر
وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب
العلو والانتصار لنفسه ادناها الذل وذهاب ملك النفس اذا
زاد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق الوضيعة
واصل هذه كلها وعنصرها الذي ينبعث منه انما هو رؤية النفس والرضا عنها
وتعظيم قدرها وتربيع امرها فبهذه الامور تظهر من كبر وما يتبع
منها من تعد عن كل مرعى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز
وجل من خلع حسبما يقوله المؤلف بعد رحمه الله باثر هذا وشأن الصوفية
انما هو التخلي منها بقطعها وتزكيتها من انواع الرياضات والمجاهدات
وقد بينوا الطرق لذلك في كتبهم قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ولا يكون
المريد مريدا حتى يبدل بصفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق
الشياطين اوصاف المؤمنين وبطبائع البهائم اوصاف الروحانيين
من الاذكار والعلم فعندها يكون عبدا مقربا قال والغرض من هذا ان
تملك نفسك فيملكها فتسخر لك وتسلس عليها فاذا اردت ان
تملك نفسك ولا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها
ملكتك وان تضيق عليها اتسعت عليك واذا اردت الظفر بها

فلا

فلا تعرضها لهواك واحبسها عن معتاد بلاياها فان لم تعطلها
انقطعت بك واذا اردت ان تقوى عليها فضعفها بقطع اسبابها
٢٩ وحبس موادها والا قويت عليك فيمتعنك انتهى قلت فاذا قام بذلك
المريد على النحو المرسوم له من التمسك بالوظائف التي امروه بها طهر قلبه
وتزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد وتنيله
من قرب ربه غاية المراد فيفيض عليه حينئذ انوار جمة من التواضع
لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة
له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص لعبوديته والرضا بقضائه
ورؤية المنة له عليه في منعه وعطائه والتفقه فيما بين خلقه بالرافة
والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة
والنزاهة والامانة والشفقة والثقة والعفة والتلطف والوقار
والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى
غير ذلك من اخلاق الاعمال التي ينال بها العبد غاية السعادة والحسنى
والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ائمة الصو
فية رضي الله عنهم بالتخلي والتحلي اي التخلي عن الصفات المذمومة
والتحلي بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما ايضا بالتزكية و
التحلية وهي حقيقة السلوك الذي يعبرون به ايضا ويستعملون الاشارة
الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السا

السائرون جاء الحق لمريد هذا الشعور والعطف [illegible]

عبوديته لربه عز وجل ولم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وإن [illegible]

من ربه ان استرقه محل فيكون هناك منزله ومثواه فيكون [illegible]

المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا الا انه اذا كان ينادى به داعي العبد فيقول

له يا عبدي فيجيب حينئذ مولاه بأني الى [illegible] فيقول لبيك [illegible] فيكون

صادقا في إجابته متحققا في نسبته ويكون القائم حضرته في [illegible] الوجود

يعلو عن نفسه التي من شأنها الفتور عنها والجوار منها جاء اقامة الحق

تعلى معالم العبودية وحاز مرتبة القرب من خروج الى ربوبية كان محفوظا

من اقتحام الاوزار متحققا عليه اعمال الاخيار متحليا بالظاهر والباطن

بانوار الحلي متخلقا بفضيلة الشبه بالملا الاعلى قال الله عز وجل

ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ولا يستحسرون يسبحون

الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون

عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن حصر رتبة العبودية انال التهم هذه

الخصوصية وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوة

الخصوصية [illegible] هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه

من التفرقة بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما ما قاله الامام ابو القاسم

القشيري رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد

تحصل

تحصل منه هفوات وقد تكون منه في الندرة زلات ولكن لا يكون له في

[illegible] اولئك الذين يتوبون من قريب وقد وصف الله عباده المخصوص

او بالتخصيص والتمييز في آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة ومن

اعظمها في ذلك صفات حسية فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون

على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله حسنت

مستقرا ومقاما اولئك الذي فيما قاله [illegible] اهل التفسير وما

استنبطه منه اهل الاشارات والتذكير وأما من عدى هؤلاء

فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقوا حظوظهم الدنيوية قال

الله عز وجل افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه

تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم عبيد العدد

المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن

عبدا [illegible] وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم

انه لا ينجيا هذا السلوك الى حقيقة ما ذكر المؤلف الا من وفقه الله تعالى

لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من قبائح الصفات وسرعة ذلك من نفسه

[illegible] منتهى لها [illegible] احد [illegible] وفيه المعاصي

والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله على هذا بقوله

أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم

الرضا عنها الرضاء عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم
الرضا عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين و
ارباب القلوب وذلك ان الرضاء عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها
ويصير قبيحها حسنا كما قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة وعدم
الرضاء عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها
ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشعر الآخر
ولكن عين السخط تبدي المساويا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها
وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت الغفلة
وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ
دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفعها
به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة عليه بسبب ذلك ومن غلبته
شهوته وقع في المعاصي لا محالة واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم
يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف
كان منتبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن
من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون
لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا كان
عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما امر به وهذا
هو معنى الطاعة لله عز وجل واصل ذلك كله عدم رضاه عن نفسه فاذا

٣١

لا شيء اوجب على العبد من معرفته بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا
عنها وبقدر تحقق العبد بمعرفة نفسه يصح له حاله ويعلو مقامه
وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم
لنفوسهم والتوجع منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من ان يحصى
ولذلك قال ابو حفص رضي الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات
ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه
كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها وكيف
يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء وقال الجنيد رضي الله عنه منذ اربعين سنة اعتقادي في
نفسي ان الله ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين وحكي عن سري السقطي
رضي الله عنه انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة ان يكون قد اسود
لما اخافه من العقوبة وقال رضي الله عنه من الناس ناس لو مات نصف احدهم
ما انزجر النصف الآخر ولا احسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات
المنقولة عن المشايخ رضي الله تعالى عنهم في المعنى وقد الف الشيخ ابو
عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه جزءا صغير الحجم عظيم الفائدة في عيوب
النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك الف قبله الامام
ابو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصائح جمع فيه من معايب

النفس وخدعها وغرورها جملة شافية كافية ونبه فيه على نبذ
واسعة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عنهم
من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به اعمالهم واقوالهم وتصفو
والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والسلامة من الحدود ومن
مخفيات الذنوب وقد نقل الامام ابو حامد الغزالي منه فصلا في كتابه
واعتمد فيه ذكره بلفظه وفحوى خطابه وقد اثنى على مؤلفه بما هو أهله
من العلماء اهل به عامة وفضله بفضائل جمة والقاضي رحمه الله من الائمة
في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات
الاعمال واغوار العبودية وكلامه حجة من بأن يحكى على وجهه في ذلك
وقد كان اوحد زمانه علما وعبادة وخشية اوانه ورعا وزهادة شيخنا
الصالح ابو العباس بن عاشر رحمة الله عليه ورضوانه يكثر من التحريض على
مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب والحث سمعت
مرات يقول لا يعمل فيه الا ولي وكلاما هذا معناه فليتخذ المريد
مطالعته وردا ويحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى و
سائلا منه توفيقا ورشدا فيفتح لمولاه في مراعاة اصلاح باطنه والا
الظاهر عن قدم العدو في مواطنه وليجعل همه في مطالعة كتب التصوف
ومجالسة اهله بالتقلب والتعرف فبذلك تقوى انوار ايمانه ويقينه
وتنتفع عنه الغرة في عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا من هو العمر

وما

وما يشعر به نفسه من مكابدة التعب واما من اشتغل نفسه بعلم
يغير به مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو
ما ارتكب الناس عليه اليوم وجادوا به عن سنن القوم حتى تعرض لهم
بسبب ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما ادارهم الى الهلاك
والشقاء واعقبهم النفاق في قلوبهم الى يوم اللقاء وحق عليهم
ما الكذب في دعواهم انهم قاصدون بتعلمهم رضى مولاهم فاياك واياهم
فقد اسمعتك لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي ولذلك قال

ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضى عن نفسه

فيما ذكره الصحبة انما هي ان يأنس مع الخلو وعدم النقصان
فيها حسبما يأتي الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من رضي عن نفسه وان كان عالما
لا يجدي لما في ذلك فيها لا علمه غير نافع وجهله الذي اوجب
رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكذلك اذا فاته نعم العلم الذي يريه
عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرض عن نفسه وان
كان جاهلا فيه حظ وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي
اوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكذلك اذا حصل
له هذا العلم لا جهل عنده **شعاع البصيرة يشهدك**

قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده
وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك
شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة
نور الحق فالعقلاء بنور عقلهم يشهدون النسبة وشاهدوا ربهم
قريبا منهم اي بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم يشهدون
انفسهم عدما بوجود ربهم والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق
ولم يشاهدوا معه سواه كان الله ولا شيء معه وهو الآن
على ما عليه كان الازمنة ... امور وهمية لا وجود لها على
التحقيق والمقصود ان الله لا شيء معه لثبوت احديته لم يزل كان ليس
معه شيء موجود ... برهان ... الغير الا ...
اذا ... الله ...
... وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك
إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال الهمة العلية ...
من رفع همته الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال
الجنيد رضي الله عنه الكريم الذي لا يحوجك الى وسيلة وقال الحارث
المحاسبي رضي الله عنه الكريم الذي لا يبالي من اعطى وقيل الكريم الذي
لا يخيب رجاء المؤملين واجمع العبارات في معنى الكريم الذي اذا قدر
عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم اعطى

... المتعلق ... من لا بد له والغنا ... عن الوسايل والشفعاء
فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها احد سوى الله تعالى ينبغي
ان لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم
حرام على من وحد الله ربه ... وافرده ان يجتدي احدا رفدا
ويا صاحبي قف بي على الحق وقفة ... اموت بها وجدا واحيا به وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها ... فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى
لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك
فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع
ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون
لها عن غيره رافعا اذا اورد الله تعالى عليك حاجة وانزل
بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع غيره
ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده بالافعال سواه واذ هو
غالب على امره لا يغالبه احد ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا
يستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه
ومن الجهل تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من
اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم ... منه
البعض ... كل نعمة ... ان ... اعطاه ...

رضي الله عنه لقيتا و... في الطريق فقلت حدثني حديثا احفظه

عنك يكون مقامي وأوجز قال أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام
يا داود أما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي
أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون
السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتي وجلالي
وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته إلا قطعت
أسباب السموات من يده وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد
هلك وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان إلى جانبي
رجل فسألته عن قصته وخبره فقال تعذرت نفقتي فقلت ومن تؤمل
لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت إذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبتك
ولا يبلغك أملك فقال وما علمك رحمك الله قلت إني قرأت في بعض
الكتب أن الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي
في علو مكاني لأقطعن أمل كل مؤمل غيري بالإياس ولأكسونه ثوب
المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأقطعنه من وصلي أيؤمل غيري
في الشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي ويرجو غيري ويطرق بالفكر أبواب غيري
وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي
أملني لنوائبه فقطعت به دونه ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت
رجاءه ومن ذا الذي قرع بابي فلم أفتح له جعلت آمال خلقي بيني وبين

متصلة

٢٤

متصلة فقطعته دوني وجعلت رجاءهم مذخورا لهم عندي فلم يرضوا
بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم أن لا يغلقوا
الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من
نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري وما لي أراه بأمله معرضا عني وما لي
أراه لاهيا إلى سواي أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته منه فلم
يسألني رده وسأله غيري أفتراني أبدأ بالعطية قبل المسألة ثم
أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبادي أليس الدنيا والآخرة لي
أوليس الرحمة والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس أنا محل
الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت
لأهل سماواتي وأهل أرضي أملوني ثم أعطيت كل واحد منهم من الفضل
مثل ما أعطيت الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص
ملك أنا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم
يراقبني ويثب على محارمي ولم يستحي مني قال رحمك الله أمل هذا الـ
حديث علي فكتبته فقال والله لا أكتب حديثا بعده قلت والأمل الذي ينبني
عليه هذا المعنى هو تحقق العبد بمقام حسن الظن بالله تعالى وقد أشار
المؤلف رحمه الله في ذكره بإشارة فقال **إن لم تحسن ظنك**
به لأجل وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك إلا حسنا وهل أسدى

إليك إلا منتنا حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس
فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه
من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به
لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والنعما وبين
المقامين كما هو ولذلك لا يخاف من الانقلاب والتغير في احدهما
ما يخاف في الاخر فان ارباب المقام الاول لما تحققوا بالمعرفة بالله
تعالى واحتظوا بانوار اليقين به اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم
فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب
المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم في
كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها بهم وبما يتضعف من تحمل
مكارهها قوى قلوبهم فلا تحمل لهم بالبراءة من خواطر سوء الظن
وتحدث النفس بما يقتضيه وجوه هلع وجزع فليكن العبد عند
ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وما اشبه ذلك والعيش النادر على الغالب قال ابو محمد عبد
الغني بن المعصف رضي الله عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان تكون
اولا يكون الا والوهم قاتل وهو لو فتشا بعين عقبت اذ ذلك للوهم
معلقا وحكمنا وكذلك الا مغلقا بالاذن الى الشيطان والنفس
جنس واحد التمعي قلت وحسن الظن يطلب من العبد في امر دنياه

وفي

٢٥

وفي امر اخرته اما امر دنياه فان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع
اليه من غير كد ولا سعي فيه او بسعي خفيف فيه ما جور
عليه بحيث لا يعوقه شيئا من ذلك تعلق الا من حيث [illegible] له ذلك
سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستبعد كلفة ولا يزعجه سبب
واما امر اخرته فان يكون قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحة وتوبته
اجوركم في دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال
الامر والتكثير من اعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة و[illegible]
نشاطه وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه اوثق الرجاء رجاء العبد
ربه واصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن شواهد حسن الظن
بالله تعالى التي ينبغي للعبد ان لا يفارقه فيها اوقات الشدائد والمحن
عدم ب
وحلول المصائب في المال والبدن لئلا يقع بسبب فقدكم ذلك في
الجزع والتسخط وسيلة هذا المعنى في كلام المولف وهو قوله
من كل انعطاك الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث جابر من استطاع
منكم ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه
الاية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
ولانه قال فيما يروي عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء و
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى

ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الا اعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله
بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه لان الذي
حسّن ظنه به هو الذي اراد الله ان يحققه له انتهى وقد روي عن ابي
النضر حيان قال خرجت عايدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن
الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه فلما راى
واثلة بسط يده وجعل يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس
على البغا فاخذ يزيد بن الاسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه
فقال له واثلة اسالك عن شيء تخبرني به فقال لا تسالني عن شيء الا اعلمه
الا اخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله تعالى قال ظني بالله حسن
قال ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي ان ظن خيرا وان ظن شرا وروي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك
قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك
وتعالى انا عند ظن عبدي المومن وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة
الله قلت الاخبار والاثار في الرجاء وحسن الظن بالله وسعة
رحمته اكثر من ان تحصى ومن اعتقد معانيها لم يرد المزيد فيكفيه هذا

المقام

٢٦

في هذا المقام من اراد الشفاء في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء
من قوت القلوب وكتاب الاحياء ثم بين رحمه الله الحال التي بمنازلتها
يتحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد
بباب الله تعالى وتعلق قلبه بوحدانيته واشار الى ان ذلك هو ابه
التعظيم ومنهج الامان لا تتوهمه ان النفس وتطلبه من النتيج المعقول
والمحسنات التي تعقلون وتزول عنهم بان خلاف هذا من عمى القلب ومما
يستعمل ان يعجب منه كل ذي لب فقال العجب كل العجب
ممن يهرب مما لا انفكاك له منه ويطلب
ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وهرب العبد من مولاه
باقباله على شهواته ومتابعة هواه وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود
جهله بربه لانه استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واثر العاجل
الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة
لاثر الباقي على العاجل ولعمل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم
اذ لم يلتفتوا لما وعدهم به فرعون من العذاب وعن الاحسان والانعام
والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بتوبيخه وما هددهم به من العذاب من
القتل والصلب على جذوع النخل فقالوا لن نوثرك على ما جاءنا من
البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض فقالوا والله خير وابقى

بقولاء استاقت قلوبهم وتنقصوا محبوبهم فكان منهم ما كان
لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير
والذي ارتحل عنه هو الذي سار اليه ولكن ارحل
من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى العمل
طلب الجزاء والدرجات ونيل الرتب العلية والمقامات لغرض في
الحال وهو شوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون بسبب
ذلك بقاء اعتبار النفس حتى يخلص لها رتبة ان تنال بسعيها موهبة
وتعده كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية في كونها اغيارا
وان كان بعضها انوارا وتمثيله بحمار الرحى مبالغة في تقبيح حال العا
ملين على رؤية الاغيار وتلك بعدها يهم الى حضر الافئدة بين يدي الله
تعالى الواحد القهار حتى يتحقق معنى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى
فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون اعمالهم
اخذا كونها لمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط
وعين النفات الى النفس على اي حالة تكون وهذا هو تحقيق الاخلاص
الكامل مع مشاهدة التوحيد الخالص جعلنا الله من اهله بمنه و
بفضله وانظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها

او

٢٧

او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فا
فهم قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه
وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام هذا الحديث
النبوي نبه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل والله
اعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه ولا نصيب له من
الوصول والقرب الذي خص به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله
فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا والخبر كما تقول
له زيد صديقي اي لا احد يوافقه غيره وكانه صلى الله عليه وسلم نبه بالقسم
الثاني بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة التي يريد ان يتزوجها
على حقوق الحظ العاجل وقوله فهجرته الى الله ورسوله فهو معنى
الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح
به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان
والتنقل فيها وهو الذي نهاه عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن
المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له التفات الى غيره ولا ركون الى غيه
ولقد احسن الشاعر بقوله هو كل ما اخلق الله ولم يخلق محتقر في همتي
كشعرة في مفرقي وقال رجل لابي يزيد رضي الله عنه اوصني فقال له ان اعطاك
من العرش الى الثرى فقل له لا اريد وقال ابو سليمان الداراني رضي
الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الجنة لاخترت الركعتين

لا ينبغي الغير دون من يحبه وبه الكفيل به وقال القشيري رضي الله عنه
احذر مكره ولو في قوله كلوا واشربوا من بعد لا تستغرقوا في الخلق
والتكريم كل عنه فانه لا يخدعك بقوله تعالى كلوا واشربوا فان لكل الاقدام
اكراما وانعاما فان في باطنه ابتلاء واختبارا حتى يظهر من هو منهم
ومن هو مع الحظ وقال رضي الله عنه **لا تصحب من لا ينهضك**
حاله ولا يدلك على الله مقاله قلت ها هنا في الصحبة
وهي اصل كبير من اصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك
استمر عليها شأنهم قديما وحديثا وقد نبه المؤلف على ما
في تصحبه بقوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله
بانها في الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة و
معنى الحال المنهضة ها هنا هو ان تكون همة متعلقة بالله تعالى
من نفعه عن المخلوقين لا يلتفت في حوائجه الا الى الله ولا يتوكل في اموره
الا على الله قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا
وسقطت نفسه من عينه فلا يثبت لها حولا وفعلا ولا يعتقد ان
لها حقا ويكون في اعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع فصحبة
من هذه حاله وان قلت عباداته ونوافله مأمونة الغائلة جالبة
لكل فائدة دينية ودنيوية ولا يشترط في المصحوب الاتصاف
بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما

يقتضي

يقتضي [illegible] ان يتصف منها بما يعود على صاحبه بنفعه حيث يكون
اعلى منه حالا واقوى منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف
وكان مثله في المعاملة بالظاهر لا يبقى عليه في صحبته بل
ربما زاد في شره الا ان خالطه لدعوه الى التصنع والتزين بزي
الكبار من معالم القلوب وما يثقل عليه من معالم الجوارح بحيث
قال ابو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه لان القى الله بجميع المعاصي
احب الي من ان القاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص
في حاله من حيث رجا الزيادة فيه وقال بعض الصوفية لا تعاشر
من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك
وعليك وانت عنده سواء وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب
ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض
الجنيد لي فلانا يصحبك ويكثر ذكرك فقال انه يحب الرواح له
[illegible] غيري ولكن يهون على ان الذي يشتهيه لا فيه ولا القال
من واحد قيل له كيف ذلك فقال اخشى ان اتزين له ويتزين لي
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وكانت هذه الطائفة
الصوفية لا يصطحبون الا على استواء اربعة معان لا يترجح
بعضها على بعض ولا يكون بينهم اعتراض من بعضهم على بعض ان اكل
احدهم النهار كله لم يقل له صم وان صام الدهر كله

٢٨

لم يقل له صاحبه احسنت وان قام ليله كله لم يقل له صاحبه يحسن
وان صام الدهر كله لم يقل له لم تغض ويستوي احواله عنده فلا مزيد
لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قال ابو ...
كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالمعرفة اسلم والعبد من
الحرابات من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهية الذم
مبتلات بان تزين حالتها التي عرفت به وان تكتم امر ما يحسن
عند الناس من ضده وان تجتنب ما يوجب المدح وتجتنب ما يوقع
الذم عنها فاذا صحب من يحمل معه تعذر عليها ذلك ومن نوع الصادق عنه دهم
ولا بصحبة المخلصين مجانبة هؤلاء الناس اهل الشهوة واهل
الكبر ومعاشرة ابناء الدنيا صفات القلب وتشطار ...
النفس لان معرفة الاسباب الرياء ربه الرياء حفظ الاعمال من
ابن المبارك السقوط من عين الحق ... كان الثوري رضي الله عنه
من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما
وقعوا وهلك فيه هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس
الا من لا يتغير عليك في اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه
وهواه لان هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الحظ منها
على النفس بفقد الاستماع وقال في موضع اخر من كان باخ ادا اخ
اخيه او في صحبته لكثرة احماله واتفاقه مع اكمل احواله دل على ...

حسده

بمشاهدة الطريق التي تؤدي الى التحقيق لا يقع تحول وانما العمل على معاني
القلوب ولا نسبة للمعصية الاصول فان اقتران الجهل بنفي معرفة
الحق دخل عليه التزين له والتصنع عندهم لتعلو منزلته ويحسن
الثناء عنده فيه خلاف لكنه الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التو
حيد فيزداد قدره بعد تبوته ويسقط من عين مولاه فلولا انه
كان النفس مبتلات بحب الثناء والمدح والتفات المنزلة باظهار
الوصف فيكون هذا الصاحب حضنه من اقدام الناس عليه واظهارهم
له ويصير احدهم ملامعا على صاحبه عليها رفيقه حضنه لانه جاء بعقل
فلا يعجبه لانه يجد النقصان بصحبته ويدخل عليه الافات بمعارفته
وليبعد بنفسه ويحذو في حالة عالية كانت او دنية وضيعة
كانت او رفيعة من غير مغايرة لاحد ولا مبالاة بوجه من الوجوه
عافية انتهى وهو يدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه
في التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله
ما عنينا به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال هنا
صريح كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى في عبوديته ودلالته
قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف
الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين
قال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه قلت لذي النون المصري

رضي الله عنه من احب ان يقال من لا تكتمه شيئا يعلمه الله منك
وقال حمدون القصار رضي الله عنه اصحب الصوفية فان للقبيح
عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع
يعظمونك به اشارة الى ان التعجب بالعمل منفي عند صحبتهم
وقال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه
الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال ايضا رضي الله عنه بشر الا
صدقاء من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال
من شر الاصدقاء من تكلف له وانشد ابو يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنه

احب من الاخوان كل مواتي • وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر احبه • ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت اني وجدته • فقاسمته ما لي من الحسنات

والحاصل من هذه الصحبة الصوفية وهي التي يحصل بها كمال
الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنتسبين الى الدين والعلم
لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخط [illegible] لم يشاركهم
فيها احد وسر بارز لك من الصاحب الى المصحوب هو
غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه
منه من جلس على دكان العطار لم يعدم الرائحة الطيبة هذا

في

٤٠

في الحضور والمجالسة فما ظنك بالصحبة والمؤانسة وفي
وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين احدا
غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شيء ولم يسخر
هو لشيء وسلط على كل شيء ولم يسلط عليه شيء ويأخذ النصيب
من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا
يكدر صفوه شيء قد اشغله واحد عن كل شيء ويعادله واحد من كل
شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها
وما اشرفها لمن اتصف بها وما اعزها في هذه الوجوه نفعنا
الله بهم ورزقنا من بركاتهم في صحبة امثالهم هؤلاء يحصل
للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات
وانواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى امر لا يسعه عقل
عاقل ولا يحيط به علم عالم قال سيدي ابو العباس المرسي رضي
الله عنه ماذا اصنع بالكيمياء والله لقد صحبنا اقواما يعبر
احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت
فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال ايضا رضي الله عنه
والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا
واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال ايضا رضي الله عنه
والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة وقد اغنيته وفي

قال فيه شيخه أبو الحسن رضي الله عنه أبو العباس هو الرجل الكامل
والله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء إلا وصله
إلى الله وسيأتي طرف من ذكره قال المؤلف رحمه الله في بغيته وما أوصله
إليه بركته في بغيته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه
برز وقال أيضا رحمه الله **ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك**
يعني اعلم أنها تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه
في الحال وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك إلى رضاه عن
نفسه ورؤيته لإحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم وقال رضي الله عنه
ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب معناه أن الأعمال على حسب قلوب العمال فما
صدر عن الزاهد في الدنيا من عمل طاعة وإن كان قليلا في الحس فهو
كثير على التحقيق وما صدر عن الراغب فيها من عمل بر وإن كان كثيرا
في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لأن الزاهد بسلامته من الآفات
التي تقدح في إخلاص أعمالهم من مراءاة الناس والتصنع لهم
وطلب الأغراض الدنيوية عليها منهم لأنهم زهدوا فيها فيتحصل
لهم قبول أعمالهم فيترقى قليلها بسبب ذلك ويكثر والراغبون
تعتريهم الآفات المبطلة لأعمالهم القادحة في إخلاصهم بسبب

رغبتهم

٤١

رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود
النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فإنه لا يقل عمل مع
التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة
لما تضمنه وجود الإخلاص وعدم رياء الناس في قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا فقيل يعني خالصا فسماه [illegible]
ونحو ما خلصت به النية لوجود الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة
لما اشتمل عليه من عدم الإخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى
يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ركعتان من ورع عالم خير من عبادة
المتعبد من أول الدهر إلى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة
للتابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قالوا ولم ذلك قالوا كانوا أزهد منكم
في الدنيا وعن بعض الصحابة تابعنا الأعمال كلها فلم نر [illegible] في أمر الآخرة
أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه
سألت معروفا الكرخي رضي الله عنه عن الطائعين لله تعالى بأي شيء
قدروا على الطاعة فقال بإخراج الدنيا عن قلوبهم ولو كان شيء منها
في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي
الله عنه شكا بعض الناس لرجل من أهل الخير أنه يعمل أعمال البر [illegible]

يجد لها حلاوة في قلبه فقال الا رعند كبيث ابليس ودهى اله بينها
ولا بد للتائب ان يزدرا ابنته في بيته وهو قلبك وللبد ترده خوله الا بعدادا
وكان ابو محمد سهل رضي الله عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء ور
العباد ثم يفسم على المومن ثواب اعماله ولا يوابه الذا ما احد افضل
من زهد وعالم ورع وقال ابن عطاء رضي الله عنه حسنت اعمال

في مقامات الانزال حسنت احوال ومن حسنت الاحوال من التحقق

الانزال حسن الاعمال تو بيتها بما يوجب
لها من شروطه واداب عبودية الله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا
ثواب اجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى
موسومة بالسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال وحوال
ذراد الفلب بما ينزله الحق تعلى فيه من مقامات العلوم والمعارف
بحيث ينتفع عنه كل شك وريب وهذه الثلاث المذكورة مرتب بع
بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد رضي الله عنه
لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم
ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المولف
نوع واستدلال على ما قاله في الزاهد والراغب وقال رضي الله عنه

لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك

من

من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود
يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر
مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما سوى
المذكور وما ذلك على الله بعزيز الذكر في الكهف
الولاية نعالي وهو علم على وجود الولاية كما قيل الذكر منشور
الولاية فمن وفق الذكر فقد اعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد
عزل قال بعض المشايخ الذكر اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الا
نفاسك حراسا قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر
عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة
البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع
الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها من الذكر ومن فضايل
الذكر اكثر من ان تحصى ولم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فا
اذكروني اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه صلى الله عليه وسلم
انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني ان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه
باعا وان اتاني يمشي اتيته الي هرولة لكن هو لك المشعار
والغيبة وهذا الحديث متفق على صحته وقد قال وخاطبه
انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما

وجوبا وإما ندبا وبخلافه غيره من الطاعات قال أبو العباس
رضي الله عنه لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها
حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه
لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا
على عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي
البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم
والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله عنه
الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون فينبغي
للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع
أوقاته ولا يغفل عنه ولا يصح له أن يتركه لوجود غفلته
فيه فإن تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه
أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلا عنه فلعل ذكره
مع وجود الغفلة فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه
وإن كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه
إلى الذكر مع وجود اليقظة ولعل ذكره مع وجود
اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره

مع

مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما
سوى المذكور قال الله تعالى واذكر ربك إذا نسيت أي
إذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله تعالى
وفي هذا المقام ينقطع الذكر اللساني ويكون العبد محوا في
وجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا
ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني سري وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كأن رقيبا منك يهتف بي إياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناك
وقال الواسطي مشيرا إلى هذا المقام الذاكرون في ذكره
أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه قال أبو
العباس بن البناء كلاما ذكره على سقط منه كتاب أبي جعفر
العزفي بن تفسير الأبرار الكبير الشافعي ونحو كتاب إلهام العقلية
في الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمة الله
عليه ومن حصل الذكر ما هاج عن خاطره وارد من المذكور
حال ذكره وهذا هو الذكر الخفي عند الصوفية على أنواع
شتى ومن التمكن فيه الأسرار ثم أما قولهم حتى يتمكن المذكور
في حالة لا يستغرقه عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا
اتحاد بل حكمة وقد زعم من هو بزعمه ويبان عند ذلك أن

يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل ولا يبقى فيه
غير الله جل ذكره فيجري القلب بين الخوف ويمينا سنه و
فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق
المسير لسانه الذي ينطق به فان ع بطش بعض هذا الذاكر كان
يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به فهو
استولى المذكور العلي على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فهو
فيها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فعلى
كيف يشاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف ود
تنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال اذ ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله تعالى قلب
ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح فؤاد
ام موسى فارغا اي فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى ب
فكادت ان تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل
كان تركها لعيني في ذكره حين لا ان ربط الله على قلبها
لتكون من المؤمنين بما اوحي اليها من قبل في شأن موسى
وبانه من المرسلين وبذلك تبين فتح الاشكال الذي ذكر ابو الحسن و
ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضد بين بادي الراي وهما

الذكر

الذكر والغفلة وبعده المعالم والمراقبة لا نعرف حقا نفيه
الى البساط الكون وجدانا والعمل ايمانا ويتصف بها باقي
والتكذيب بآيات الله فيكون من العم البكم في الكلمات
ولما كان المذكور لا يجوز عليه زمان وصف العبد والعدم و
لا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا
يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوالات المحدثين
ولا يجري عليه احكام المخلوقين فحضورها في عينا ومعنى شاهد
سرا ونجوى هو القريب من كل شيء واقرب الى الذاكر من نفسه
من حيث الاحاطة به والعلم به والمشيئة فيه والقدرة وان
التدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه اوصافه
او حد الاعداد فلا تحيط معانيه سبحانه وهو العلي
الكبير انتهى كلام الشيخ ابي العباس رحمه الله تعالى في معنى
المقام الثالث من مقامات الذكر وهو غاية الحسن
والتحقيق ومشير الى توحيد الخواص من اهل هذا الطريق
ولا ينبغي ان يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم
فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد التحول الى الاسباب
من الله تعالى في رفع الحجاب وقال رضي الله عنه من علا
مات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك

من الوفاة وترك الندم على ما فعلته من وجوه
الزلات ... القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته
من الطاعات وبوقوعه في اجتناب المعاصي والسيئات وفرح
في الخير من مسرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن فان
لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم
على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل ان اعمال
العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضى الله تعالى
عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله عبده للطاعات وترك
ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا
خذله ولم يعصمه من المعاصي ساءه ذلك واحزنه لانه
علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث
على الاجتهاد في الطاعات والياس من مقتها ان تركها وعدم
الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا والخوف يبعث على
المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات والياس من مقتها
فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وقد روي
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ اتانا ات فلما جاءنا ورأى جماعتنا
اناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا

رسول

يا رسول الله اوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها الدك
ستا واسهرت ليلي واظمات نهاري واضنيت راحلتي
لاسالك عن اثنتين اقلقتاني واسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
من انت فقال انا زيد الخيل قال بل انت زيد الخير سل فرب معضلة
قد سئل عنها فقال جئت اسالك عن علامة الله فيمن يريد و
علامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف
اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل
به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت
بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو اراد الله للاخرى هيأك
لها ثم لا يبالي في اي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم
ارتحل ولم يلبث وقال رضي الله عنه **لا يعظم الذنب**
عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب
كرمه ذنبه عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين
احدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع
عنه وصدق العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة
محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل
جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع

على النفس فلا جيد دعا كذا الجكاة ويقال ان الطاعة كلما استصغرت
كبرت عند الله تعالى وان المعصية كلما استعظمتها صغرت
عند الله تعالى الثالث ان يعظم عنده عظمة توقعه في الياس
والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فعده عظمة من
مومنة فاد حسن الايمان ونفى شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك
وجود جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع
نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله تعالى
حق المعرفة لا يستصغر ذنوبه في جنب كرمه وفضله فاذا
قدر للعبد او قبحة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر
عليه ان يغفر له قال بعض الشيوخ اعلم انه لابد في مملكته من
عباد هم منتصب الحلم وعلى ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع
الشفاعة واوجه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم
يستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي الحسن
فقال يا سيدي كان بجاورني البارحة من المنكرات كيت وكيت و
ظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا كانك
تريد ان لا يعصى الله في مملكته من احب ان لا يعصى الله في
مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته وان لا تظهر شفاعة

رسوله

رسوله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب كثرت اساءته ودلت
بحاله العشا او جنت له الرحمة من ربه فكن له راحما وبعد ايمانه
وان عطاء الله الشيخ فينبغي للعبد ان يستصغر ذنبه استصغارا لا
يوديه الى ان يتمادى به ايا سا من روحه فقنوطا من رحمته وسوء
ظن به بل عليه ان يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة
الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير للمومن من العجب
ما خلى الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا فيستفاد بهذا على
ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد
وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لها
حقه وعباداته ملاحظ لذلك ومستكثر له بخلاف الذنب لانه
يوجب له الخوف والحذر واللجا الى الله تعالى والبراءة من
نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه
والعجب يقبل على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب
يوديه الى الاستغناء والذنب يوديه الى الافتقار
او حاجة العبد الى الله تعالى الافتقار اليه وانزع الاحوال الى المو
منين ما يرده اليه ويقبل به عليه وقال رضي الله عنه
لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا
واجهك فضله اذا ظهرت العبادات العظمة

بطلت اعمال العاملين فاذا ظهرت حجة العدل على اهل الفضل ومعنته بطلت
حسناتهم وعادت صغايرهم كبايرا واذا ظهر وصف الفضل لمن احبه
اضمحلت سيئاته ورجعت كبايره صغايرا وقال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه ان وضع عدله لم يبق لهم حسنة وان نالهم بفضله
لم يبق لهم سيئة وصح قاله رضي الله عنه الهي ان احببتني غفرت
سيئاتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما احسن قول ابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه في دعايه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت
فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب
منك وسياتي من قول المولف في مثل هذا المعنى قوله الدهر
كم من طاعة تنبت وحالة مستدنية هي عين اعتماد عليها عدا له
اقوالنا منه فصله في
فانظر رضي الله عنه لا عمل ارجى للقلوب
من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك
وجوده في النسخة الموجودة بايدينا لا عمل ارجى للقلوب
ومعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة لا تلتفت
اليه القلوب ولا يعتبر به عند التفاته واعتباره صاحبه ويجره
من رؤيته فيبقى خشية مع ربه لا مع عمله ويكون لك على
حرف مضاف تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلوب وبه معناه
وسياتي من كلام المولف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله

فهم

فطهر الساير بهاليه والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم وشهود
احوالهم الواخره والغالب على الظن ان الذي قصده المولف وحقق
ذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه والحجاج
بهذا الحرف ونقدره على هذا الوجه ان نقول بسلامة العمل من الافات
ارادات ان حط بقبوله لان ما جبه مقوله تعالى وقد قال عز من قايل
انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الافات بانعدام النفس
النفس في القيام بحقه وتقصيره فيه فيغيب عنه اذ ذاك
شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه ولو
انه لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غافلا
عن شهود منة الله تعالى عليه فيه لوجب له ذلك العجب
المحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان رضي الله عنه
ما استحسنت من نفسي شيا فاستحسنته وقال ابو عثمان الحيري
رضي الله عنه كل ثقة من العبد الى ذات ما يتعلق به بيتك فذلك دليل
على انه لا يقبل منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما
انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض
العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك
عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه فاذا رفعه من رفع الحق تعالى لذلك العمل فهو لا يبقى

خيرك منه شيء فانه اذا انتفى في نظرك منه شيء لم يرتفع اليه فيتولاه
ليتولى نفسك وعبوديته فينبغي للعبد اذا عمل عملا ان يكون عنده
نصيبا منتسبا اليه اذ لولاه من انحطاط النفس ورعونة النفس حتى
يتحمل به وقال ايضا رضي الله عنه **انما اورد عليك**
الوارد لتكون به عليه واردا الوارد عبارة عما يرد على
القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك
ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة
منزهة عن كل قلب متكدر بالاثار متلوث باقذار الاغيار فاذا انما
اورده عليك لتكون به عليه واردا وقال ايضا رضي الله عنه **اورد**
عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار وليحررك
من رق الاثار الاثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك
وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما
اورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ليحررك من
ملكية من استرقك والاثار ثم الى هذا المعنى بما ضرب الله من المثل
للكل ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل هل يستويان مثلا فتسلم من يد الاغيار وحرر من رق الاثار كان
ان يكون المخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل وقال ايضا
اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك

الى

الى فضاء شهودك سجن وجوده هو شهوده لنفسه
ومراعاته لحظه وفضاء شهوده ان يغيب عن ذلك بشهوده عظمة
الله عز وجل ورؤيته قيام حركاته وسكناته به قال ابو القاسم
النصرآباذي رضي الله عنه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت
في راحة للابد وسبانه من كلام المواهب معنى قوله سجن وجودك
الكائن في الكون ولم يفتح له مبادي من الغيوب مسجون بمحيطاته و
محصور في هيكل ذاته وقال ايضا **انوار مطايا القلوب**
والاسرار انوار الايمان واليقين حاملة للاسرار والقلوب الى حضرة
علام الغيوب وتلك هي الواردات المذكورات وقال ايضا
النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس
فاذا اراد الله ان ينصر عبده امده بجنود الانوار
وقطع عنه مدد الظلم والاغيار نور التوحيد وا
اليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما
سجال فاذا اراد الله نصر عبده امد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه
مدد جنودها واذا اراد الله خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال
القلب الى العمل بامر محمود مولع في الحال متلذذ به في الحال
مالت النفس الى العمل بامر مذموم متلذذ به في الحال ومولع به
وتنازعا وتقاتلا فسارع النور الذي هو من امر الله تعالى الى

نصرة القلب وبادرت الظلمة التي هي من وساوس الشيطان ولمته
الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله
تعالى سابقة السعادة تأيد القلب بنور الله تعالى واستعان في
عاجلته ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال اليه واراده في الحال
بما يرجو ان ينتفع به في المآل وان سبقت له من الله تعالى الشقاوة
والعياذ بالله ذهل القلب عن النور واعمته الظلمة عن منفعة الآجل
واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه واراده في الحال
مما يحصل له من لذة المآل وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين
الجندين لا سبيل للعبد الا برجوعه الى الله تعالى والتجائه اليه وكثرة ذكره
له وحمده وتوكله واستعاذته من الشيطان الرجيم وهذه
العبارة [illegible] اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا
تعبر فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة ومعان متقاربة
متقاربة وعبارة [illegible] في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله عنه

النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب
له الاقبال والادبار قال هذه العبارة مختلفة لمعان متقاربة
المعنى في النور يعني كشف المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة
التي تقوم في القلب تعطي الحكم وهو حكمه بما تشاهده له والقلب
له الاقبال بما يقتضيه ما تشاهده البصيرة وله الادبار
[illegible]

تم كذا

49

فيكون العمل بما تشاهده البصيرة وقال ايضا لا تفرح ب
الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها
برزت من الله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح بالطاعة على
وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه
وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد [illegible]
هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد با
ختياره وارادته وحوله وقوته فهذا فرح مذموم منهي عنه
وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على
هذا الوجه فرح بالباطل وسيأتي في اخر الكتاب انواع الفرح بالنعم
وما يحمد منه وما يذم تامة مستوفاة وقال ايضا رضي الله عنه
قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية
اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلا
نهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها واما الوا
صلون فلانه غيبهم بشهوده عنها [illegible]
الله تعالى بنعمته على الفريقين من حيث جعل [illegible] لانهم لا يغفلون
معه ولم يدعهم لسواه في الظاهر والباطن [illegible]
والسالكون [illegible] ولله [illegible] في الشهود

والارض طوعا وكرها فما لهوا صلون فقطعهم عن ذلك بشهودهم له
حضرة قربه ومن شاهد الحق لم يشهد معه غيره اذ محال ان يراه وبه
يشهد معه سواه والسالكون فقطعهم عن ذلك عدم تحققهم با
لصدق والبراءة من الدعوى جملة ابدا متهمون لانفسهم في توفية
اعمالهم وتصفية احوالهم قال النهرجوري رضي الله عنه من علامة
من تولاه الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة
في اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعات
في فقره فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى
الله في فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال ابو عمرو اسماعيل
ابن نجيد رضي الله عنه لا تصفو لاحد قدم في العبودية حتى تكون افعاله
عنده كلها دعاوي وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو صفت لي تهليلة
ما باليت بعدها بشيء والى هذا المعنى يشير الحكاية التي تروى
عن الواسطي رضي الله عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سال اصحاب
ابي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يامركم به شيخكم فقالوا كان يامرنا
بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية
المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها
قال استاذنا ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وانما اراد الواسطي
بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في اوطان التقصير او تجويزا

للاخلال

للاخلال بادب من الاداب وقال رضي الله عنه ما بسقت اغصان
ذل الا على بذر طمع البسوق الطول يقال بسقت النخلة
بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع
غصن وهو ما ينقطع عن ساق الشجر ويجمع ايضا على اغصن والبذر
الحب الذي يزرع ونحو ذلك وكلها استعارات مليحة والطمع من
اعظم افات النفوس وعيوبها الفادحة في عبوديتها بل هو
اصل جميع الافات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد
عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه
ولا يحل لمومن ان يذل نفسه والطمع مناقض لحقيقة الايمان الذي
يقتضي وجود العزة التي اتصف بها المومنون انما تحرروا برفع
همومهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وتفقدهم به دون من
سواه وبهذه هي العزة التي منحها الله عباده المومنين قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين
كذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قال ابو بكر الوراق الحكيم
رضي الله عنه لو قيل للطمع من ابوك قال الشك في المقدور ولو قيل
ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان
قال ابو الحسين الوراق النيسابوري رضي الله عنه من اشتغل بنفسه

حصة يسيرة من الدنيا وقد قتلوا بسبب الطمع ومن طمع في شيء ذل
وبذله هلك وقديما قيل أتطمع في ليلى وتعلم انما تقطع اعناق الرجال
المطامع فالطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال
في التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر مما تتفقد ما سواه
وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع ببحر السبعة ابحر جميعا
لما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم علي بن ابي طالب
رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم
حتى جاء الى الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان
اجبتني عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد رأى عليه
سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما هلاك الدين قال
الطمع قال فما صلاح الدين قال الورع قال اجلس فمثلك يتكلم على
الناس قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول كنت
في ابتداء امري بثغر الاسكندرية فجئت الى بعض من يعرفني فاشتريت
منه حاجة بنصف درهم ثم قلت لعله لا ياخذ مني فهتف بي هاتف
السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول
صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى الى حروفه كلها مجوفة الطاء
والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك ايها المريد برفع همتك
عن المخلوقين ولا تذل لهم في شيء سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته

قبل

قبل ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها الرجل ما قدر لمضغه
ماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تاكله
٥١ بذل قلت تقدم لنا من كلام صاحب التنوير ذكر الورع في مقابلة
الطمع وكذلك في جواب الحسن البصري رضي الله عنه لما سأله
علي عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكيناه عنهما والورع
الورع الكامل لعامة الناس هو ترك المشتبهات وال[illegible]
اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع و
ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين كما قال
التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه
وهما تنبيه القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الا عليه
ولا ركون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل
مخرج وحال المستعد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه في جوابه المذكور
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر ان لا
تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله وقد ذكر
ان بعضهم كان حريصا على ان يرى احدا ممن هذه صفته فجعل يجتهد
في طلبه ويحتال على التوصل اليه بان ياخذ الشيء بعد الشيء مما له
ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لهم خذوه فمنهم من تناوله
فذلك هكذا ثوابا خذوه ولا يسمع من احد جوابا مما يقابله
اراده بكذا مرة الى ان ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده

ومنبته وقد ذكر أنه قال لأحدهم خذ ذلك فقال له أخذه لا مسك فإن
كان للعبد استشراف إلى الخلق وسبقية نظر قبل مجيء الرزق ونحوه
فمقتضى هذا الورع الواجب في الأدب أن لا يقبل بنفسه شيئا
معاتبا لنفسه على هذه الحال عقوبة لنفسه في نظره إلى أبناء جنسه
كقصة أيوب الجمال مع أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهي معروفة وكما
روي عن الشيخ أبي مدين رضي الله عنه أنه أتاه أحد الفقراء فنازعته نفسه
وقالت له يا ترى من أين هذا فقال إنما أعرفه من أين تعرفين بعد وقت الله
وأمر بعض أصحابه أن يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لنفسه لكونها رأت
الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل أهل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا
سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي
ذكرناه وأوضح الغرض الذي قصدناه بشيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة
من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه فإنه قال اعلم
أن الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في أخذ وعطاء أو قبول
أو رد وأن يكون الشغل له تعالى وأن تلقى الله كما هو من جميع
الأشياء والعلم والعمل لها قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم أول مرة وقال أيضا الورع أن لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون
بينه وبينه نسبة إلا في التحصيل ولا عنه إلا مع شرع لأنه لا بد رجع
لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن إلا وترى الله في
الحركة والسكون فإذا رأيت الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع
الله

الله بالحركة كرما لما نبيه كما قال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه وما أنا
إلا الله ذهبت وقال أيضا أجمع العلماء أن الحلال المطلق ما أخذ
من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل وقال أيضا
فضح الحلال الذي لا ينسى الله فيه إلى غير هذا من العبارات التي عبر
بها عن هذا المعنى وقال بعض هؤلاء الطائفة العبيد كلهم بالملوك
وأرزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم
من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل
رزقه بعز فلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم
بذل فالسؤال يشهدهم ويرى الخلق فيذلون لهم وأما الذين يأكلون
أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكد وأما
الذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته
فهو متعوب القلب معذب بانتظاره وأما الذين يأكلون أرزاقهم
بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز
فيأخذون قسمتهم من يده بعز وقال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه ليس مع الأنوار أسباب إنما الأسباب مع الأملاك قال الشيخ
أبو طالب رضي الله عنه معناه ليس في حقيقة الأنوار رؤية الأسباب
والسكون إليها إنما رؤيتها والطمع في الخلق من حجب مقام الأنوار
سلام وقد عقد المؤلف رحمه الله في كتابه أمثل فصل في هذا

المعنى وجعله جميع وظائف الآداب الدينية أصلا ومبنى فرأينا
نقله في هذا الموضع من صواب العمل متكفل إن شاء الله تعالى
فصل في الأصل قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى أن ورع الخصوص
لا يفهمه الأقل فإن من جملة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا الغيره
أو يميلوا بالحب لغيره أو يمتدوا بمطامعهم بالطمع في غير فضله وكرمه
ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأ
نداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والا
عتماد على الطاعات والسكون إلى أنوار التجليات ومن ورعهم ور
عهم عن زهرة الدنيا وتوقعهم الآخرة تورعوا عن الدنيا زهدا و
عن الوقوف مع الآخرة همة قال الشيخ عثمان بن عاشورا خرجنا
من بغداد نريد الموصل فإذا أنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها
وجاهها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومستحسناتها فلما
أعرضت عنها عرضت علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها
وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الأولى
لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها هي
لك وقسمك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن
المغربي وكان مقيما بثغر الإسكندرية حججت سنة من السنين
فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الإسكندرية فإذا على

فيقول

يقول في أذني العام القابل عندنا فقلت في نفسي إذا كنت العام
القابل هاهنا فلما عدت إلى الإسكندرية تجهزت للذهاب إلى
اليمن فأتيت إلى عدن فأنا يوما على شاطئها وإذا بالتجار قد أخرجوا
بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد بسط سجادته على البحر و
مشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فإذا أنا
بقائل من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو
الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه وأجل ثوابه
فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله عز وجل وعن الله والقول
بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في
جميع عمومهم وأوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا
يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا
يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم العلم على حقيقة
الأمر فهم في عين الجمع لا يتفرقون فهل أعلى ولا أسنى
سواه وأما من لا ورع له فالله يورعه عنه إلا أنهم مع
الجهلة لمنازلات الورع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث
فهو محجوب بدنياه أو مصروف بدعواه وميراثه التعزز بعلمه والا
ستكبار على مثله والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين
والعياذ بالله العظيم من ذلك ولا كالناس يتورعون عن هذا الورع

ويستعيذ ومن الله منه انه هو السميع العليم ومن لم يزده بعلمه
وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع
كثيرا من المجتهدين بفساد هممهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم فان نظرت فهمك انه سبيل اوليائه وحق عليك
متابعة احبائه فقد الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه فحاصل كلام
فحل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الا ترى قوله قد انتظم
فيه الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله
على البينة الواضحة والبصيرة الغالبة فهذا الورع [illegible] الابدال
الصديقين لا ورع المتقين الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم
اشتهر انما اوردنا هذا لما [illegible] هنا [illegible] حكاه متعلقة
بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع ومباينة من يد
بيان فيه في موضع انسب من هذا عند قوله [illegible]
من الملابسة [illegible] ما ذكره [illegible] قال رضي الله عنه في [illegible]
[illegible] ومثل [illegible] الطمع امر معنوي وهو ضد الحقيقة الو
جودية والشعر [illegible] فقه انقياده الى الامور الوهمية البا
طلة [illegible] من انقياده الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة
بينهما والطمع في الاساس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع
تصديق الظن الكاذب والطمع فيه طمع في غير مطمع و

ارباب

وارباب الحقائق يعزل عن هذا فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتو
كلون الا عليه ولا يثقون الا به فقد سقط اعتبار الاوهام والتخيلات
التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا
بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحيوة الطيبة والعيشة
الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اهل اليقين ومعنى من
مرايا اصول الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى
لو جاءه الى باب منزله جميع ما رغب فيه اهل الدنيا الا انه اشتغل و
النعمة معرضا عليه لم ينظر الى ذلك ولم يعنه طمعه فلم [illegible] منه بحال له
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى فلنحيينه
حيوة طيبة قال صلى الله عليه وسلم هي القناعة انت
حر ما قنعت عبد ايسر وعبد ما انت له طامع الطمع في الشيء
دليل على الحب له والاحتياج ان ينيله وذلك عبودية له كما ان
الياس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك
حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ونعم ما قيل

العبد حر ما قنع ۞ والحر عبد ما طمع ۞

وقيل لولا المطامع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء
لا فضل له وقيل ان العقاب يحلق في فضاء عظيم بحيث لا يرتفع
لحوق كل [illegible] ان [illegible] ولا تسمو همم الى الوصول اليه من [illegible] فقعد
لحم معلقة في شبكة فينزل له الطمع من مكانه فيتعلق في الشبكة
بجناحه فيصطاده صبي يلعب به وقيل ان [illegible] الحرص [illegible]

أسر عنه كان فلا غرو أن يسهل عن تلابع الشهوات كيف صبر
وكان يغدو صبيان ومع أمره من خبزة بلا ادام ومع الاخرة مع
هاتع كامخ فقال انزل بخبز معه كامخ لها صبر الحصن والكامخ
فقال يشتهي أن تكون كلبي فقال طاهر نعم فجعل فيكلا بين
وجعل يعض كما يفعل الكلب فقال فتى لعسالها أما أنه لو رضي
بخبزه ولم يطمع في كامخ لم يخ كلبا لطاهر وحكي عن بعضهم
أنه دخل على تلميذ له فقال لبيد التلميذ خبزا قفارا ولم يكن له
ادام فاعتز بنفسه يقلبه ان لين كان له اداع يقدمه الى استاذه
فقام الاستاذ وقال تعال معي فحمله الى باب السجن فسروا
الناس يضرب واحد ويقطع اخر ويعذب كل واحد بأنواع
العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء الذين لم يصبروا
على الخبز القفار وقيل ان رجلا اخرج من السجن في رجليه
قيد يسأل الناس فقال لا نسي اعطني كسرة فقال لو
قنعت بالكسرة لما وقع القيد في رجلك ومر رجل بحكيم
الحكيم يأكل ما تساقط من البقل على رأس فقال له لو
خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت
لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد ازدت
لا أذكر هاهنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لينتفع بها
كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية في أخذ
التبلغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء وزينة

منة

منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم
خرجنا الى مدينة جماعة جاهلا كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا
رجل عليه ثياب رثة وله منبع وهيبة ومروءة فقال ويعني
هاه ما من يبغي سافيا فعلت دونه من الغربة فاخرجنا
ما نعطف منه بليث لا يبتغي احتفاوا قبل وفر مكات اثر الله عينا
واثرت النعمة في كتفه موضعا وهو كالسرور الظاهر
ثم قال الكم غيره فلنا لا واصطنعنا له رضا بالدعاء فرده وحمد الله
تعالى نحو مشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد بالجدار اكل ما بيد
وادركني عليه الشفقة فقمت اليه سفطا كان معنا
واكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منه الغرض
بموقع وعرفنا من الطعام منه في وجهه وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي معدة جوع بما ابله بأي شيء رددت جوعها عني
رجعت عنه فقال لي رجل اتعرف هذا قلت لا قال انه رجل
من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب من اولاد سليمان
ابن ابي جعفر المنصور كان يعسكر السلطان فبات بجهد منه فخرج
معه ما جرى في تداري قال ما احتسب فمولانا تخصصت يبدو الحسنة
وقلت له يا فتى اذ انا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك
واحببت الاتصال بك فهل لك ان تعادلني وان يقع فضلا
من اهل بعض الخبر فقال لو اردت من الكلام في معرفة اثر انس
الي واجعل تعرفني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن

البصرة وكنت ذات يسر ونعيم وبذخ وانا امرأة خامدا لي
ان نحشو امر انشار حرير ومخدة بورد نثير فبينما انا نائمة
اذا بقمع ورد قد اغفلته الخادم فقمت اليه فاوجعتها
ضربا ثم عرفت الموضع بعد اخراج القمع من المخدة فاتلاني ان
بجسمي لآثار صورة بضيعة فيقرني وقال اخو من غشية وابد
رجز بذلك ثم انشاء يقول

يا هذا ان تو يسر لينا ... وسوف بعد الموت من الجندل
ما ضر لتقسط لما تسعرين ... فلتنعمي اذا لم تفعل

ما تستحضن من عافية حتى ما سعلة الى دهار بالهجر اخبر قال
الراوي فما افضى من بيته حتى افتتنت عينه ومضى ومن يقبل
على النعم بلا كفران ولا نسيان فيما ليس بعد نسك الامتنان النظر
من الخشية تفضل الله تعالى بالطاعات احسانه وموالاته
فضله وامتنانه والتعوض من المعصية لا اتقاء لا [illegible]
الامتنان ووقوع الطيب في الاقوال والابدال والنفوذ في
والتسلسل استعارة حسنة قال ابو عمر بن [illegible]
الله عنه سنة عز وجل استدعاء العباد لعباده
بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته
فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان
مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا وكرها ومن لم يشكر النعم
فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها شكر النعم

موجب

موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب
لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم
وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي
اذا غيروا ما بهم من الطاعات وكفى شكر النعم غير النعم تعالى [illegible]
منه من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه
الكلمة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود
وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا وحشيته فاشكر قيد الصبا
واذا [illegible] بالكفر فعقلها [illegible] والشكر على ثلاثة اوجه
شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر
القلب ان يعلم ان النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله وكثرة الحمد والمدح
له وجه خلقه فيما [illegible] بالنعم والتحدث بها ونشرها قال الله
تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه تذاكروا النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان
ايضا شكر الوسائط فلا تشكروا عليهم والدعاء لهم وفي
حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر
الناس لم يشكر الله وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الشكر

الناس لم يشكرهم للناس وسيأتي الكلام على هذا المعنى
في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر
سائر الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا
آل داود شكرا فجعل العمل شكرا روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله
تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا وسأل رجل ابا حازم رضي الله عنه وقال له ما
شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا اعلنته واذا رأيت بهما
شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا
اعلنته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال
لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما
شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما
شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيئا غبطته
استعملتهما عمله وان رأيت شيئا مقته كففتهما عن
عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر بلسانه ولم يشكر
بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه
ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجع

[illegible]

العبادات

العبادات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر
باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله
الجنيد رضي الله عنه حين سأله السري رضي الله عنه فقال الجنيد
كنت بين يدي السري رضي الله عنه وانا ابن سبع سنين وبين
يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
ان لا تعصي الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله
لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة فصل في وجود [illegible] مسألة
الكيد والاستدراج معناه ان يكون ذلك استدراجا له
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج بالنعم
من صفات المؤمنين وعدم الخوف مع الدوام على الاساءة من صفات
الكافرين فقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار
بزمان المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة
ومن كلام [illegible] قال في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
اي لا يشعرون بذلك وهو ان يلقي في اوهامهم انهم على شيء
ويبسر اكرامنا سنستدرجهم في ذلك شيئا فشيئا ونأخذهم
بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم
وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم
اسباب النعماء وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا
من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا نعمها برجوعهم منها اخذناهم
بغتة اي فجأة فاذا هم مبلسون اي آيسون فالكون

والرحمة. قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون: نمدهم بالنعم وننسيهم
الشكر عليها، فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا. وقال
ابن عطاء الله: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة و
ننسيهم الاستغفار من تلك الخطيئة. ومن جملة المريدين في سوء
الأدب تنوع العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب
لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث
لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد تقام مقام البعد من حيث لا تدري
ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد. فهذا نوع من الاستدراج الذي تقدم
ذكره. وسوء أدب المريد موجب لعقوبته، وتلك العقوبات مختلفة
فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها ظاهرة ومنها خفية، فأما
العقوبة الجلية فالعقوبة بالعذاب، والعقوبة الخفية العقوبة
بوجود الحجاب. فالعقوبة بالعذاب لأهل الجهل بالذنوب
والعقوبة بالحجاب لأهل إساءة الأدب ممن يرى مقام القرب.
وقد تكون العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه وإقامته
عنه مقام البعد منه، وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذي ذكرناه.
قال الشيخ أبو المهدي بن تتراند رحمه الله تعالى في الحال العظيم
كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على
قلبه وتبدل الأنس بالوحشة وانقطاع الصفاء بالظلمة
ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الأولى إلا أن تداركه

عنه

عنه الإمداد المتصلة والواردات المتواصلة فتنكشف عنه
حقيقة شمس العرفان وتنسد عنه الكشوفات والبيان
وهذه جنود الله تعالى في قلب العبد، فإذا فقد النصر من الله
تعالى نزل وقوع الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه
الذكر وحال بينه وبين الحق ورجع إلى مقام معنوي على عقبه لا
محالة وقد حل دار الصغرة المختارة، ونعوذ بالله من سوء
الغرور وعدم التوفيق إلى مراعاة أوائل الأمور. وما احتج به
المريد لنفسه من الكلام الذي ذكره المؤلف يقتضي بوجود هذه العقوبة
الشديدة لأنه كان يقول لو كان هذا سوء أدب لأخذني
دليل على رضاه تعالى واستحسانه لأعماله، وهذا هو الموجب
لعدم المريد الذي اقتضاه قطع المدد عنه، ولو كان المدد
متواصلا إليه لازداد عنه ما يقع منه من سوء الأدب، بل لما فعل
ذلك ولا استقل التيه وخود إلى مكره ولم يستحسن حال نفسه
ولم ير فضلا. قال سيدي أبو العباس رضي الله عنه: كل سوء أدب
يثمر لك أو دام فهو أدب، وهو الذي أوجب لك إبقاء المخلفة بينه
وبين ما أراد الذي اقتضاه إقامته مقام البعد، ولو كان تعامل
في القرب تعظيم ربه بقبضه وكان منه ما يرضيه في إرادته
وكان واقفا مع مراد الله به وإن أقدم على أمر بإرادته فهو مشهود
تداركه الله تعالى بالعصمة وعوقب عقبه ما أراد فهو سيقيم
مسؤوله ولم يجعله وما أراد ذلك. ويقال من علامات

التوفيق كذلك دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك ابتغاء
وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب الالتجاء والافتقار
الى الله تعالى في كل الاحوال ومن علامات الخذلان ثلاث تعسر
الطاعات عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك
مع الهروب منها وغلق باب الالتجاء الى الله تعالى وترك الدعاء
في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال
ابو حفص رضي الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت ادب
ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم في الاوقات ادب الاوقات
بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن
القرب ومردود من حيث يرجو القبول وقال ابو عبد الله
ابن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا
وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء احد
الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا
عوقب باطنا وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اذا
خرج المريد عن الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال
الثوري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته مقت
وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج
منا الى كثير من العمل وقيل لبعضهم يا سيء الادب
فقال لست بسيء الادب فقيل له من ادبك فقال الصوفية
والآداب اللازمة للمريد علامة في ظاهره وباطنه وفي آداب

الظاهر

الظاهر تنبع الآداب الباطنة وآداب الباطن هي التي تجانس
الاخلاق تخلقا وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ادبني ربي فاحسن ادبي ثم امرني بمكارم الاخلاق وقال
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل له ذلك
بعد توفيق الله تعالى الا بمعاناة الرياضة والمجاهدة
قال عطاء الله رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء
الادب والعبد مامور بملازمة الادب والنفس تجري بطبعها
في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة
فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكر
ناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص
زكي الفطرة كريم السجية صحيح العادة لا يحتاج في ذلك الى كبير
معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فهو
يحتاج الى زيادة تعب وقوة همة وشدة مجاهدة ترده
عن مخالفته وتقطعه عن بهيميته وتبعده عن رعونات النفس
ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب بآ
دابهم واتباع اوامرهم ونواهيهم فانه لم يجر افعاله على
مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة
والمجاهدة كل مبلغ وفي ذلك كفاية لمن جاهد نفسه وقد سئل
الزقاق رضي الله عنه عما يدفع الى الجهل اعوجاج فقال

بالتادب بالامام فان لم يتادب بالامام يعاقب بالحرمان واذا ادى العبد على
ذلك ترقت نفسه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظواهره انوار ذلك
فيكون من كان كذلك وبالجملة فمرموقة من ملازمة الادب حتى يتشفى به
الى الحال فيظهر على غيب امور غيره مستتر ثم في ظاهر العلم ويكون
ذلك في مجموعته عليه ذنبا من شاكله وقد يعاتب عليه ويعاقب
من اجله قال الجريري رضي الله عنه كنت ليلة من الليالي
ممدودة رجلي في المحراب فنوديت يا ابا محمد هكذا تجالس الملوك
فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي ثم قلت وعزتك لا امد
دت رجلي ابدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي منتصبا ستة
ما مد رجله ليلا ولا نهارا وقال الشيخ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
كان الاستاذ ابو علي لا يستند الى شيء فكان يوما في مجمع
فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحى
عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها
خرقة او سجادة فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك
فعلمت انه لا يستند الى شيء ابدا وقال ابو القاسم الجنيد
رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة
اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك يسال الناس فقلت
في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان اجمل به فلما انصرفت
الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك

فثقل

فثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت
ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل من لحمه فقد
اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته انما
قلت في نفسي شيئا فقيل ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب
واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط
من الماء عند تراجع الماء اوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل
فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله
لنا ولك الى غير ذلك مما ذكره رضي الله عنه والظاهر من مراد
المؤلف رحمه الله بالاساءة في الادب ما كان فيه نوع ما كان فيه
نوع من الرعونة والفضول الدنيوي والاتصاف بالكبر بصفة الوقاحة
والانبساط وعدم الاتيان بموقف العبودية والحياء وما اشبه ذلك
مما يخاف على صاحبه فيه نوع من الاستدراج والمكر به فالذي ينبغي للمريد
الا يتهاون بشيء من الاداب ولا يستخف بما يراه من التهاون
فذلك والاستغفار له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة
بالحكم والعمل وهذا فيه انواع سوء الادب فان وقعت منه
اساءة في الادب فليبكر ذاهبا من ذلك مستعطفا للامر فيه
وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية
ان تتوجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر والاكثر ما ينبغي ان
يجتنبه المريد من منطلبات هذه الجملة التي ظهر لنا انه
مراد المؤلف رحمه الله من انواع سوء الادب ان يوحى بخاص

منها

على ذلك، والاعتراض على الله تعالى وتعالى الشريف معه والتبري
من احكام المولى عز وجل في نفسه او غيره وان يبتهج لسانه او الشكوى
الى الخلق والعيب لما لا يوافق هواه ونقص بالنعم له ما دام الحق
فان خطر بباله او جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار
منه والتضرع عنه ولعل ان تشله منه منزلته واحسن الحسنات
وافضل القربات وما كان في هذه مقامات الرضى وبه يصل الى
غاية السعي وانعطافها لما ان توطينه عليه ونصاولته من اعظم
خطاياه واكبر ذنوبه ويوديه ذلك الى الضيق الا فراد والوقوع
في دركات النار نعوذ بالله من ذلك حكي بعض الصوفية ولد
صغير فلم يعش فمات كما انه ابله فقيل له لو سالت الله تعالى ان
يكمله فقال اعتراضي عليه فيما افضى اليه بمعونة اطلب وقيل
وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ
ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك
الذنب فقيل له وما هو فقال قلت مرة لشيء قد كان ليته لم يكن وقال
بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان
اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم رضي الجنيد
رضي الله عنه وقال الدعاء على الخصوص فيما تعانيه يقول مالك
والدخول بيني وبين ملكي ومقتضاه ايضا ان يعلق
قلبه بشيء من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان يترك
تعظيمهم واحترامهم وان لا يقبل ارشادهم فيما يشيرون

به عليهم فقد فاتهم الانتفاع والاستفادة لا تنويرها وذالوا ابدا وقال
الاستاذ ذكر ابو علي فقال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد
الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي في اهل السلوك فما صار
لم يصل الى مقصوده فيبلغه لان موجب هذا اعتراضه خاص فليحذر
على بعض شيوخه في بعض وقائعه فان الشيوخ بمنزلة الانبياء
للمريدين قال وفي الخبر الشيخ في اهله كالنبي في امته وكذلك يسري
اليه نظرة للتعلق والتصرف وتصرف الامارة والولاية
ومحبة الاستتباع في الرياسة ورغبة للجاه والحشمة والقبول
بين الناس واستعمالها فيهم الى ان يكن ويعظم ويتبرك به ويقبل
يده ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من اكبر الاشياء به وهو
لا يتخيل استخفافه لما هو عليه ويحب تعقد العيوب والتهام
نفسه في كل حال من احواله وذلك ملزوم منه فقال
ابو عثمان رضي الله عنه لا يرى احد عيب نفسه وهو
يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى عيوب نفسه من
يتهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزي
رضي الله عنه من استحسن شيئا من احواله في حال ارادته
فسدت عليه ارادته الا ان رجع الى ابتداء امره ورضي نفسه
ثانيا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
سمعت جدي يقول افة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه

فان استشعر المريد من نفسه شيا مما ذكرناه فليبادر الى قطع
موارده واستيصال عروقه من قبل ان يستحكم ذلك فيه
ويرسخ فيه اثبات الامور التي ينبغي ان تراعى كثيرا ومن
انواع سوء ادب المريد المفضي الى عظيم تنزله عن مقتضيات
الحقيقة الرخص التي يعتقد فيه عهد وهذا من اعظم الجنايات
الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد من محل القربة ولهذا
قالوا اذا رايت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخصة
الشرع فاعلم انه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده
بينه وبين الله وقال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد
استرامة الكرو في الراحة وتيسر شيء الطبع للمريد ومسا
محة النفس في قبول الرخص والتاويلات وقال يوسف
ابن الحسين رضي الله عنه اذا رايت المريد يشتغل بالرخص
فاعلم انه لا يجي منه شيء وقال ابو النعمان ابراهيم
بن شيبان من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص
ونعني بالرخصة هنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول
الشهوات واللذات والميل الى الاوطان والعادات
والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتا
ويلات فان حال المريد يقتضي ما ينشطه ويقربه الى الله وان
كان بعض ذلك مباحا في رخصة الشرع للعامة الناس
وكان ابراهيم الخواص رضي الله عنه يقول الا هذه

الشهوات

الشهوات التي اظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها
وجنت ابدانهم بعد اجتهادها واحجبت قلوبهم بعد قربها
والطاعات واماتتهم بعد حياتهم ونسوا الخلوة بعد الفهم
منها وتوكلوا للخبز بعد التوكل لها فسقتهم الدنيا بكاس
سمها فنظروا الى ظاهرها بعد الخشية فناموا بعد السهر
وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري فقال
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي وا
ما كان تعلق قلبه منها بشيء فايسر ما اعاقبه به ان
انزع حلاوة حبي من قلبه وفي اخبار داود عليه السلام
انه قال يا داود تنعم في بكاء وحزن نفسه لنفسه لا
في شيء منها واخرجت محبتي عنه اقطع شهوته في
فانما الجنت الشهوات لضعفاء خلقي ما بال الاقوياء
ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فان
الارض الدنيا حبيبي وزهده عنها يا داود لا تجعل بيني
وبينك عالما اسكر بالحب فيصدك بسكره عن محبتي اولئك
قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوا
ت بادمان الصوم يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك
امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك
مرفوعة وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه في بيان الرجل

وشبعوا

وجلات الصالحين حتى يجوز ستة عقبات أولها يغلق باب النعمة
ويفتح باب الشدة والثانية يغلق باب العز ويفتح باب الذل
والثالث أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع
أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس أن يغلق
باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادس أن يغلق باب الأمل
ويفتح باب الاستعداد للموت وقال إبراهيم بن أدهم رضي
الله عنه كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت
منه وأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت
وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير
فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت
كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء فقلت
أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك من
هذه الزنابير فقال أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته
أن يقيك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد ألمه الإنسان
في الآخرة ولدغ الزنابير يوجد ألمه في الدنيا وقال
السري رضي الله عنه إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين
سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها
فلما كان زاد الشهوات والشهوات من شأن المريد ومن مقته
في الله زهد الورع به وكان يحمل على خلافه نفسا ونعما
كما تقدم وقال جعفر بن نصر دفع إلى الجنيد درهما وقال

اشتر

اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف
في قلبي هاتف أما تستحي شهوة تركتها من أجلي ثم تعود إليها
قال شقيق البلخي قال لقيت إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه
بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس ناحية الطريق يبكي فعدلت إليه وجلست عنده
وقلت له أي شيء هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته
مرة واثنتين وثلاثا فلما أكثرت عليه قال يا شقيق استر علي
فقلت يا أخي قل ما شئت قال اشتهت نفسي سكباجا
فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني
النعاس إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه
بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقرب مني
وقال يا إبراهيم كل فقلت لا آكل شيئا قد تركته
لله تعالى فقال في قد أطعمك الله كل فما كان لي جواب
إلا أن بكيت فقال لي رحمك الله كل قال إبراهيم فقلت له
قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال لي كل رحمك
الله فإنما أعطيته وقيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعم
نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما
يحملها من منعها اعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة يقولون
من أعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت إن كان كذلك فها أنا بين يديك

لا اهل العقد كامع الله عز وجل ثم انبعثت واذا انا بعشر ارغفة ولا
شيئا وقال يا حفص كل انت فلم يزل يلقمني حتى شبعت
ما اشتهيت حلوا ونبذ وفي قال شقيق رضي الله عنه فقلت
ارني كفك واخذت كفه بيدي فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع
الشهوات اذا صححوا اليقين ويا من يقدح في الضمير اليقين يا من
سقا قلوبهم من محبته اتراك لشقيق عندك حال ثم رفعت بصري
ابراهيم الى السماء فقلت يقدر هذه الكف ويقدر صاحبها
بالجود الذي وجدته من هو عبدك الفقير الى فضلك واحسانك
ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضي الله عنه
ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال بعضهم ان الخلق لعبد الواحد
ابن زيد ان فلانا وصف قلبه منزلة ما اعرفها قال لا انه كان يأكل
مع خبز ذي ثمر او هو ابن يعمل الخير شيء اذ قال ان تركت اكل التمر
تعرف تلك المنزلة قال نعم وغير ممكنا خند يبكي فقال له بعض
اصحابه لا ارجع الله عينيك اعلى التمرة تبكي فقال ان عبد الواحد
وعمه وان نعيش فقد عرفت صرف عزمه في الترك فاذا تعوا الى
شيئا تعاود ذلك ابدا وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت
به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي
شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي فقد عزمت على التوبة
فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال

ابو بكر

ابو بكر الجلاء رضي الله عنه اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر
لك على عشرة ايام الكعكة بعد ذلك شهوة اشتهيها
فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه
الشهوة وقال ابو سليمان رضي الله عنه ترك شهوة
من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وقد انتشر خوف السلف رضي
الله عنهم من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا
ان ذلك علامة الشقاوة وراوا ان منع الله تعالى منه غاية السعادة
حتى روي ان وهب بن منبه رضي الله عنه قال التقى ملكان
في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق
حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر امرت بان
اهريق زيتا اشتهاه فلان العابد فان وهذا كالتنبيه على ان
تيسير الشهوات ليس من علامات الخير وقال ابو حامد
رضي الله عنه والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم
فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسباب ذلك ويكون ذلك
من الله تعالى ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر و
يستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك وفسدت
واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المراقبة واذا لم
يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول

اشتهوه وتعسر به انه يباض عليه بالكلية من اخلاق الامام
ابا عمرو هو حسن ومعناه صحيح فلتعتمد عليه ايها المريد
وقد يعمل الله ببعض هولاء الفقراء رحمة لدوامه عليه قال الشيخ
ابو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة ما خلا
لشهوات الا مرة واحدة تمنيت خبزا وبيضا وانا في سفر فعدلت الى
القرية فقام واحد وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني
سبعين ضربة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبي
فاعتذروا الي وحملني رجل منهم الى منزله فقدم الي خبزا وبيضا
فقلت لنفسي كلي بعد سبعين ضربة وقال بعضهم اشتهى
ابو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له
ذلك من وجه حلال فلما مد يده اليه ليأكل اخذت شوكة
من عظامه اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا
لمن مد يده بشهوة الى الحلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى ال
وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت جائعا في البادية
فرأيت الرمان مخضرا في ايامه فقصدته فلما دنوت منه
اخذوني واحضروني فلما دخلت البلد رأيت فيه منظرا
اعجبت ان نام فيه بالنعوم فاخذوني وضربوني فقلت
في نفسي من اين اتاني هذا الضرب على جوعي فنوديت
هذا انما اتاك ذلك لانك سكنت الى معارضة بقلبك وقلت
انهم يضربونني اذا دخلت البلد وحكي عن ابراهيم بن شيبان

رضي

٦٥

رضي الله عنه انه قال كنت مقيما واشتهيت شبعة من
الخبز والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرأيت على
باب المسجد قوارير معلقة فشبه لي انها خل فتوهمتها
خلا فقال لي قائل ما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمني فرض
فدخلت الحانوت فلم ازل اصب دنانها حتى اتيت على الجميع
فاخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني في السجن بعد
اشهر حتى دخل استاذي ابو عبد الله المغربي البلد
فشفع في فتشفعوا فيه فلما وقع بصره علي قال ما شانك
قلت شبعة خبز وعدس وضربها مائتي خشبة وسجن اربعة
اشهر فقال نجوت مجانا انتهى ووردت عقوبته بمثل ذلك الاجلة
على ظاهره ولم تنقدح فيها كنت فيه من سر امره وفلانه وله
مقام الربح ونجاة للضعفاء قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه وما اصدق ما قال فان مراد
به تبيان بما يتعاطاه من تتابع هواه فقد ضعف عقده
فعقباه بل يتصف بالتأديب سرا وجهرا ومعناه ق
حكاية خير النساج رضي الله عنه المشهورة ومعناها ما
ذكرناه فانظر فيها ففيها العبر للمعتبرين فقال
الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصير
في كتابه قال سالت خير النساج اكان النسج حرفتك

فقال لا قلت فما ابن يسعيك به قال عاهدت الله واستغفرت
الله ان لا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاشتريت نصف
رطل فلما اكلت واحدة اذا رجل نظر الي فقال يا غلام اس
بعرقت منه وكان له غلام اسمه خير موضع على شبهه وصورته
فجمعني واجتمع الناس فقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت
متحيرا وعلمت بما اخذت وعرفت جنايتي فحملني الى حانوته
الذي كان فيه يبيع غلامه وقال يا عبد السوء تهرب من
مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني بعمل
الكرابيس فعلمت ان الرجل عبد ان اعمل ما اخذت بالي لا
وكانه كنت اعمل من سنين فبقيت معه اشهرا انسج
لا فقعدت ليلة فنمت فقمت الى صلاة الغداة فبكيت
وقلت في سجودي الهي لا اعود الى ما فعلت فاصبحت
واذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت
عليها فاطلقت فثبت على هذا الاسم فكان سبب التسمية
اتباع شهوة عاجلة اذا عاقبني الله تعالى بالحلية فعافاني
الله بما سمعت في بعض الاخبار عن الله تعالى انه قال
ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرمه
لذيذ مناجاتي وكنت ان شاء الله تعالى جمعه
مجاهدة النفس عن محابها لو امانه في الخصوص ما تخفف

بيس

سير السالكين ولهذا المعنى كرهوا التلذذ بالشهي وشبع من غير ضرورة
محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته
وذلك في النكاح بمنزلة السم القاتل وقد قالوا وافق الشهوة
عن صحوته وقال بعضهم من بعض ائمتنا اجاهد العلم
تلك اذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم
في الدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج
امرأة او كتب الحديث وقال ما رأينا احدا من اصحابنا تزوج
وثبت على مرتبته وكان ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه
يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم الا تتزوج
فقال المرأة لا تصلح الا للرجل وانا ما بلغت مبلغ الرجال
ثم ما بينهم من مكابدة امر عيشه ومن مراعاة توفية حقوقهم و
معاشرة اهلانه واتباع مرضاتهن ما يشوش على المريد
حاله ويبعده عن طلبه وفتنته فان كان له معاناة امر نفسه
اعظم شاغل عن ان يتكلف الى نفسه نفسا اخرى مع ما
يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما
يكسبه بسبب ذلك من التلويثات والخصومة كلها
مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي
فقد ركب السفينة فاذا ولد له فقد غرقت السفينة

وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت اعول في
دجاجة خفت ان اكون جلوازا على الجسر وفي الخبر يجيء في
اخر الزمان قال وفي ذلك الزمان فقد حلت العزبة فيغير تكلف
قال يعني ومن بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد
الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد
المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف
الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وكان سهل بن عبد الله رضي
الله عنه ابى ان ولا استماع الى النساء والميل اليهن فان
النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن
مصايده وقطر بني ادم عطف اليه بكلبنه فقد
عصاه ارقة الشيطان ومن هاد عنه يبعد منه قال
قال الشيطان اذا اخذ كيده الذي يشتري بالنساء وان الشيطان
معهن حيث كن فاذا رايتم في وقتكم من فعل كن البغي بابيس
منه فيل له محبة النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من
دنياكم ثلاث اعد النساء وقال النبي صلى الله عليه وسلم
معصوم وقد بلغكم ما كان فيه معصوم ومعاوية ان ترجع
ظاهر او باطن ان الضعيف اذا ابعد عنه اعلمتم وان الله
له اعونه وان الله عز وجل جعلهن جنة فيعوذ بالله
من فتنتهن انتهى كلام سهل رضي الله عنه وقال حذيفة

المرعش

المرتعش رضي الله عنه كان ينبغي للرجل ان يخير بين ان يضرب
عنقه وبين ان يتزوج امراة في الغيبة لاختار الضرب بالعنق
على تزويج امراة في الغيبة وانما قال ذلك لما يلزم
من التزوج من اكتساب الحرام في طلب الانفاق في زمان
الفتنة وضرب العنق احسن حالا واجمع عاقبة من التعرض
الى طلب ذلك ومعاصي الله عز وجل وان قارف شيئا من ذلك
المريد فسود الى عقال في صفوفه قال الذي يعد الارادة اقبح
من شعير الذي الا ارادة وفي المثل يحرق بالخيانة الا تغتسر
عليه بالارادة وقال بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في مناجاته لو عمت عن مثل فنوبه بعد عظيم تعلم
ما هو الله الذي ارتبس الذنب في الفرح كالذنب في البعد
ميش بعضهم يلعب العاص حلاوة الطاعة فقال
تلذذهم بالمعصية ومن عظيم سوء ادب المريد ان يسئل
الى اهل الدنيا او ان ينعرف منهم او ان يصاحبهم قال
الشيخ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن اشد
البلية على المريد صحبة الاحداث وكتب الشيوخ ومن سان المريد
يتبعونه وهو يتعظ بهم قال الله تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
ومن تفقه من كلام المولف لا تصحب من يسقط حال نفسه

ومن ذلك أيضا معاشرة الأحداث والشبان وقبول إرفاق
النسوان فإن من تعرض لاستجلاب ذلك منهم فقد أشرف قال
يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه رأيت آفات الصوفية
في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفق النسوان قال
الإمام أبو القاسم ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة
الأحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ أن
ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله
ولو بألف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المبتدي
من صحبة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه فتح باب
الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء
وآداب المريد كثيرة وإنما نبهنا ها هنا على بعض ما
يعظم فيه الخطر والضرر مما أهمله بعض المنتسبين حتى التزم
عنهم بل الغوا في التوصية به والنهي عنه وجميع ذلك
يحتمل أن يكون مراد المؤلف رحمه الله في قوله من جهل
المريد أن يسيء الأدب وإنما أطلقنا هنا في هذا الموضع من هذا
التنبيه لأن ذلك ينفع المريد كثيرا والله ولي التوفيق
إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول
الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العار
فين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد عباد الله
المخصوصين بخصوصيته قسمين مقربين وأبرار فالمقربون

٦٨

هم الذين أخذوا من حظوظهم وإرادتهم واشتغلوا في القيام بحقوق
ربهم عبودية له وطلبا لرضاه وهؤلاء هم العارفون والمحبون
والأبرار هم الذين تقدموا الزاهدون والعابدون وكل واحد
منهم في مقامه الذي يوقفه فيه بعد الأدب اقتضى منهم القيام
بحقوق مقاماتهم على اختلافها فإذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى
في تعلق البر الظاهر ومواصلة الأوراد التواترية وأمده في ذلك
بالمعونة والتيسير فذلك من أخبار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك
لأجل أنك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الأخبار وبهجة
المحبين من الشغف برضا محبوبهم والانبساط والإدلال
بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الإلهي الذي أورده الله عليه
ما اشتغل بعمله وورده وهو لم يخرج من أنه عند الله و
حكمته عما يشاء فلم يستحقر خصيصي ما منحه ونستقل كثير
ما يجب وهل هذا إلا عمر وجوده وجهله ونقصان عقله
وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الورد إلا جهول
قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا الحق تعالى الا
خشيا رالشارع والشيعة الناقدة لا يستطل عما يفعل وهم
يسألون فطائفة أقامهم الحق لخدمته حتى طمعوا
الجنة وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اقتضتهم
بمحبته حتى طمعوا لقربته والدخول إلى حضرته وهم

العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
الزاهد صبر الحق من الدنيا والعارف صبر الحق من الجنة
ما دام يشهد العبد العبادة الله تعالى بهذه الاعمال والتخصص
منعه لك ما ذكرناه من الاستقلال وسلم الامر من بعده
الله به والاختيار فقال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله
على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا
فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ ابو نعيم في كتاب حلية
الاولياء عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال ان الله
تعالى يطلع على اهل قرية او بلدة كل يوم سبعين نظرة فيقسم لهم قسما
من نفسه فيما لا يجد قلوب العباد ولا قلوب الذين لا
موضع لتلك القسمة من نفسه فمن علمهم ان يشغلهم
بالتعرض لنعمه وقال بعض ابو العباس المرسي قدس سره
رضي الله عنه ان لله عبادا يحبهم بمعرفته فشغلهم
محبة منه ولله عباد لم يستطعهم بمعرفته فاشغلهم واستحق
شارة بالاية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله
في هذا المعنى وقال رضي الله عنه فلم تكن
الواردات الالهية الا بغتة صيانة لها ان
يدعيها العباد بوجود الاستعداد الواردات

الالهية

فلم تكن الواردات
الا بغتة

٦٩

الالهية بعد ايام من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده ويغترون
في الغالب الا بغتة اي فجأة لئلا يدعوها ويرون انفسهم اهلا لها
بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى ومواهبه مقدسة
عن ان تحل بامر وهي منزهة عن ان تقابل بعمل بل هي محض كرم وفضل من
الكريم المتفضل وقال رحمه الله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل
ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل
بذلك على وجود جهله الاجابة عن كل سؤال والتعبير لكل
مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود من اتصف بها
كما قيل لما اشار اليه عن كل سؤال فلتفطن منه الاحاطة بجميع
المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فكيف يتصور منه مع ذلك الاجابة عن كل سؤال لولا وجود
جهله وابطال ما يجب عليه ان يراعى حال السائل عن وجود الاجابة
لما سأل عنه فيمتنع عن الاجابة من اهلية فيه لذلك وتبعها فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاءه
يسأله ان يعلمه من غرائب العلم فانه استجهله وقال له ما فعلت في
رأس العلم وهكذا وهكذا اجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال اعلمك من غرائب العلم وقد اخذ
الله تعالى العهد على العلماء ان لا يكتموا العلم اهله كذلك اخذ عليهم
ان يضعوه في غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل

واما التنعيم الذي هو مقصود كل مؤمن ومن اشتاق الى الحق يجب له ...

فالى القلوب الاحرار قبور الاسرار واسرار امانة الله تعالى عند العبد

بشعاره بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخائنين وايضا فان الامور

المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال ال...

رات فيها افصاح بها واشتهار وفي ذلك ابتذالها واذا التشـ...

ار العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذو...

يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات القطعية فيوقع ذلك الى

نكار والقدح في علوم السادة الاخيار قال ابو علي الروذبار

الله عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي واما الفكر لكل

ولعدم تعريفه بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكر

لغيره استغربه وان كان يشفع به هو فبعدم تعريفه بين المعلو...

في كون من وجود جهله وقال ايضا انما جعل الله الدار الآخرة

محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع

ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان

يجازيهم في دار لا بقاء لها انما جعل ثواب المؤمنين

الاخرة فيما صح انه لو جمع اهل الدنيا لا تسع ما يريد

يعطيهم من انواع النعيم فيها ولا معنى لما الحصر فان الدنيا

متداعية المساحة ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى الواحد

في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة سبع

عا

عام فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مساحة الدنيا عن تعبية خزائنهم

واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والجفاء ...

والاشياء التي يتنعم بها اهل الجنة امور شريفة رفيعة كما جاء في ان

مقدار موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار

جوار يبهر نور الشمس وما اشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز من قائل

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه

عن ربه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المؤمنين

فلم يجعل النعيم الجزاء على كاعتهم في دار فانية منقضية منصرمة لان كل ما

يفنى وان كانت مدته كلا شيء بل اعطاهم الخلود في النعيم والبقاء ابدا

في الملك المقيم وناهيك بشرفها تسميته اياها باسمه الكريم وهو

الحي الذي لا يموت جاء في التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا ان الخبر يرسل

الله تعالى الملك الى وليه ويقول له استأذن على عبدي فان اذن لك فادخل

والا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه

كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي

لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني

فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق

على قلبه فيحمله بشوقه ويبقى البراق في الجنان يطلب سبيلا له الفقد وقال

من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول

ثمرة العمل من وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال با
لمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له نعم انه غالب الامر فقال
بعض العارفين لمريديه من اراد ورده عفوه يحتاج الى الصبر فيه فكان
من صبر على شدته افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس
ثم بعدها لذة التعود ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال
ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين
سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت
به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة
حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه
ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا
الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه
وما ذكرناه من الحلاوة والتنعم انما تنتجه الاعمال الصحيحة المستوفية
السالمة من الرياء والدعوى قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق
العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته
وقت مباشرة العمل وان الاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل
الله تعالى وقد جاء الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل على
ان العمل الخالص من الرياء والسمعة مقبول مع قوله عز وجل انما يتقبل
الله من المتقين وقبول الله تعالى العمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل لذلك

ب السلم

كما

كما بقوله المولف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار
حسبما ياتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين
بوجود الجزاء عليها اجلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة فيحصل من هذا ان وجدان
الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا والجزاء و
لذلك قال ابو الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة مواضع فان وجد
تموها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب
مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره وعند
الصدقة وفي الاسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال
جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات ولذاذة المناجاة والاستيناس
بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة وهي فنون المثوبات وعلو الدرجات
قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخا
لصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب
على السائل وقال اتراني اعبد من لا اعرفه فقال له اوتعصي من تعرفه وقيل
لبعضهم بم تعرف انك عرفته فقال لم اقصد مخالفته الا وجدت على قلبي
استحياء منه وقال اسماعيل بن نجيد رضي الله عنه التهاون بالامر من
قلة المعرفة بالآمر فاذا العصيان في حال العرفان بعيد فان وقعت
منه زلة او هفوة بحكم وكان امر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة
لذلك مرارة وانكسار قلبه موجدا ان هذه المرارة والالم في المعصية

علامة صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة موجودة فهي الحلاوة التي
هي الميزان للأعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي
يجدها المريد والجاهل عند الاغترار في بعض العبادات بعد حولة محمولة
على ما يجده من تشبيك العبادة للهوى الكامن على العبادة والحلاوة على
أنها حلاوة فإذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح
بها ولا يسكن إليها وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله إلا نيلها
لما له فيها من اللذة والحظ فإن ذلك مما يقدح في إخلاص عبادته وق
صد فإرادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لأعماله وحكما
لأحواله فقط. قال الواسطي رضي الله عنه وأقل ما في ذلك أنك إذا فتح
لك باب حلاوة الطاعة تجهر فإياها فيها ستطلبها حلاوة وتدعها فيفوتك
صدق الإخلاص في نهوضك لها وتحجب واسطة لا قيامها بالرؤية ولكن
لما وجدته من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن
إنما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء
تعجلته في الدنيا فلا يوم القيامة ولا جزاء لك. وقال رضه

إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر في ماذا
يقيمك هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى
من قلبه فإن الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه
وهذا الإنزال المذكور المنسوب إلى العبد هو معنى الإقامة المذكورة

إذ

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

إذ العبد لا يقدر له على التحقيق. قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
إنما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه. وقال الشيخ أبو طالب
المكي رضي الله عنه فإذا كان العبد لتنفيذ مولاه مكرمه ونحو ماله معطي
وإلى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في آخرته لوجهه مكرما
ولنشأته معطيا ولمسرته من النعيم المقيم مسارعا وإذا كان العبد
يعمل هواه متبعا ولنوار حرمه مستخفا وللشهوات مستصغرا كان
الله عز وجل له مهينا وبشأنه متهاونا وإلى ما يكرهه من العذاب إن أتيح
له مسارعا والعياذ بالله من ذلك. وقال وهب بن منبه قرأت في بعض
الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك إني عالم
بخلقي إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري لست بناظر في
حق عبد حتى ينظر عبدي في حقي. وقال رضه **متى رزقك الطا**
عة والغنى به عنها فاعلم أنه أسبغ عليك
نعمه ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد شيئان إقامة الأمر في
الظاهر والتعلق بالله في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فإذا
رزق الله تعالى العبد هذين الأمرين فقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة و
باطنة وإذ وصل إلى غاية الأمل في الدنيا والآخرة بسعادة جل وعلا. وقال رضه
خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك إن كان لابد
من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك ولا تستغفه على سبيل
العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لأنك

حينئذ تكون ربحت وله وتسعدك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان
طلبت منه نفسك ونيل مرادك بعد تحصيل ذلك تأخير ومنع مع
ما يعوقك حينئذ من حصول الأدب في الطلب حكي عن أبي الحسن الديلمي
رضي الله عنه قال وصف لي بأنطاكية أسمر أسود يتكلم على القلوب قال
فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيئا من المباحات يريد أن يبيعه فجئته
ومنه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلي ثم قال اقعد فإنك جائع منذ
يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فمضيت إلى غيره
وتغافلت كأني لم أسمع ما قال وبما ومتاغيره ما كان بيده ثم رجعت
إليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلي وقال اقعد فإنك جائع منذ
يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع في قلبي
منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيئا ومضى قال فتبعته فلعله
لأستفيد منه شيئا فالتفت إلي وقال إذا عرضت لك حاجة
فأنزلها بالله إلا أن يكون لك فيها حظ فتحجب عن الله ومن دعاء
أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه اللهم وكل سؤال أسألكه مع أمرك
بالسؤال فاجعل سؤالي إليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعبد
بسؤاله مواضع الحظوظ بل بتمثيل القيام بواجب حقك ومن دعائه
أيضا اللهم إني أسألك منك ما هو لك وأستعيذك من كل أمر يشغلني
اللهم ولا تشغلني بشغل من شغلته عنك ما أراده منك إلا أن يكون
لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك إلا ما هو

لك

لك اللهم اجعل غاية فرحي إليك ما هو لك ولا تجعل فرحي إليك
ما طلبته منك وقال أيضا **الحزن على فقدان الطاعات**
مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار
هذا هو الحزن الكاذب الذي يكون عنه الكاذب كما قالوا كم من
عين جارية وقلب قاس وهو من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه وأعطاه
ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضي الله عنها رجلا يقول
واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس
وأما الحزن الصادق فيجلي بالضد من هذا وهو مقام من مقامات السالكين
وهو يبعث على تلافي ما فيه من الأعمال والنهوض إلى الطاعات في كل حال
قال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله
عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين وفي الخبر إن الله
يحب كل قلب حزين وفي التوراة إذا أحب الله عبدا نصب في قلبه
نائحة وإذا أبغضه نصب في قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة وقيل الحزن إذا فقد من القلب خرب
ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فإذا الحزن الذي يخرج
العبد من نفسه إن لم يبعثه على النهوض وإلا لكنه اغترار فيتقيد د
بذلك من علامات الاغترار ويتبين بمقام السالكين الأبرار وقال
العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه
من إشارته بل العارف من لا إشارة له لفنائه في

وجودي وانطوايه في شهود الاشارة الطيب من
العبارة وادق كناية وتلويح وايما لا تصريح وهي التي يستعملها
اهل هذه الطايفة فيما بينهم عند ذكرهم الاسرار التي هي كما
تقدم عند قوله من رايته يجيبك عن كل ما سيل ومعنى لكلامه تشهد
بالمشير الى الله تعالى الا كاف لاشارته وان وجد الله تعالى اقرب
اليه من اشارته فهو عارف على التحقيق لانه بوصف التعرفة يشعر
ذلك الا غيا وبل العارف الغائب وجوده المنكوي في شهود الذي
غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سهل الله فانه رضي الله عنه
عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله عز وجل فيجد الله مع
نفس الاشارة فقيل له فالذي يستوعب حاله قال هو ان يجد الله
باسقاط الاشارة وسئل ابو علي الروذباري رضي الله عنه عن
الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار
اليه لا غيره وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة
من عين الحقائق وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها
الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس
لهم الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم من الله تعالى
اكثرهم اشارة اليه وقال ايضا **الرجاء ما قارنه عمل**
والا فهو امنية الرجاء شعار شريف من مقامات اليقين
وهو يبعثك على الاجتهاد في الاعمال الصالحة [illegible]

رجا

٧٤

رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه واما الرجاء الكاذب الذي يقعد
صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء
ولكنه امنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله تعالى قوما تمنوا مثل هذا او
اصروا على حب الدنيا والهوى وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلف
والخلف الردي من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي
رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا
سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد قالوا
من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك فليزعم ان طلب الربح في العقر
ونجح الفار من البحر صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن رضي الله عنه ان قوما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم
احسن الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قول الله
تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
وكان يقول رضي الله عنه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية
النوكى يحلون فيها والله ما اتى الله عبدا بامانيه خيرا في الدنيا ولا
في الاخرة وكتب ابو عمير المنصور الى بعض اخوانه اما بعد فانك
قد اصبحت تامل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك

وانما يتقوى حد بدا بالوارد قال ابن عباد رضي الله عنه مطلب العارفين
من الله الصدق في العبودية والقيام بحق الربوبية
مطلب العارفين من ربهم اعلى من مطلب غيرهم سواء كان عابدا او عالما
او زاهدا لان مطلب العارفين انما هو الصدق في العبودية والقيام
بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا التفات مع نفس وكل
من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام
المؤلف رحمه الله خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي ابو
مدين رضي الله عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من
همته رفع الستور ودوام الحضور وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه
بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتر
كك مع البسط واخرجك عنهما كي لا تكون لشيء
دونه مراتب القبض والبسط من الحالات التي تتعاقب على العارفين
وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريد المبتدئ وسببهما الواردات
التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات
وضعفها والمقصود هاهنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى
ما فوقهما لانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده من لطف الله بعبده
تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه قال
الجنيد رضي الله عنه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض
والبسط يقعان في الوجود واما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد

رضي

رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني
والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني بالرجاء ردني
علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيري
فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مؤنسي
بحضوري لذوق طعم وجودي فليته افناني عني فمتعني وغيبني عني فروحني
وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام
بعيد طويل لم ننقله هنا اختصارا فمن اراده فليطالعه هناك وقال
العارفون اذا قبضوا اخوف منهم اذا بسطوا ولا يقف
على حد الادب في البسط الا قليل انما اشتد الخوف
على العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملائمته لهوى
انفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الا انهم يخافون حينئذ من
رجوعهم اليه وقد وقع لطعم نفوسهم في ذلك الطرد والبعد وقد كتب
يوسف بن الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك
فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا ثم من تولاه الله عليه
في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك امر عظيم
في هذا الحال ولذلك قال لا يقف على حد الادب في البسط الا قليل
كما قال المؤلف رحمه الله وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط
وقال رجل لابي محمد الحريري رضي الله عنه كنت على بساط الانس وفتح علي
طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني

عن الوصول إلى ما كتب عليه فبكى أبو حفص وقال إن الكلب فهو هذه الحظ
لا كان أنشد كثيرا أبياتا لبعضهم وأنشأ يقول

فقف بالباب يا جهد هذه إذا ما رأيت ناحية حسرة وتشوفا
وكم قد وقفت بربعهن مستخبرا عن أهله أو سائلا أو مستعطفا
فأجابني داعي الهوى في رسمه فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال انبساطك مع الحق بغير أدب
قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا خشي الأكابر
والسادات قال بعض الطائفة المقام البسط مزلة أقدام الرجال فهو
موجب لمزيد حذرهم وكثرة خوفهم والقبض أقرب إلى وجود السلامة
لأنه وطن العبد إذ هو في أسر قبضة الحق وإحاطة الحق محيطة به ومن
أين يكون للعبد البسط وهذا أشكله والبسط خروج عن حكم وقته
والقبض اللائق بهذه الدار إذ هي وطن التكليف والبعد إلى خاتمة
وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال واجتمع بعض
الصوفية قال رأيت شيخنا في المنام بعد موته مقبوضا فقلت
له يا أستاذ ما لك مقبوضا فقال لي يا بني القبض والبسط مقامان
من لم يوجهه فيه الله به وما هب في الأخرى حاله وكان هذا الشيخ
الغالب عليه في حياته البسط انتهى وقال أيضا رضي الله عنه

البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح
والقبض لا حظ للنفس فيه في هذا الشارع لا تنعم من أن

مراعات

مراعات الأدب في البسط أمر عسير وذلك أن البسط وجود حظ
النفس فيستولي عليها الفرح بذلك ولا تتمالك حتى تقع في سوء
الأدب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان أسلم وكان الأستاذ
أبو علي الدقاق رضي الله عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ
العبد منه ولأن تكون بحقه منك أتم من أن تكون بحظك منه وأما آداب
القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيها من علماء الصوفية
ومصنفيهم وإنما وجدت لهم في ذلك إشارات إلى أمور جملية كقول
الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه بعد أن تكلم على معنى القبض و
البسط وتبيين معانيهما إلى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه
سببه فيجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه وسبيل صاحب
هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل
الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك
منه سوء أدب وإذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فإن
الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف
صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل
صاحبه السكون ومراعات الأدب فإن في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر
مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت
عن مقامي انتهى كلام الإمام أبي القاسم وقد رأيت كلاما مستوفى في
آداب القبض والبسط لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

فاحببت ان اذكره هاهنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المؤلف رحمه
الله تعالى وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اعم مما هو عند غيره
من ائمة الصوفية قال رحمه الله القبض والبسط قل ما يخلو العبد
منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق يقتضي منك
العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو ان يعلم سببه او لا يعلم
واسباب القبض ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت
لك او ظالم يؤذيك في نفسك او في عرضك او ينسبك لغيره [illegible]
ذلك فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبودية ان
ترجع الى العلم مستعملا له كما امرك اما في الذنب فبالتوبة والانابة
وطلب الاقالة واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص فبالتسليم
والرضى والاحتساب واما فيما يؤذيك به الظالم فالصبر والاحتمال
واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك وظلمك
لنفسك فان فعلت ما الزمتك به من الصبر والاحتمال اثابك سعة
الصدر حتى تعفو وتصفح وربما اثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك
فتدعو له فتجاب فيه وما احسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك
درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واما
اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار
فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا ورد القبض
بغير سبب تعلمه فالواجب السكون والسكون على ثلاثة اشياء عن الا

قوال

الاقوال والحركات والارادات فان فعلت فعن قريب يذهب عنك الليل
بطلوع نهارك او يبدو نجم تهتدي به او قمر تستضيء به او شمس تبصر
بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة
وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم من الهلاك واعتبر قوله تعالى
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون هذا حكم العبودية في القبض جميعا واما من كان وقته ال
البسط فلا يخلو من ان يعلم له سببا فالاسباب ثلاثة زيادة الطاعة
او نوال من المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا
بكسب او كرامة او هبة او صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من
الناس واقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك
البسط من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى اثر النعمة
والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيئا من ذلك لنفسك وخف ان
يلازمك الخوف خوف السلب مما انعم عليك فتكون ممقوتا هذا
في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهي نعمة
ايضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها واما مدح الناس لك و
ثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة مما ستر عليك وخف
من الله ان يظهر شيء مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك
واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال
والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول سلم الى الممات فقد

وآداب القبض والبسط العبودية جميعاً إن عقلت والسلام انتهى ما
ذكره الشيخ أبو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده سوابغ النعم
والمنن. وقال أيضاً رضي الله عنه: **ربما أعطاك فمنعك وربما**
منعك فأعطاك. منع الله تعالى عبده من نيل شهواته وكذلك
ته والكون مع شيء عاداته عطاء جزيل منه لأنه أبقاه معه وأنقذه
عن حظوظه وأغراضه وحريته منعه وعكس هذا هو المنع على التحقيق
وإن كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محي الدين ابن العربي إذا أعطيت
فذاك عطاؤه وإذا أعطيتنا فذاك منعه فاختر الترك على الأخذ
فالواجبة على العبد أن يترك التدبير والاختيار مع سيده ذلك فلن يعدم
منه خيراً. وقال أيضاً: **متى فتح لك باب الفهم في المنع**
عاد المنع هو عين العطاء. سيأتي بيان هذا من كلام
المؤلف في قوله متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره
إلى آخره. وقال أيضاً: **الأكوان ظاهرها غرة وباطنها**
عبرة فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب
ينظر إلى باطن عبرتها. الأكوان تعاطينا كل ما يمكن أن يكون
للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي في الصفة الظاهرة
فيه صفة الباطل لما فيك على وجه من صفة من ملاحة وتحف الثياب
العقل لو كان ذا لب فيتقي من حيث كان ظاهرها حلوة وبالنظر إلى باطنها
هيّنة قذرة فالنفس تنظر إلى ما يستحسن الظاهر فتغتر به فتهلك

صاحبها

صاحبها والقلب ينظر إلى مقاصده الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها
وقد روي في الكتب السالفة أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
يا روح الله من أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم
الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا إلى باطن الدنيا
حين نظر الناس إلى ظاهرها وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها
فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن
سيتركهم فصار ذكرهم منها استقلالاً وفرحهم بها حزناً فما عارضهم
منها رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا
عندهم فلم يجددوها وخربت بينهم فلم يعمروها وماتت في
صدورهم فلم يحيوها ويهدموها ويبنوا بها آخرتهم أحيوا
ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون
بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر الغريب وكان
بعض العلماء يقول إنما يستطيع في زينة من زخرف الدنيا ما كشف
في باطنها فيغضون عن ورق عنها. قال أبو طالب المكي رضي الله عنه
فغذاء عباده من الله لمن كان من أوليائه المفتين منه فمن شهد
الدنيا بأول صفتها لم يغتر بآخرها ومن عرفها بآخر حقيقتها
لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستحو زخرفها

وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل
قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن قال رضي الله عنه
إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن
بعز يفنى العز الذي لا يفنى هو الغناء عن الاسباب كلها بوجود
مسببها لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى
هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فا
لتعلق بها عز فان لا يبقى وليس لك الا احد الامرين لانهما ضدان
لا يجتمعان فان اخترت العز الباقي بالله تعالى فلم [illegible]
يدلك فيحكى ان رجلا امر بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه
هارون وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها لتقتله
برجلها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا
عليه الباب ففعلوا ذلك فرءي في بستان وباب البيت مسدود
فاخبر هارون بذلك فجاء بالرجل فقال له من اخرجك من البيت فقال
الذي ادخلني البستان فقال ومن ادخلك البستان فقال الذي اخرجني
من البيت فقال اركبوه دابة وطوفوا به في البلد وقولوا الا ان
هارون اراد ان يذل عبدا اعزه الله فلم يقدر فان اخترت العز با
لاسباب فذلك واسلمك لا حرج ما تكون اليه ولتقع في غاية
الذل والهوان حكي عن بعضهم انه قال رايت رجلا في الطواف

وبين

وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رايته [illegible]
يتكفف الناس على الجسر ويسأل شيئا قال فجعلت انظر اليه و
اتعجب منه فنظر الي الرجل فقال ما لك تنظر الي فقلت اشبهتك برجل رايته
في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال انا ذلك الرجل تكبرت في موضع
يتواضع الناس فيه فوضعني في موضع يتكبر فيه الناس قال
في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا
بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن تتعزز به قال وانشد بعض الف
ضلاء لنفسه: ليكن بربك عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت
قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال له ما شانك
فقال مات استاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك
من يموت ويقال له اذا اعتززت بغير الله فقد ذللت واستندت
الى غير معتمد وانظر الى الحكاية التي تقدمت عليه [illegible]
لتستعينه في اليم نسيانا انما الاله هو الملك الذي لا اله الا هو [illegible]
[illegible] عليها قال رضي الله عنه الطي الحقيقي ان تطوى
مسافة الدنيا عنك حتى ترى الاخرة اقرب اليك منك
طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا اشرق نور اليقين
في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى

الحضرة حاضرة لديه موجودة عنده بل إنما هي الغيبة منه إذ ذاك
جاثية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته فلا يتبع
منه حب العاجلة الدنيا وهو الدنيا واستبدل الباقي بالفاني والباقي هو
الآخرة ولذلك كان أهل الرغبة في الدنيا وإيثارها على الآخرة ضعفاء
اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير
ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهي الفانية فلم تكن قيمته عند الله
تعالى شيئا فقد فاته الطمع الحقيقي لمسابقة الدنيا إلخ بعض
بعض أهل الأحوال وأوليائه وبه تتحقق عبوديتهم لربهم عز وجل إلا هي
مسابقة الأرض إلخ ربما يكون استبدل راحة وسكرا [illegible] الأيام
والأيام بالوصول والصيام وترك الشراب والطعام إذ لم يتحقق
طاعة وبرا وسياسة من كلام المؤلف رحمه الله لو أشرق نور
اليقين لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا
قد ظهرت كسفة الفناء عليها وقال أيضا رحمه الله

العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله عز وجل إحسان

وعطية المخلوق حرمان على التحقيق لما فيه
من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع
الله لك إحسان لأنه أهلك الوقوف ببابه وعاملك من وجوه
جماله وإن شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من

وجود

وجود محبتك إياهم على ذلك وتعلق منقود [illegible] عطاءه وهو المنع
من الله إحسان لأنه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولقد حذر
الغافلين [illegible] وغير محض [illegible] قبل الأشياء [illegible] وأحب
في وصية [illegible] لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد
نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن أثقل من الصبر
على العدم وما أخرج عن التراهة [illegible] من سرور العابدة وقال

جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة

جزاء الآخرة لا يختص بالدار الآخرة بل ربنا فهو الحق تعالى منه
لبعض أوليائه في الدنيا أنموذجا يجلسهم على [illegible] بدل
عمال [illegible] وجود [illegible] في كل الأحوال [illegible]
دعيم بفضله سبحانه جل وعلا وقال رضي الله عنه كفاك من

جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا

فهذا أيضا جزاء المعجل [illegible] بعظمته وجلاله [illegible]
ما استحق وأمنع أنفسهم أن يكونوا أهلا لذلك [illegible]
بطاعته [illegible] وسعوا فيما هم [illegible]
[illegible] ما تحسنت [illegible] نفوسهم [illegible]
[illegible] وذهب [illegible] كل مذهب [illegible]
هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين

الخبر بمنعهم وجد على التطلع الى غيره من الحظوظ الا
جله وقال ايضا رضي الله عنه كفى العاملين جزاء ما هو
فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده
عليهم من وجود مؤانسته هذا بيان اخر
لما ذكرناه من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم
يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من انواع اللطائف
ما يستغنون به عن طلب الاجر ويتنعمون به في حضرة القدس
وهذا من علامة وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى دونه
كل جزاء ويستصغر وكان بعضهم يقول التملق للحبيب وانما
جانت الغريب في الدنيا ليس من الدنيا انما هو من الجنة الكنهم
لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم والجنة سواهم روح
لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم
اهل الجنة الا ما يجده المتملقون قلوبهم بالليل من حلاوة المنا
جاة وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على ابي سليمان
الداراني رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك
فقال احمد ولم لا ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل
حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم
عهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه

عليهم

عليهم فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح
الى ذكري واني لمطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى
بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رايتم
حبيبا يعذب احباءه ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جنهم
الليل تملقوا لي فبي حلفت اذا وردوا علي القيامة لاكشفن
لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم من عبده
لشيء يرجوه او ليدفع بطاعته ورود
العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه عمل
العاملين لاجل حصول الجزاء او حذرا من عقوبة المولى دخول
معلول ليس من شأن العارفين والمحققين لان قيام العبد
بحق اوصاف مولاه يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب
او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ولا
يستحق عليه هو شيئا ومن اعلام المحبة ليس يتعلق بالمحب
بجتمع الهم بامر محبوبه لا مراده انما مراده ما اراده العبد ان
يعمل لله عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد
صفاته التي لا يشارك فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه
لم يوف بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم
حبه له وجهه فيه قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه

ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهّال
بالله تعالى إلا من يؤثر الله على نفسه وروحه ودنياه وآخرته
وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه إن أود
الأوداء إليّ من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها
وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة
أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع قال الله عز
وجل وفي أخبار عيسى عليه السلام إذا رأيت الفتى مشغوفا
في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عن من سواه ومر عيسى على طائفة
من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال
من أنتم فقالوا نحن عباد فقال لأي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله
من نار جهنم فخفنا منها فقال حق على الله أن يؤمنكم مما خفتم منه ثم
جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم
قالوا شوقنا الله إلى الجنان وما أعد فيها من النعيم لأوليائه
فنحن نرجوه فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم
ومر بآخرين يتعبدون فقال من أنتم فقالوا المحبون لله تعالى
لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته ولكن حبا له و
تعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم
فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر أنه قال للأولين مخلوقا

خفتم

٨٢

خفتم ومخلوقا أحببتم ثم قال للآخرين أنتم المقربون قال
الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول
والمعنى في هذا المقام جماعة من التابعين بإحسان منهم أبو حازم
المدني كان يقول إني لأستحيي من ربي أن أعبده خوفا من العذاب فأكون
مثل عبد السوء إن لم يخف لم يعمل وأستحيي أن أعبده لأجل الثواب ف
أكون كالأجير السوء إن لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة
له قال الشيخ أبو طالب ولقد ورد معنى هذا الكلام عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف
عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجر لم يعمل وقال بعض إخوان
معروف رضي الله عنه له أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء أهاجك
على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت
فقال وأي شيء الموت فقلت ذكر القبر فقال وأي شيء القبر فقلت
خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا
كله بيده إن أحببته أنساك جميع هذا وإن كان بينك وبينه
معرفة كفاك جميع هذا قال أبو طالب حدثت عن علي بن الموفق
قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على
مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات
وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه

فوق ما يدخل بعضهم الجنة ويرد الآخرين جاوزتهم إلى حظيرة
القدس حتى رأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر إلى
الله تعالى لا يطرف فقلت يا رضوان من هذا فقال هذا معروف الكرخي
عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا له فقد
أباحه النظر إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث
وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم وقال أبو طالب المكي روينا عن رابعة
العدوية وكانت أحد المحبين وكان الثوري يجلس بين يديها
فيقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول
له نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم
قولها وكان عالما زاهدا إلا أنه كان يؤثر كتب الحديث والإقبال
على الناس وهي أبواب الدنيا وقال الثوري يوما لكل عبد
شريطة ولكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك قالت ما عبدت
الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء إن خاف عمل ولا حبا للجنة
فأكون كالأجير السوء إن أعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا إليه
وإلا نار والخلاف في هذا المعنى للشيخ فإذا عمل المريد على
ما ذكرناه كان عبد الله حقا فأما من طلب منه الثواب واستعاذ
من العذاب فإنما يطلبه ويستعيذ به لانتجاز الموعد ربه وجهارا
من عوى أيضا عدم حقه واتباعا لما أخبر منه وإذ لم يفه

من

من طلبه لفضله وإحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما أشبهه
هو المعني بالحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة قال أتشهد
ثم أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار والله ما أحسن
دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن إلا أن يكون حامله
بحوالة ذلك وخرجه من جعفره بأعماله على القيام بطاعته وملازمة مع
عبادته فيكون عمله إذ ذاك مدخولا معلولا نعوذ منه هباء
العارفين الحضرة وعليه تنبني قواعد الصوفية كلها وقال

متى أعطاك أشهدك برّه ومتى منعك
أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف
إليك ومقبل بوجود لطفه عليك المطلوب من
العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية وذلك
سمة العبودية ولا سبيل لهم إلى معرفته إلا بتعرفه لهم وتعرفه لهم
إنما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الأحكام
ثم هي على قسمين ما وافق الغرض والطبع ويسمى ذلك عطاء ومنه
ما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطاء يشهد صفات البرية
من الجود والكرم والإحسان واللطف والعطف وغير ذلك و
بوجود المنع يشهد صفات القهرية من الجبروتية والكبرياء و

والحرية والاستغناء فينبغي لك ايها العبد الاتقى في منحك ان اردت
معرفة ربك ولم يستشرفك حب حظك اذا فيمنعه لك عطاء على
التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه
اليك وهذا المعنى بيان لما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم
في المنع عاد المنع عين العطاء والله اعلم قال سفيان الثوري
رضي الله عنه اتيت ابا حبيب البدوي لاسلم عليه ولم اكن رايته فقال
لي انت سفيان الثوري الذي يقال قال فقلت نعم نفعني الله تعالى
ببركة ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما راينا خيرا قط الا من ربنا فلنا
اجل فاذا عهد التناكره لعله من ثم نرجوا فضلا منه ثم قال يا سفيان
منع الله اياك عطاء منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم
وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان ان فيك لانسا ومعك
منشغل قال ثم اقبل على غنيمته وتركني وقال رضي الله عنه

انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه

اذ لو كان منع الله تعالى وعطاؤه نعمتان عظيمتان كما ذكرناه الان
فينبغي ان يكون بهما كلتيهما فرحا غير انه يريد ان يتألم بالمنع ويلذه
العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه بل الاكمل والاولى بقلبه
ان يألم بالعطاء ويلتذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه
لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما التعفف بالله

والاخرى

والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا
ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع افضل من نظره له
في العطاء وعلامة صدقه في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما
لا يجد للعطاء لا يعرف غير بارئه الذي خصه بمعرفته واباد فيه
فصار لا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شيء
له تابع وكل شيء به خاضع انتهى وقال رضي الله عنه

**ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول
وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول**

ينبغي
ان لا ينظر العبد الى صور الاشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعة
قد تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة
في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود
صورة الذنب لا يقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا
في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب ادخل
صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
وذلك ان المعجب عند عمله بالطاعة ان يعجب لها ويعتمد عليها
ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويستعجب عنده وقوعه

في الذنب الالتجاء إلى الله تعالى فيه والاعتذار إليه منه والاستصغار
لنفسه والتعظيم لمن لم يفعله قال أبو حازم رضي الله عنه إن العبد
ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله له من سيئة أضر له
منها وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله
له من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة
تسره فيتبختر فيها ويرى أن له فضلا على غيره ولعل الله أن
يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وإن العبد ليعمل السيئة
تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى
الله في جوفه لباق ثم بين المصنف رحمه الله هذا المعنى بقوله

معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا

الذل والافتقار من أوصاف
العبودية والعز والاستكبار منافيان لها لأنهما من
صفات الربوبية ولا خير في الطاعة إذا لزم عنها شيء مما
ينافي صفات العبودية لأنها تحبطها وتبطلها كما لا
مبالاة بالمعصية إذا لزم عنها صفات العبودية لأنها
أيضا تمحوها وتزيلها قال شيخ أبو مدين رضي الله عنه
انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان شيخ أبو العباس
المرسي رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود

وسع

٩٥

وسع الرحمة وكان يكثر الناس على نحو تنبيهم عند الله تعالى
حتى إنه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه
عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو مستكبر بعمله ناظر لفعله
وذاك العاصي دخل عليه بكسرة معصيته وذلة مخالفته وقد
تقدم مثل ذلك المعنى عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة
تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ومن هذا المعنى ما روي عن أبان
ابن أبي عياش رحمه الله قال خرجنا يوما من عند أنس بن مالك رضي الله عنه
بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل
آخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها
أحد فلأكونن رابعهم فمشيت معهم فلما وضعوها بالمصلى
قالوا لي تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت
وصليت عليه فقلت لهم ما القصة فقالوا أكترتنا تلك المرأة
بمال فقعدت حذوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة
وهي تضحك حذوها قليلا فقلت لا ينجيك إلا الصدق وأخبريني
بسر القصة فقالت لي إن هذا ابني مات ولم يترك شيئا من المعاصي
إلا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال يا أماه إذا أنا مت فلا تخبري
بوفاتي جيراني فإنهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي
واكتبي على خاتمي هذا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

واجعليه في كفي فلعل الله تعالى يرحمني وضعي رجلك على خدي وقولي
هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتني فارفعي يديك الى الله تعالى
وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما اوصاها
به فلما رفعت يديها الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح
انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي
فانا اضحكت من هذا ومن هذا المعنى الاخر ما روي ان رجلا من
بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد
فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر لك فاوحى الله عز وجل اليه
ايها المتألي بل انت لا يغفر الله لك قال الحارث المحاسبي
رضي الله عنه لانه انما تألى على الله عز وجل لا يغفر الله لعبد فقدر
نفسه عنده وان لها مكانة عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها
الله تعالى لعباده وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر عند
الله عز وجل فجمع عجبا وكبرا واغترارا بالله عز وجل وروي المعتمر
جميعا ان عيسى عليه السلام خرج ومعه صالح من صالحي
بني اسرائيل متقشف فدعا الله عز وجل فتبعهما رجل خاطئ مشهور
بالفسق فجلس فقعد منتبذا عنهما منكسرا ودعا الله عز وجل
وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين
العاصي فاوحى الله الى عيسى اني قد استجبت دعاءهما جميعا

ردد

رددنا ذلك الصالح وغفرنا لذلك المجرم وروي عن الشعبي رضي
الله عنه وروي ايضا عن الجلد بن ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال
له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده فمر برجل اخر من بني اسرائيل
يقال له عابد بني اسرائيل وعلى راس العابد غمامة تظله فقال الخليع
في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو
جلست اليه لعل الله عز وجل ان يرحمني به فجلس اليه فقال العابد
في نفسه انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي
فانف منه وقال قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمان
مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد
وفي حديث اخر فتحولت الغمامة على راس الخليع قال الحارث
المحاسبي وانما اراد الله عز وجل من عباده قلوبهم فيتقربوا
ربهم فيبغا القلوب بهم فاذا تكبر العالم والعابد والنعا وتواضع الجا
هل والعاصي وذل كان احب الى الله عز وجل فانه بهذا اطوع لله
عز وجل من العابد والعالم بقلبه وقال ايضا رضي الله تعالى عنه

نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد

نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود
باق لانه معدوم ومتلاش فنعمة الايجاد ازالة العدم السابق

ازالة العجز اللاحق
ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد
ولولا ذلك لتلاشا واضمحل قال الشيخ ابو محمد بان الحق تعالى
متعبد والوجود مستمد والمواد تنقطع عين الوجود علو انقطع
المداد لانهد الوجود وهذا توطية لما يريد بيانه من العقد
الذات للعبد وقال رضي الله عنه **أنعم عليك أولا بالإيجاد**
وثانيا بتوالي الإمداد يعني اصح جزئيات الكلية المتقدمة
منه وهو وجودك ودوام وجود ومعنا الاينبغي ان يتغافل عنه من
انواع هذا الجنس الا بمن نعمة الايجاد الايمان ومحبة الطاعة فلبك
وامداد هي وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم
العظيمة التي المدخل للعبد فيها ولاله وسيلة اليها ولو انها
الله تعالى بتلك النعمتين على الفهمين لتاه في ظلمات الضلالة
وغرق في بحار الجهالة وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه
الكريم فقال عز من قايل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
دار من افكر في صنوف الضلال واكثرهم طرق الضلال وتلمح اعطا
الناس في البدع والهوا وما يتشعب بكل فوج من مختلفي النحل
واماراتهم افكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور

وشرع

وشرع جهله وتنافر تدبيره في احواله ويشرع حاجته الى الاستعانة باشكاله في اعماله ثم رجع الى ما يتعينه وقوع استبصاره في دينه وبقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفا يقينه عن ما فيه من وضع الشك واعلم ان ذلك ليس من كافية ولا بجهده وكده ولو بعضه وجرى بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فحفظ القلوب بنعمائه وادام نعمائه عليكم منكما ظاهرة والباطن الاية وزوايد كرمه لديكم متواترة التسهي فعلى العبد ان يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعمله قال بعض العلماء ربيمن تغرب في توحيده الى عقله لم ينجيه توحيده من النار حتى
ذي النون المصري رضي الله عنه ما معرفتي بي من هذا من كان في توحيده
ناظرا الى نفسه لم ينجيه توحيده من النار حتى يكون نظره الى الله في توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه ولما يغذيكم به ايضا من اعظم ما غذانا به الطعام والمعرفة له غذاء لنا منه وان ذلك ومدده بروح منه وتقبيلنا عليه في تحويل الاحوال الذي هو اصل الاعمال التي هي مكان النوال فلو قلب قلوبنا

على التوحيد كما ينبغي جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا
الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الأعمال أي شيء كنا نمنع
وعلى أي شيء كنا نعول وبأي شيء كنا نطهر من جوارحنا هذه الكلاب
النعم ومعرفتها هو شكر الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان
توجب العقوبة وادعاء أن الإيمان إنما هو عن كسب معقول أو
استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الإيمان وأخاف على من توهم
ذلك أن يسلب الإيمان لأنه بدل شكر نعمة كفرها انتهى كلام ابن الكاتب
رضي الله عنه وهو حسن في هذا المعنى قال رضي الله عنه

فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض

إذا ثبت أن نعمتي الإيجاد والإمداد لازمتان لك وأنك في أنك عدم لولا هي فالفاقة إذا
ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وإن كنت غنيا بوجود
النعمتين المذكورتين فغناك أمر عرضي والأمور الذاتية
لا تزيلها الأمور العرضية وإنما ورد عليك الأسباب التي
تطلب وجودك وبقاء وجودك لتذكرك بذلك ما خفي عليك
من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك
فتلتزم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطور

قال

قال بعضهم إنما جعل فرعون أن قال أنا ربكم الأعلى طول العافية
في الغالب أربع مائة سنة لم يتصدع رأسه ولم تحم جسمه
ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لو أخذته الشقيقة ساعة
واحدة أو الحكيلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية قال
في لطائف المنن الافتقار لا يعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن
وكل ممكن مفتقر إلى ممد يمده ومدد يمده وكما أن الحق سبحانه
هو الغني أبدا فالعبد مفتقر إلى الله أبدا أولا بل العبد هذا
الافتقار في الدنيا وفي الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج
إلى الله فيها غير أنه عمر اضطراره فيها المنة التي أوجبت عليه
ملابستها وهذا هو حكم الحقائق فلا تختلف حكمها لا في دار
الغيب ولا في دار الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم صفته
الكشف أي علم كان في أي وقت كان والإرادة صفتها التخصيص
أي إرادة كانت وفي أي وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم
يتوقف اضطراره وقد عاتب الله أقواما اضطروا إليه عند
وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم
قال الله سبحانه وإذا مسكم الضر في البحر الآية وقال وإذا مس
الإنسان الضر دعانا لجنبه الآية وقال قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر الآية إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى

سلك الحق
ولما لم تصل عقول العموم الى ما تخطيه وجوداتهم
سبحانه عليهم الاسباب الموثرة في الافكار ليحجبوا فهم ربهم
بينه وعقبه الا بعينه انتدى وقال ابن عطاء رضي الله عنه
خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك
وترد فيه الى وجود ذلتك انما كان هذا خير الاوقات
لك بوجود حضورك فيه مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط
والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك عنه الا غاية خير اوقاتك
حسبما يقوله المولف رحمه الله تعالى بعد هذا ويحكى عن عطا
السلمي رضي الله عنه انه قال بقي سبعة ايام لم يذق شيئا من
الطعام ولم يقدر عليه فحصل قلبه في ذلك غاية السرور
فقال يا رب ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف ركعة
وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء
ولا سراجا ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول
الهي لاي سبب وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل
به اوليائك وقال بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه بلغني ان ابنة
لفتح الموصلي عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال لا
ادعها حتى يرى الله عريها وصبري عليها قال فكان اذا كان
ليالي الشتاء جمع عياله ومد كساءه عليهم ثم قال الهي

افقرتني

افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي واعريتني
واعريت عيالي باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا
باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح وقيل ان الفضيل
ابن عياض رضي الله عنه بكى في ليلة ثم قال الهي اجوعتني و
اجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي واقعدتني واقعدت
عيالي في بيت ليس له مصباح وقد كنت تفعل هذا باوليائك واهل
كانتك الهي فباي عمل استحققنا هذا منك حتى ادوم عليه لك
وقيل للربيع بن خثيم رضي الله عنه السعر قد غلا فقال انا اهون على
الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه وقال رضي الله عنه
متى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح
لك باب الانس به فتح باب الانس بالله تعالى هو الاستيحاش
من الله ولذلك قيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فاذا
فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت
بانسك بربك ومعنى الوحشة ان تطمئن منها وتنقبض عند
ذكرها ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها متمتعا كما
جاء عن ابي يزيد رضي الله عنه حين اطلع على انواع من العجايب و
وجوه بستان الغرايب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل
استحسنت منها شيئا فقال لم ار شيئا استحسنه فقيل له

انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك
علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة القدس وسبيل
هذا المعنى في قوله في مناجاته بها انت المونس لهم حيث اوح
شتهم العوالم وقال الشيخ رضي الله عنه **متى اطلق لسانك**
بالطلب فاعلم انه اراد ان يعطيك اطلاق اللسان
بالطلب سواء كانت علته عنده الحاجة اليها او جعله الا استغنا
بالاعتبار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه الا
العطية بشهود فقره وفاقته واطلق لسانه بالطلب كان جعفره
اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق
الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وانشدوا

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه
من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال من اذن له في
الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسئل الله شيئا فيعطي
احب اليه من ان يسئل العفو والعافية في الدنيا والاخرة و
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي الدعاء لم يحرم
الاجابة قال الشيخ ابو بكر الحداد رضي الله عنه كيف لا يجيب
وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له في الدعاء وعن انس رضي

مالك

مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب
الله عبدا صب البلاء عليه صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا
٩٠ قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان
اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته فاذا
قال يا رب قال الله لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء الا
استجبت لك ولا تسئلني شيئا الا اعطيتك فاما ان
اعجل لك ما سالت واما ان ادخر لك عندي افضل منه واما ان ادفع
عنك به من البلاء ما هو اعظم من ذلك وقال الشيخ رضي الله عنه
العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير
الله قراره معرفة العارفين بالله على معرفتهم بانفسهم و
ما هم عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر ما
يتحققون به لكن في انفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما
جاء في الخبر من عرف نفسه فقد عرف ربه فلذلك كان العارف لا
يفارقه الاضطرار قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه في
قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا
قال ابن عطاء الله رحمه الله معنى كلام الشيخ هذا ان العامة
اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك
لغلبة في ابن الحجب على مشهدهم فلو شهدوا وانفقه الله انقذا

الفاضلة المحيطة ليعلموا ان اظهار نعم الله تعالى عليهم وانما لم يكن
له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه
كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد بهذا الباب يعلمكم ما تقدم
من الاستيحاش من الخلق والانطلاق بالاسرار بالطلب من الحق تعالى
من نعوت العارفين وقال رضي الله عنه انار الظواهر
بانوار آثاره وانار السرائر بانوار اوصافه
لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار
القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس النهار
تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب
انوار الظواهر التي هي آثار الحق تعالى هي الادراكات والا
حساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر الجسم وانوار
السرائر التي هي انوار صفات الحق تعالى هي المعارف والعلوم والكمالات
الادراكات والعلوم التي يشتمل عليها الباطن وسره فانوار
الظواهر متعلقة بانوار الآثار الحادثة وانوار معانيها ولكل
بعدها المستكنة فيها وانوار السرائر متعلقة بانوار الصفات
الازلية ولاجل اختلافها بمتعلقيها في الحدوث والقدم والفناء
والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من افول انوار ما تعلق بها
الحادث الفانية وعدم افول ما تعلق بالقديم الباقي ثم انشد المؤلف

رحمه

الله البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله
• طلعت شمس من احب بليل فاستنارت فما لها من غروب •
وفي هذا تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يغتبط
بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتزودها ومراعاتها خلاف
الامور الفانية الزائلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم
عليه السلام حيث قال لا احب الافلين وقد سئل سهل
ابن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال
انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سالناك عن
الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقيل انما سالناك عن طعم الجسم فقال
مالك وللجسم دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة
فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها
حتى يصلحها وفي معناه انشدوا
• كم حقيقة التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الاسفل •
• اتكمل الفاني وتترك باقيا هملا وانت بامره لم تحفل •
• فالجسم للنفس النفيسة آلة ما لم تحصله بها لم يحصل •
• يفنى وتبقى دائما في غبطة او شقوة وندامة لا تنجلي •
• اعطيت جسمك خادما فخدمته اتملك المفضول رق الافضل •
• من يستطيع بلوغ اعلى منزل ما باله يرضى بادنى منزل •

وفيه معنا أيضا

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه ليخفف ألم البلاء عنك علمك
بأنه سبحانه هو المبتلي لك فالذي واجهتك
منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار
وإذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له
بكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يكترث
بذلك ولا يبالي به فإنه لم يتعوده منه إلا جميلا وليستحضر من حسن ظنه وليعتقد
أن له في اختيار الله وإن لم يدر ذلك مصالح خفية لا يعلمها
إلا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى
أن تحبوا شيئا وهو شر لكم قال أبو طالب المكي رضي الله عنه في معنى
الآية فالعبد يكره العيلة والعجز والخمول والذل وهو خير له في ا
خرته وقد يحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله تعالى
وأسوأ عاقبة وفي معنى قوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل
ظاهرة العوافي وباطنة البلايا لأنها نعمة الآخرة فإذا كان لا
يصيب المؤمن من جهة نعمة كان ما يبتليه كله نعمة على نعمه قال
الشيوخ إنما أفواههم على جمل أقدار ربه شهود حسن اختياره و

أنشد

وأنشد في معناه
ويحجب عن ما ... من العقبا بأنك أنت الممنع والمقدر
وما الأمر إلا ما قضاه الله معولا وليس له منه الذي يتخير
وكان الأستاذ أبو علي رضي الله عنه يقول أجد في يد عزتهم وكشف عورتهم
وحبستهم من ذلك بعد خلق الجمال ويفتح على قلبه شيء من الرضا
فكشف المتم كل واحد من الفروج فخرجت ولم يبق منها أثر
قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه تمعنت الأستاذ
أبا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في آخر عمره وقد اشتدت به
العلة فقال من أمارات التأييد حفظ التوجيع وقت الحكم
ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا إلى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك
بمقاريض القدر في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت ساكن
خامد وقال الجنيد رضي الله عنه كنت نائما عند سري السقطي رضي
الله عنه فانتبهت وقال لي يا جنيد رأيت كأني قد وقفت بين يديه
فقال يا سري خلقت الخلق كلهم فادعوا محبتي وخلقت الدنيا
فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر وخلقت الجنة
فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر
فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر
العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم
ولا من النار هربتم فما تريدون فقالوا إنك تعلم ما نريد فقال إنهم

دابرة

انه مسلط عليكم من البلايا بعد ذا ما لا تقوم له الجبال
الرواسي اتصبرون قالوا اذا كنت المبتلي فافعل ما شئت فهؤلاء
عبادي حقا وقال ابو الدرداء رضي الله عنه من لم ير انعكاس النعم
عن قدر رأيه فذلك لقصور نظره لقصور النظر في عدد
رؤية اللطف في القدر ضعف البصيرة وقلة حسن الظن في المقدر
الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لرأى في ذلك من الفوائد
المطلع ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر ولهذا كما روي عن بعض اهل
الخير العارفين انه قال لقد مرضت فاحببت ان تزول العلة وكان عمران
ابن الحصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره
ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد
وكان تحته ثقب لقضاء حاجته ودخل عليه مطرف او اخوه العلاء بن
الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله فقال لم تبكي فقال لاني اراك على
هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الي احبه الى الله تعالى
ثم قال احدثك شيئا لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى
اموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها
وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا
ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت امرأته اهلي
فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف

واصبحت

واصبحت لا نطعم طعاما ولا نسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
ثم قال ما سرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر وكانوا شاهدوا
في بلائهم لطائف الله وفي محنته منته وفي منعه نعمه فوجب لهم ذلك
من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ وما حملهم على الاحب زوال
ذلك عنهم ولا نقصانه ووجوه انا الكتاب والمنن في البلايا لا تحصى
ولكنا نذكر منها [illegible] من الفوائد ما يزداد به المريد قوة وحسن ظن
بربه عز وجل فجملة ذلك على الغالب بواجبها فنقول البلايا التي
يبتلي الله تعالى بها عباده كمناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهوا
تهم وكل ما ازعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود
العاقبة من قبل ان ذلك راد له الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق
الالتجاء والافتقار وهذا هو اعظم فوائد البلايا وتحقيق ذلك من
نفسه كل من نزلت به بلية او طاف به رزية وفيها ايضا ضعف
النفس وذهاب قوتها وبطلان صولتها اذ بوجود ذلك
تقع في العثرة في الذنوب والمعاصي وتتاكد منه الرغبة في الدنيا
والحرص على اتباع الاهواء وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة
او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس
بذلك من احببت من عبادي وفيها ايضا تحصيل طاعة القلوب
واعمالها وذرة منها افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح

والنهي

والتوكل من حب لغلبة الهم نعم

وذلك مثل العبد الراجع الى الزهد

وقيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين
سنة فقصده فقال حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل
انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك
منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك
ان معاملتك خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب المكي اراد
بذلك انه لم يرفعك باعمال الحال الى مقامات المقربين فيوجد
مواجد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي
يستحيل بها كل محبوب مطلوب الى القناعة به حال الموقن
والانس مقام الصابر الراضي المتوكل انما انت عند
طبقة اصحاب اليقين فمزيدك منه من بذل المجهود من اعمال
الجوارح وهذا اشارة الى ما قلناه من افضلية اعمال القلوب
على اعمال الجوارح فمن وفقه الله الى منازلة هذه المقامات
وتوفية حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز ال[illegible]
ذكر ابو ابراهيم بن اسحاق التجيبي الغرناطي المالكي رحمه الله في كتاب
النصائح له ان عروة بن الزبير رضي الله عنه امتحن بقرحة في ساقه
حتى بلغت الى قطع عظم ساقه في الموضع الصحيح منه فقال له
الاطباء الا نسقيك مرقدا لئلا تحس ما يصنع بك فقال لا

ثم انكم

ثم انكم تقطعون الساق ثم تحسمونه بالنار فاخرجوا عضوا ولا انكروا
منه حتى مسته النار ربما زاد على ان قال حسبي واصيب حينئذ بابنه
محمد وكان احب ولده اليه فحمل الى القبر في يوم بعضهم قال اما ان الله
تعالى يعلم اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال [illegible] والعيب
وادخلته في قبر المسلمين فجعل يقول ليعيش لئن اخذت لقد ابقيت
ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لقد اعطيت
وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار لبعض البرانيين قال خرج رجل من بني عبس
[illegible] ابو عمر على الوليد بن عبد الملك بسبب ضره فقال بت ليلة في بطن
واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب
ما كان لي من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند
البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت
الا ورأس الذئب في بطنه قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار
فرمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا
اهل ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم
ان في الناس من هو اعظم منه بلاء وروي عن عبد الواحد بن زيد رضي
الله عنه انه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البحر فعلوا
السبيل الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع اليدين والرجلين يسيل جسمه
قيحا وصديدا فقالوا يا هذا لو دخلت البحر فشفاك من هذا الذي
بك فرفع طرفه الى السماء فقال يا سيدي اي ذنب سلطتها عليه
على لحمي ونكبتني وبكى هو الى سبيل العتاب ذلك الذنب

واستشفع بي منه لا اعود لمثل ذلك فقال ثم اعرض عنا بوجهه وانصرف ونادى حتى
وروي عن بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه قال رايت بعبادان رجلا
قد قطعه البلاء وفي ساقيه هو ملقى على خربة وسوء ذلك كثير
الذي عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو قد صرع من جنبه فقال من عرف
الله يسر به وجعلت اشغل العدل ان يكشف ما بي واذ عوا واتاني سبع
ودعا فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض علي
نعمته علي ويغير اسم من محبتي قال بشر فما اعتقدت لا اعترض على عبد
في نعمة ان انعم عليه من البلاء وقيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه
ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي اخبرني عنك
هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت
عنه قال لا قال وانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال
لولا انه استحي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه اراد بذلك انه لم يفتح له فيعمل
له الى مقامات المقربين فيوجد في مواجيد العارفين فيكون
مزيده عنده اعمال القلوب التي يشتغل بها كل محجوب مطلوب
لان المقربين حال الموقنين مقام المحب والرضى وصدق
التوكل اي انما انت عندي في طبقة اصحاب اليمين فمزيدك منه في
العموم من اعمال الجوارح ومن الشارة انا فاتناه وافضلية اعمال القلوب
على اعمال الجوارح وقد روي في بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما
السلام التقيا فقال يونس يا جبريل دلني على اعبد اهل الارض فاتاه على رجل
قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتني بهما حيث
شئت وسلبتنيهما حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول
فقال يونس يا جبريل انما سالتك ان تريني صواما قواما فقال ان هذا كان

٩٥

قبل البلاء دعا كذا وقد امرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه
فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث
شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم ندعو
وندعو معك ان يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود
الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك قال ولم قال اذا كانت
محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس يا جبريل بالله
ما رايت احدا اعبد من هذا فقال جبريل يا يونس ان هذا طريق
لم يوصل اليه بشيء افضل منه وجملة الخبر اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وفيها ايضا تحصل له
كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله عز وجل الهبات
والعطايا ولا سبيل الى ذلك الا بما يرد عليه من انواع البلايا
لان العبد قد يعجز عن القيام بوظايف الطاعة ويتكاسل عن
المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها
غير حاصل له تكفير سيئاته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها
من له بتحصيلها على الصواب وتسليمها من الآفات والم
المعايب وحينئذ يبطل عمله من الشفاعة به املا فليحسن العبد
ظنه بالله وليعلم انه اختار له خيرا مما يختار لنفسه بعد

يشهدونه وسواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
للرجل الذي قال له اوصني فقال له لا تتهم الله في شيء قضاه عليك و
ذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله خير له و
ليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان
اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث ابي هريرة وسعيد الخدري رضي الله عنهما انهما
سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المومن من
وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من
سيئاته وذكر ايضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى
من مرض فما سواه الا حط الله عنه به سيئاته كما تحط الشجرة
ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها
انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك
بشوكة الا كتب الله له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر
البخاري رضي الله عنه ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس بن مالك

رض

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ
وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها ٩٦
وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجوا بذلك من كفارة
خطاياه وروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى و
الصداع وغير ذلك وذكر البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه
حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا
رسول الله صلى الله عليك قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف
لنا الاجر فقال يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يجوبها
وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح با
لبلاء كما يفرح بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين يعني من الاثام والذنوب
بالحمى والامراض لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي
عنه للحمى اذهبي الى اهل قباء وقد روي في بعض الاخبار ان
من اهل قباء الانصار فيجيبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا

يوما شخصا اسود فقال من انت فقالت ام ملدم ومن جوارح الحمى
فقال عليه السلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا حقوقا
فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير احدا من الانصار يحضر الصلاة
فطلبهم فقيل اخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم فقال
لهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى يزيدنا
منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب
فقال ما لك يا ام السائب او ام المسيب تزفزفين قالت الحمى
لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا
بني ادم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري من
حديث انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله عز وجل يقول اذا ابتليت عبدي المومن بحبيبتيه
ثم صبر عوضته عنهما الجنة يريد عينيه كما قال اخر الحديث
من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهي التي يمتاز
ايضا روي ان انس بن مالك وابا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت
ثابت البناني فقال يا ابا ظلال متى فقدت بصرك قال وانا صبي
لا اعقل فقال الا احدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله صلى

الله

صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل يرويه جبريل عن ربه عز
وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي
ومن طريق هلال ابن سويد وهو ابو ظلال المذكور انه سمع
انس بن مالك رضي الله عنه يقول مر بنا ابن ام كلثوم فسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل عن الله
في الذين ذهبت ابصارهم قال صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل
ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت كريمتيه ليس له جزاء
الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصيب
عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر
عبد فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم
رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنه ان امرأة سو
داء اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف
فادع الله تعالى لي قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت
دعوت الله ان يعافيك قالت فاني اتكشف فادع الله الا اتكشف
فدعا لها الى غير ذلك مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب مما لا يحصى كثرة وفيما ابقا تنبيه له تجديد التوبة و
اداء الحقوق والتبعات والظلامات والاكثار من الاستغفار

وحسن الظنون وكثرة ذكر الموت اذ ذلك ابلغ ما يذكر به ويعد
قبل الحمام ويزيد الموت. وقيل في قوله تعالى ولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قال يختبرون
بعلل وامراض. وفي حديث عائشة وانس رضي الله عنهما قيل يا رسول
الله ايكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر
الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر يذكر ذنوبه
فيحزنه. وقد كان السلف يستحسنون اذا خرج عنهم عام
لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال. وقيل لا يخلو المومن كل
اربعين يوما ان يروع فيه بروعة او يصاب بنكبة. وكانوا يكرهون
يعدون فقده لذلك في هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بنقص من
نفس او مال. وقال لا يخلو بلية. وفيها ايضا ينقطع له خلف ما يفوته
من الطاعة ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه مثل ما كان
يعمل من ذلك في صحته وذلك ابلغ في الوصول الى غرضها نه من
اختيار الله عز وجل وهو خير له مما اختاره لنفسه. وفي الخبر — مما اختار
يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في صحته
فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا
من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي. وفي الحديث الصحيح من حديث
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا

اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ما كان يعمله مقيما صحيحا
الى غير ذلك من الفوائد التي لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعاني
هاهنا لانها لائقة بكلام المولف رحمه الله تعالى لكونها معرفة
له وايضا فان العبد محتاج لها غاية الاحتياج لانه حال نزول
البلايا به يتسخط ويجزع ويختلف احواله ويتزلزل ايمانه
فيحتاج الى من يذكره بامثال هذه المعاني ليحط له بذلك من
الرجاء وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى له بذلك ان
مات من فوز في حسن الخاتمة وهو لقاء الله تعالى وانما الاعمال
بخواتيمها ولهذا الغرض هو الذي اوجب لنا في هذا الفصل
الاكثار من الحكايات واظهار نسبة اكثر الاحاديث فيه الى روا
ته الثقات لتطمئن قلوب اهل البلايا بذلك ونسلك
الى الله تعالى مع اصحاب تلك المسالك والله ولي التوفيق
لا يخاف عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما
يخاف عليك من غلبة الهوى عليك الطرق الى الله
تعالى واضحة لا جبة لان الحق تعالى هو الذي بين ذلك وبه انزل
الكتاب وارسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف
على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى

عليه حتى يعميه ذلك عن رؤيته قال أحمد بن خضرويه البلخي
رضي الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعي قد اسمع فما
التحير بعد هذا إلا من العمى قال رضي الله عنه **سبحان من**
ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر
بعظمة الربوبية في إظهار العبودية
سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص بها أهل ولايته
تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا للكون وجود لكن بما جعل
فيهم من التجلي والقابلية من لطيف حكمة الله تعالى أن ستر
ذلك بما ظهر عليهم من البشرية التي من لوازمها وجود الغير
والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون
كما قال في لطائف المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء
من نقاب ثم إن من حقيقة البشرية الاتصاف بصفات الافتقار
والاحتياج وغير ذلك من أوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة
التعبد والتذلل فظهر لنا من ذلك لزوم وجود إله معبود
وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبو
دية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدي أبو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة ظهرت بها الربوبية

فسبحان

فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي
ذكره المؤلف رحمه الله هنا في غاية المناسبة لما ذكره وقال
لا تطالب ربك بتاخر مطلبك ولاكن طالب نفسك
بتاخر ادبك إذا دعوت ربك وما التمست منه مطلبا وأمهلك
ولم تظهر لك الإجابة بحصول ما طلبته فلا تطالبه بالوفاء
بذلك فإنه يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل ولكن طالب نفسك
بتاخر أدبك فإنها أهل للمطالبة وسوء أدبها من وجوه
أحدها أنك إذا دعوت لتجاب في مطالبك فتحصل لك بذلك
غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك ومنافاة لهذا المعنى
عند قوله لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك
وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية
والثاني اعتقادك أنه لم يستجب لك إذا لم يظهر لك عين الإجابة
منه وليس من شرط الإجابة أن تظهر لك بل له أن يجيبك بما هو
ذلك من المصالح والإجابة إليه أمرها فيجعلها ما شاء الله مما
تعلمه وتجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخر
أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك الخ و
الثالث وهي أشدها اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك

لو اذا انا اخرت اجابتك عن دعائك ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى
الحالة التي كان عليها العبد فلم يحفظ الادب ووصل الغاية الارب
فقال فجعلك في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن
الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك هذا الامر
الذي يلزمك انك في اقامة العبودية لربك لا غير فهذا تيسير من
الله تعالى لك وانما مكنك من مراعاة احكامه ووفقك لذلك
فقد اعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعد
هذا ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي
الله عنه صحبت اخا في الله تعالى في البادية واعتزلنا نطلب معارف
عسى ان نكون من اولياء الله وان يفتح الله علينا بما فتح عليهم
فاقمنا زمانا نقول لعل الله في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر
يفتح الله علينا فيمر كذلك فاذا بشيخ على باب المغارة يستاذن
فاذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من انت فقال عبد الملك
فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال
كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لعل
في هذه الجمعة اكون وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية
ولا فلاح ولا دنيا ولا اخرة يا نفس لم لا تعبد الله تعالى كما امرك

مخلصة

مخلصة لوجهه فقال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ثم ارجع فانتبهنا فعرفنا غلطنا وتعلمنا من اين دخل علينا وعلمنا
ان الله رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت اهو
يا نفس من انت وما علمك وما خطرك انت ولا شيء وتبنا واستغفرنا
ففتح الله علينا بجوده وفضله وقال رضي الله عنه

ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

التخصيص ها هنا هو ان يخص الحق تعالى بعض عباده باثرته
وعنايته وتوليته لحفظه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك
حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص من رؤية الاغيار والاكوان وهؤلاء
هم خواص المقربين من اهل العلم [illegible] والصديقين ومنهم من
يوقف عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه حاله بما يليق به من علوم
واعمال وهؤلاء هم عامة المقربين وخاصة اصحاب اليمين العباد
والزهاد واهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء وان اشتركوا مع الاولين
فيما يتحفهم الحق تعالى به من لطائف الكرامات وما يمنحهم
اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا
من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعات حظوظهم بل هم ساكنون
الى الاسباب مغتبطون بوجود الحجاب وقد يختبر الحق
تعالى هؤلاء باظهار الكرامات على ايديهم فيسببهم تسكينا

لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم وقد يعطى الأولون لأنهم
لا يحتاجون إليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين
كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف
بشيء من خوارق العادات أفضل ممن يكاشف بها إذ كل ما يكاشف الله تعالى
به من المعرفة بالقدرة أتم من العادة ومن أهل اليقين العادات لا
يستغربون ولا يستنكرون شيئا من القدرة ويرى القدرة في تجلي الأ
سمعية على أجزاء عالم الحكمة وقيل للشبلي رضي الله عنه وقيل
لأبي تراب ذكر أنه جاع في البادية يوم فرد البادية كل يوم طعاما دون
عهد رؤيته ولو بلغ إلى محل التحقيق لكان ممكنا أن الذي عنده ربه
يطعمه ويسقيه قال في لطائف المنن اعلم أن الكرامات تارة
تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فإن ظهرت للولي
في نفسه فالمراد تعريفه بعظيم الله ووجوديته وشهود انفراده و
قدرته لا تتوقف على الأسباب وأن العوائد هو حاكم عليها ليست
هي حاكمة عليه وإنما جعل العوائد والوسائط والأسباب
حجبا لقدرته وسحبا لعظمته لحجبه يقف عندها من قدر
وتأخر عنه إليه لعدم العناية موصولا وقال الشيخ أبو الحسن
رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى في العلم
والقدرة والإرادة والصفات الأزلية يحمل لا يعتنى وأمر لا

يتعهد

١٠١

لا يتعهد كالخاصة وأخرى فائدة بذات الواحد أبو يستوي
من تعرف الله تعالى إليه بنوره كمن تعرف إلى الله بعقله ولأجل أنها
تثبيت من الكرامات لم يرها وجدها أهل البدايات في بدايتهم و
يفقدها أهل النهايات في نهايتهم فأهل الرسوخ واليقين والقوة
والتمكين لا يحتاجون معها إلى مثبت وهكذا كان السلف رضي
الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى إلى وجود الكرامات
الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الشهادية
ولا يحتاج جبل إلى مرساة والكرامات راجعة لزلزلة الشك في
المنة ومعرفة فضل الله فيمن ظهرت عليه فشاهدها له لا الا
استغاثة مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامات على ثلاثة
أقسام قوم يجعلونها غاية الأمر فإن وجدوها عظموا من
ظهرت عليه وإن فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم إليه وقسم
قالوا وما هي الكرامات إنما هي خدع يخدع بها أهل الإرادة
ليقفوا على حدودهم وحتى لا يحجوا أعمالهم لهم حتى قال أبو
تراب النخشبي رضي الله عنه لأبي العباس الرقي ما تقول أصحابك
في هذه الأمور التي تكرم الله بها على عباده فقلت ما رأيت
أحدا إلا وهو مؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد

كفى انما اسال التلك من طريق الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا وقال
ابو تراب بل قد رغم انف اصحابك انها خدع من الحق وليس الا
من كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم يقترح ذلك
ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي تراب
بعد ان عطش قال لصاحبه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال
فتى اريد ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من
زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو العباس الرقي وما زال
القدح معنا الى مكة قال الشيخ ابو الحسن القول الفصل في ذلك
انه لا ينبغي ان تطلب ادبا مع الله تعالى ومن ظهرت عليه عظم
الاشياء تستوي له بالاستقامة مع الله تعالى فان القسم الثاني
وهو ان تظهر الكرامة على الولي لغيره فالمراد بذلك تعريفا لذلك
العبد الذي شهده بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه
الكرامة اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او داخلا فيه
فيعود الى الايمان او شاكا في خصوصية هذا العبد والحجة
عليه لحجته باقية مردودا في الاعتبار فتدبر كلامه وقال
ابو نصر السراج سالت ابا الحسين بن سالم فقلت له ما معنى
الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا لم كيف

اكرموا

اكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا
يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا ان
يكون ذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت
الرزق والذي قسم الله لهم فيقولوا بالذي يقدر على ان يصير لك
الجلاميد ذهبا كما دعوت اتتخذ الله ليس بقادر على ان يسوق
اليك رزقك من حيث لا تحتسبه فيحتجوا بذلك على نفوسهم
عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك نفوسهم فيكون
ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتاديبا لها وقال ابو نصر وقد
حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه
قال ان رجلا بالبصرة يقال له ابو اسحاق ابراهيم وكان من ابناء الدنيا
فخرج من الدنيا اعني من جميع ماله وثيابه وصحب سهلا فقال
يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الحجج و
الصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك
الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تاكله فقال فمن امامي
في ذلك حتى افعل فقال امامك في ذلك ابراهيم عليه السلام
حين قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين

لأن جليتها الشك فقال إبراهيم رب أرني كيف تطمئن نفسي
فإنه مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن إلا برؤية العين فكذلك
الأولياء يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتمهيدا
لها وزيادة لهم انتهى كلام أبي نصر وقال بعض العلماء
ما رأيت هذه الكرامات إلا على يدي البله من الزهاد فقد كان
رجل يصحب سهل بن عبد الله رضي الله عنه فقال ربما توضأت للصلاة
فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال
سهل أما علمت أن الصبيان إذا بكوا أعطوا خشخاشة ليـ
يشتغلوا به وحكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رضي الله عنه
قال جاءنا أبو حفص النيسابوري رضي الله عنه ومعه عبد الله الرباطي
وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام فقال يوما لأبي حفص
قد كان فيمن مضى لهم آيات ظاهرة يعني لهم الكرامات وما
نرى لهم شيء من ذلك فقال له أبو حفص رضي الله عنه فجاء به إلى
سوق الحدادين إلى كير عظيم فيه حديدة عظيمة فأدخل
يده في الكير وأخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده
فقال يجزيك هذا وسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من
نفسه فقال كان منتبها على حاله فخشيت على حاله أن يتغير عليه

بذلك

١٠٢

بذلك فنحيه بذلك شفقة عليه ومبالغة لحاله وزيادة لا
فإنه مثل ربما يعبر عنده العارفون وفيما منهم المحققون
قال بعض السلف الصالح ما يختص به الأولياء الكرامات والـ
المعونات وذكر عن أبي جعفر وغيره أنه كان جالسا وحوله
أصحابه قال عندنا الخبيص من الجبل فبرك عندهم قال فقال أبو جعفر
وسئل عن بكائه فقال كنت حوفا وقع في قلبي أن لو كان في ثمات
لذنب لكم قلبا في هذه الخبيص عنه تشبهت نفسي ببعض عون
من سأل الله تعالى أن يجري معه الخيل فجاءه معه فبكيت وقد
سألت إلا فإنه هما تهنئت فسميت الخبيص ويحكى أن بعض
الأبدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ أبي مدين رضي الله عنه
ما لنا لا يعتاض علينا بشيء وهو يعتاض عليه أقل الأمور مع
أننا نتمنى مقاما ... مقاما فبلغ ذلك الشيخ
أبا مدين فقال قل له إنك كنت مراءة للمراءة وعن بعضهم أنه
كان يسير في البادية فانتهى إلى بير فإذا الماء قد ارتفع
إلى رأس البير فقال أنا أعلم أنك قادر على هذه ولكن لا أطيقه
طوقيقتني في بعض الأعراب ليصفعني صفعات ويسقيني
شربة من ماء كان أسلم في ثم أعلم أن ذلك الفو لبسر وجهته

وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه إذا رأيت الرجل يشير إلى
الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال وإذا رأيته يشير إلى الآلاء والنه
النعماء فطريقه طريق أهل المحبة وهو أعلى من الذي قبله وإذا رأيته
يشير إلى الذكر ويكون متعلقا بالذكر الذي ذكره فطريقه طريق
العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال وقال أبو يزيد
رضي الله عنه كنت بعد ابتدائي يريني الحق تعالى الآيات والكرامات
ولا ألتفت إليها فلما رأى ذلك جعل لي إلى معرفته سبيلا وقال

لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد
في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء
هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف
وجوده الورد هو طالبه منك والوارد
أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك
مما هو مطلبك منه الورد عبارة عما يفعل
يكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد هو
الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار ينشرح بها
صدره ويستنير بها قلبه وثمرة الورد ما من العبد إلى
الحق من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه

للعبد

للعبد من لطائف وكرامة منه والورد أحق ما يعتني به العبد
ويراعيه من الوارد لوجهين أحدهما أن الوارد مختص
بهذه الدار لا يقع إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها و
ما كان كذلك فينبغي أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها
إذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثاني أن الورد هو حق
الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك
أولى والقيام بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها
فإذا تبينت مزية الورد على الوارد باعتبار المعنيين كان استحقاره
من نتائج الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال في لطائف
المنن اعلموا أن الله أودع أنوار الملكوت في أصناف
الطاعة فإن من فاته من الطاعة صنف أو أعوزه من الموا
فقد خسر فقدا من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا
من الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات ولا ترضوا
لأنفسكم ما رضي به المدعون جرت الحقائق على ألسنتهم و
خلوا أنوارهم من [illegible] بهم وأن الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية
على العباد مشرعة لأبواب الغيب فمن قام بالطاعة والمعا
ملة بشرط الأدب لم يحتجب الغيب عنه والتخلص من المعيب

١٠٤

يفتح لك باب الغيب ولكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطلب
نفسه لله فذلك حال الجاهل الذي لم يجد مواقع الله ولا او
جدهم المجدد من الله والمومن ليس كذلك بل المومن من يطالب
نفسه فيه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف الوقت عنه
استبطأ ادبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما اكثرها في كلامه
رحمه الله تنبيه على تاكيد الاوراد وعظم موقعها من الدين
وان من اعلامها من احسن سيمات الفقراء وقد راى رجل
الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقال له تاخذ بيدك سبحة
فقال نعم سبب وصلنا الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وكان يدخل كل
يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود
الى بيته وريء الجنيد رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقيل
له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك
العبارات واندرست تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما
نفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر وحكى ابو محمد الجريري
رضي الله عنه قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال النزع
وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرا القرآن فختم فقلت
في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك وهذا

وقت

١٠٥ وقت تطوى فيه صحيفتي وقال ابو الدراج رضي الله عنه ذكر
الجنيد اهل المعرفة بالله وما يراعون من الاوراد والعبادات
بعد ما حباهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه
العبادة على العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك
قال ابو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من
اصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد ان يسجد
فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل عليه حركتهما
فمد رجليه فرآه بعض اصحابه ممن حضره ذلك الوقت
وكانت رجلا ابي القاسم تورمتا فقال له ما هذا يا ابا القاسم
فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له ابو محمد
الجريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد
هذا وقت منة الله اكبر فلم يزل حاله كذلك حتى مات رحمة
الله عليه ورضوانه وقال الحصري رضي الله عنه الناس يقولون
الحصري لا يرى بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت
منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنهما
لما حضرت ابي الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال يا
بني خل عني فاني في وردي السادس قال ابو طالب المكي رضي الله عنه

ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العابدين
وهي مزيد الإيمان وعلامة الإيقان وفي الخبر أن عائشة رضي
الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان عمله إذا عمل عملا أثبته وأتقنه
وفي الخبر المشهور أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل
وجاء في الأثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة عن الحسن
البصري ومرة عن عائشة رضي الله عنها وبعضهم يحكيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه فهو مغبون
ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد
فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استثقال
الورد من المكر والاستدراج ويكون سبب ذلك أن تلوح له
خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استشعار الثقة و
اختيار بكماله وفي ذلك رفض العبودية بالكلية وهو أمارة
لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وطمع هذا عظيم
الجهالة لشدة الحماقة والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه
لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك
الحركات من باب البر والتقرب إلى الله فقال الجنيد إن هذا قول

قوم

قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي
يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين
أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها ولو أبقيت ألف عام
لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونه وإنه لأوكد في
معرفتي وأقوى في حالي قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب
عوارف المعارف جماعة من المتصوفة أو فتح لهم أعمال القلوب لم يحكم
أساس خلوتهم بالإخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور
فيتعوق العبادات ويستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة
ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويعتقد في الدنيا والآخرة
فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعمارة
الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب
الخلوة مداومة الأوراد وتنوع العبادة عن الأوقات ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم
الانتقال من الذكر إلى الأوراد ولقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر
انتهى ما تعلق بغرضنا من كلام السهروردي رضي الله عنه
وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله ويتبين من هذا المعنى
ما روي عن أبي سليمان الداراني وأحمد بن عاصم الأنطاكي رضي الله

عنهما الذي قالا إذا طرنا المعاملة الى القلوب استراحت
الجوارح وان كان كلامهم موهماً له فإن ابا نصر السراج رضي الله عنه
فسّره بعد ان حكاه عن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه فقال
ودقيقتها التي ذكر ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه اراد
بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من
الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر
المشغلة والعوارض المذمومة التي تشغل عن ذكر الله تعالى
قلبه ويحتمل ايضا انه اراد بذلك ان يتمكن من المعاملة والاعمال
والعبادة وخفي بواطنه ويستلذ بذلك بقلبه ويجد حلاوة ذلك
ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التي كان يجدها قبل ذلك
انتهى كلام ابي نصر ومعناه صحيح والله اعلم وبه التوفيق وقال

ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الا
نوار على حسب صفاء الاسرار ورود الموارد والامدادات
من الله تعالى على عبده بحسب القوة والاستعداد التي المجعولة
فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدورات
التعلق بالآثار والركون الى الاغيار وقال ايضا رضي الله عنه

الغافل اذا اصبح نظر فيماذا يفعل والعاقل

ينظر

ينظر ماذا يفعل الله به اي الخاطر يرد على العبد فهو
ميزان توحيده فالغافل اذا اصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل
الى نفسه فيقول ماذا افعل اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه
محجوب عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو
دقيق ان يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه وقته
ويشغب عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل
الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر الى الله تعالى والى
ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم
يكفيه الله تعالى تعلقات الامال ويريحه من جميع الاشتغال وير
ضيه ويزينه بما يقيمه فيه من اعمال ويورده عليه من
احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى على من والاه من
عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت وما
سروري الا في مواضع القضاء والقدر وقال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين
سنة ما اقامني الله في حال فكرهته وما نقلني الى غيره فسخطته
ومن اصح ما رايته في هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله ما
يجب ان يجد على منواله كل عاقل منصوب ما ذكره الشيخ ابو
القاسم عبد الرحمن الصقلي في كتاب صفة الاولياء ومراتب الاصفياء

بسنده الى أيوب بن بشير الصفار قال حدثنا رجل من أصحابنا
قال رأيت رجلا في مرج أذربيجان ليس معه شيء فدنوت منه فسلمت
عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله أين تريد قال الحرم قال
هل رأيت أحدا يريد مكة من هذا البلد كيف يذهب فقال أنا واحد قلت
فأين تنوي قال إلى مكة قلت تنوي مكة ولا تدري كيف تذهب قال نعم
وذلك أنه كم من مرة أردت أن أذهب إلى مكة فيردني إلى كرمسوس وكم
من مرة أردت كرمسوس فيردني إلى عبادان فيجيئني إلى مكة ولا أدري فقلت
فمن أين المعاش قال لا أدري فقلت أخبرني بأسباب ذلك قال من حيث لا
يريد فيجيعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني مرة ومرة يقول لي ما على الطريق
أزهد منك ومرة يقول لي انطلق ومرة ينومني على الفراش ويطعمني
الطيب ويدهن رأسي ويكحل عيني ومرة يخرجني إلى الجرد العنيف
ولا ينومني إلا عند النواويس فقلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك
قال الله عز وجل فالتفت لي فقلت فسرني يرحمك الله كيف هذا
فقال أنا رجل أسير نهاري فأين ما جنني الليل فقد جربتها في
الليل في قرية فإذا نظر إلي أهلها فقال بعضهم لبعض هذا الرجل
لا تحضروه أبدا في الليلة في هذه القرية فلما صلينا العشاء
الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا شاب ما تقول للبيت فيقول لي

بالعنف

بالعنف قم من هاهنا لا يسر لك هاهنا موضع فأقول نعم وكرامة
ولا يكون لي مأوى إلا عند النواويس تلك الليلة فإذا أصبحت مررت
بي إلى قرية الليل الأخرى فإذا رآني أهلها قال بعضهم لبعض قد ورد
عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول
هذا عندي يبيت فإذا صلينا العشاء الآخرة فيقول رجل منهم
قم بنا إلى البيت فأقول نعم وكرامة فأمضي معه إلى المنزل فيأتيني با
الطعام الطيب ويدهن رأسي ويكحل عيني ويأتيني بالفراش اللين
فينومني عليه ولا يدع شيئا من البر إلا فعله بي حتى أصبح فهذا
دأبي مع سيدي فقلت يرحمك الله متى قدر لك أن تدخل بغداد فمن
منزلي في موضع كذا وكذا قال فأتاني يوما وأنا قاعد فإذا بإنسان
يدق الباب فخرجت فإذا أنا به فسلمت عليه فأدخلته
البيت فقلت له أبشر ما صنع بك مولاك فقال أي خير ما فعل بي
ضربني ضربا شديدا وقال لي يا لص ثم أراني ظهره فإذا أثر الضرب
عليه فقال أخبرك القصة فقلت كان أجاعني جوعا شديدا فلما بلغت
الأنبار جئت إلى مقثات قد نبت فيه المدود والقرع فقعدت
آكل منه فبصر بي صاحب المقثات فأقبل إلي بعصاه فجعل
يضرب ظهري ويقول يا لص ما أخرب مقثاتي غيرك منذ كذا وأنا

ارصدك حتى وقعت عليك قال وإذا بفارس قد أقبل مسرعا
إليه فأقلب السوط في رأسه وقال نعمد إلى رجل زاهد فنقويه
ويقال المثل بقوة أبا الحسن قال فما كان من أن كشف عنوى لطامن
زاهدا إلا كما حدثك قال فأخذ بيدي صاحب المقامات فذهب
بي إلى منزله فما ألفى من الكرامات شيئا واستملح فرجنا
من عندي وجئت إليك وقد يكون به معنى نظرة إلى ما يفعل
الله به أن يفتح ما يرد على قلبه من الإشارة من قلبه فيكون
حقيقة أقدامه واحتمامه بوجود بغيره وحسن توجيهه
وهذا ميراث تربية اقتضاه دوام التجاية وصدق افتقار
فقال شيخنا أبو مدين رضي الله عنه أخرج أن تصبح وتمسي
معوضا مستسلما لله العلم بتدبير الملك فيه حكمه وقال
بعضهم من اهتدى إلى الخلق يعتمد إلى نفسه ومن اهتدى
إلى نفسه ثم يعتمد إلى الله جـ انظر إذا استشغلك شغل
دار عاد قلبك إلى الله فانتفع أو وصلة إلى حولك وقوتك
فأنت المنقطع عنه وإن عاد قلبك إلى الله فأنت الواصل
إلى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص أهل الوصلة
بأنهم في كنف أبوابه لا يخلطهم إلى غيره واعتبر هذا

المعنى

المعنى بعمرة الحديبية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم بين أظهرهم
نسكه رجع عنها إلى العمرة ولم يتعرض لهم بما يبدل
له من الظاهر عن غزوة أو نصرة بعد ما كان من دعائه إليه أن
يبعثه إلى ضوار تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من جاء
من الكفرة وعمل في ذلك على ما أظهره الله له من أبناء
الكرام عنده من ذلك فاقتضى لما أرادت نوجيبه إلى البيت
الحرام وقال الحقيقة مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتمره
إنا فتحنا لك فتحا مبينا من الفعل الذي عقده اليوم في بيت الحكمة
بينه صلة الرحم إذا أجل بينهم البيت فلما أذن صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم طالحهم على وضع الحرب فيما بينهم
عشر سنين يتقلبوا به الأرض ما منهم حلما انتسب بينهم
الصلح وأنزل الله تعالى سورة الفتح ظهر الفوائد التي
ضمنها ذلك التدبير الحسن ومن ثم اعتبر الصحابة رضي الله
عنهم بما برز لهم منه من الخطاب ومن قد جعل معنى لها
فلذا أخبر وتغلل الينا علماء الحديث ولم يكن من دعاء
صاحب هذا المقام وسنا جاءنا له لينبوا فوق عقولهم وقوله

في جميع نعم فاته اللهم انى اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما
اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحب وترضى
من القول والعمل في عافية انك على كل شيء قدير ثم ليفعل ما رايته
لشيخي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم ان الامر عندك وهو
محجوب عني ولا اعلم امرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني
على اجمل الامور واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة انك
على كل شيء قدير. وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه **انما استوحش**
العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله
في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا
حشوا العباد والزهاد في حجبتهم عن ربهم بنظرهم لنفوسهم واصل من شيء
ومراعاة حظوظهم جعلهم يفرون من الاشياء ويستوحشون
منها لانها موجودة في نظرهم والزاهد في الزهد شاهد
له بالموجود كما قال شيخ ابو الحسن رضي الله عنه والله لقد
عظمتموها اذ زهدتم فيها فرحتم تجاهرون منها ان تعرضوا عليهم
اعراضهم وتعرضهم مقاصدهم بميلهم اليها واقتنائهم بها ولو
كانوا من اهل العلم بالله والمحبة له لراوا كلها اجزاء متبددة.

كلها

١١٠

كلها ولكان لهم في ذلك من فوائد غيبتهم ما يشغلهم عن رؤيتهم
لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها
وحشة لانها فانية مثلا شيئية بعدا لاعتبار. وقال ابن عطاء الله رحمه
أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته و
سيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته
رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم في هذه الدار
يرونه كذلك في المكونات بانوار ابصارهم كما تجلى لهم من وراء
حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه
معاينة بانوار بصائرهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية
الظهور والكشف. وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه **علم منك**
انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه
عدم الصبر عن الله من وجود الافتقار الى معرفته ودعوى التريب
تقتضي وجود المحبة الاختصاصية والمحبة الاختصاصية
تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير
متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الكثافة والتغير وال
الفناء والذهاب فاكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه
بان اشهده ما برز منه من الآثار والاكوان تسلية له بالاثر

عن النظر فجعلت له خيبة المعصية إلا اختطفته اللاحقة جلاله
حتى إذا أفضى به مقعد الصدق جعلت له عندية الحق خلع عليه
خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فجعلت له
حقيقة المعية الحقيقية إشارة لقوله أنا معه وما ذكر عن الله
عز وجل قال أيضا لما علم الحق منك وجود الملل لون لك
الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في
الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة
فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الأوقات
لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده فإن الملل
والشره آفتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته
والملل فترة تعرض على الإنسان من ثقل عمل فيه مشقة فيضيق
عليه ويحمل النفس فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل ويبر
جم استثقالا له وتعويقا يعرض للطبع بعد أن يترك الشيء و
محبته له والشره مجاوزة الحد في التسارع إلى العمل والحرص عليه
والذي يوجب وجود الملل الحدا ومنة على نفسه واحتمل العبادات
فتسأم منه النفس وتستثقلها فإذا لو ثبت عليه استعملها
واستعبدته وقد قال بعض الشعراء رحمه الله تعالى

لابع

١١٢

بالعصا في النفس إذا كانت مجبرة إلا المشتغل من حال الرجال
والموجب لوجود الشره طلاعيته إما وقاته كلها لا يحاع إلى
العبادة فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع
النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها أوقاتا تقع فيها وأو
قاتا لا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الأوقات فإن كان
الملل والشره في فعل الصلاة لم يكن التي بها مقيما لها لوقوع
التقصير منه فيها ولم يؤمر إلا بإقامة الصلاة لا بوجود صورة
الصلاة قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع
ذكر المصلون في معرض المدح فإنه إنما جاء لمن أقام الصلاة إما بلفظ
الإقامة أو بمعنى يرجع إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة وقال رب اجعلني مقيم الصلاة إلى
الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة
فالإقامة أنه إذا أتى المؤمن صلاة فتقبلت منه خلق الله من صلاته
صورة في ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة وثواب ذلك
لصاحب الصلاة وإقامة الصلاة حفظ حدودها كما هو أو
هنا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه إقامة الصلاة حفظ حدودها

وحفظ السر مع الله تعالى لا يختلج بسره سواه قال الامام ابو
القاسم القشيري رضي الله عنه هو القيام باركانها وسننها ثم الغيبة
عن شهودها برؤية من تصلي له فيجري عليه احكام الامر بما يجري
عليه منه وهو على ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة
الى القبلة ونفوسهم مستغرقة في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف
رحمه الله بالصلاة دون سائر العبادات حسن ذلك اكثر ما يقع
فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على الصلاة حسبما يقوله
باثر هذا فقال رضي الله عنه الصلاة طهرة للقلوب من ادناس
الذنوب كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم
فيه خمس مرات اترون ذلك يبقي من درنه قال رضي الله عنه
واستفتاح لباب الغيوب لان القلوب اذا تطهرت و
تزكت رفع عنها الحجب واستنارت بما غاب عنها من الا
سرار وقال الصلاة محل المناجاة لا ريب يكون ذلك فيها لان
الدعاء والمناجاة متعلقة بما امر به عنده صفاء الاكدار من الملك
الجبار وقال ومعدن المصافاة وهي زوال الاكدار الكونية
بينك وبين ربك حتى يصفوا قلبك وسرك فيصفوا لك دينه

شهوده

شهوده ويصفوا ذلك فيشهوده وقال تتسع فيها ميادين
الاسرار حتى تتكاثر عليه في الشهود وقال وتشرق فيها
شوارق الانوار فيكون نورا على نور وهذه العبارات المست
معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف
رحمه الله من فوائد الصلاة وان المقصود منها انما هو تحصيلها
كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من ان المأمور به انما هو
اقامة الصلاة لا وجود الصلاة وان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة
الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنهض لبلوغ هذه المقاصد
السنية ولذلك كانت الصلاة اتم العبادات واسنى القربات
قال الله تعالى اقم الصلاة لذكري فاخبر ان الصلاة المراد منها
الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر
الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما
سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الاخبار ان
العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه
بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبه الى الهواء يصلون بصلاته
ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء

الى من هو في رايه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل
وان ابواب السماء تنفتح للمصلي وان الله يباهي ملايكته بصفوف
المصلين وفي التوراة يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا
فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكانوا
يرون ان تلك الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في
قلبه من دنو الرب من القلب وقال عمرو بن علي الترمذي رضي الله عنه
دعا الله تعالى الموحدين الى هذه الصلاة الخمس رحمة منه
عليهم وهيا لهم فيها الوان الضيافات لينال العبد من كل قول
وفعل شيا من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة
وهي عرس الموحدين هياها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم
خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب
المكي رضي الله عنه حدثت ان المومن اذا توضا للصلاة تباعدت
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه تاهب للدخول على
الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق
لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك
في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله فيقول الملك صدقت الله
في قلبك كما تقول فلا حينيذ يشعشع في قلبه نور يلحق بملكوت

العرش

العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض و
يكتب له حشو النور حسنات وان الغافل الجاهل اذا قام الى الو
ضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل
فاذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كان في قلبه اكبر من الله
عنده فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول فيثور
في قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا للقلب عن الملكوت
فيزداد ذلك الحجاب غلظة وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ
فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا
يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار والاثار موافقة لما ذكره
المولف رحمه الله تعالى وادلة عليه فلذلك اوردتها هنا
والله ولي التوفيق برحمته وقال ابن عطاء رضي الله عنه علم وجود
الضعف منك فقلل اعدادها وعلم احتياجك الى
فضله فكثر امدادها هذا من فضل الله تعالى الذي عوده
عبده فتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف
منه لما علم من وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة
ثواب خمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد
والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء وقال

على وجود الصدق فيه **متى طلبت عوضا عن عمل طو**
لبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة
تقدم أن العمل لأجل حصول الجزاء مدخول معلول وطلبنا هنالك
من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب ما فيه مقنع
وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذا المعنى في مواضع متفرقة من
هذا الكتاب وما ذكره هاهنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل
ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لأنه إذا
طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق
الموجب لجمعه بالعمل وأنى له بتوفية ذلك مع كونه طالبا للعوض من
ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد
عليها قال الواسطي رضي الله عنه العبادات إلى طلب العفو عنها
أقرب منها إلى طلب الأعواض عليها وقريب من هذا ما قاله النهر
باجي العبادات إلى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب إلى طلب
الأعواض والجزاء عليها وقال أبي الشماح رضي الله عنه ميراث
أعمالك ما يليق بأعمالك فاطلب ميراث فضله فإنه أتم وأحسن
قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون وقال أيضا رضي الله عنه **لا تطلب عوضا عن عمل**

لست

لست له فاعلا يكفي من الجزاء على العمل أن كان له قابلا
المنفرد بخلق أعمال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف
يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون
القبول جزاء ما تقدم وقال أيضا **إذا أراد أن يظهر فضله**
عليك خلق ونسب إليك فجل له عظيم فإذا أراد أن يظهر
عليك خلق الطاعة وحلاك بها ونسبها إليك وقال لك يا عبدي
أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وأثنى عليك على ذلك فإذا شهد
بعقد الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم
وانطلق لسانه في هذا الحال بالدعاء واستولى الوجل يا رب كيف
تفضلت علي بخلق الطاعة في وحليتني بها ووصفتني بصفات
حميدة أنا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب
والنجاة من العقاب فتقبل مني عملا وأجز فيه ما وعدتني كان في
ذلك مطالبا وإنما لا يحق العبد أن لا ينسب إلى نفسه شيئا من
محامد الصفات ومحاسن الأعمال حقيقة ولا أدبا إذ لا أهلية
فيه لذلك وأما مذام الصفات والأعمال ومساويها فمقتضى
الأدب أن يضيف ذلك إلى نفسه وأن يعتقد أن ذلك من خلقه
وجعله قال بعضهم لن يعني الله إذا عمل العبد حسنة وقال يا رب

أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت فاشكر
الله تعالى ذلك له وقال له يا عبدي بل أنت العبد وأنت تقربت وإذا
نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله
تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا
عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب
المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت
وأنت جهلت وإذا قال العبد أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت
أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت
وأنا حكمت وقد عفوت وقد حلمت وقد سترت وقال أيضا رضا
لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك
إن أظهر جوده عليك من رجعه الحق تعالى إلى نفسه ووكله
إلى عقله وحدسه فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله
مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن أولاه البر
وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه إلى حضرة قدسه
وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممزوجة مقبولة لأنها
يقول لما انتسبت إلى جاه تعرفت ذاته فحق أنا ذا رابا فيه رضا
وقال رضي الله عنه كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف

عبوديتك

عبوديتك متحققا التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجود جود
ه وأن وجود كل شيء من جميع ذلك لك وأن منك إنما هي عوار
ض عندك ولا ترى وجود كل إلا بوجوده ولا بقاء لك إلا بإبقائه ولا عز لك
إلا بعزته ولا قدرة لك إلا بقدرته ولا غناك إلا بغناه إلى غير ذلك
من الأوصاف ولا يتم لك ذلك إلا بأن تتحقق بأوصاف عبوديتك من
عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران مثلا
زمان بل هما شيء واحد لا تعدد فيهما على التحقيق وقال أيضا
منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح
لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين أورد هذا
كالدليل على ما ذكره فاعلم أنه لا حظ للعبد من صفات مولاه إلا
التعلق بها فقط وادعاء شيء منها من كبائر معاصي القلب
ومن مشاركة المربوب الرب وهو من مقتضى الغيرة التي أنفع بها
وأعلمنا بشأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما
من أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم الفواحش ما ظهر
منها وما بطن تحريم ذلك على العبد جعل التبجيل باستحقاق الجود
والعبد ومن أعظم الفواحش عند العارفين وجود شيء من الشركة
بقلب العبد بادعاء شيء من أوصاف الربوبية لنفسه عقدا أو

فوالاني ذلك مما زعزله وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني في شيء منهما القيته في النار ومعنى المنازعة
الدعوى فعلا وقولا واما اضمارا فعلا واشارة ومعنى العبودية بصفة
انما يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية فيما
هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى ما نعاك وغيرها
عليك ان تدعي ما ليس مما اعطى المخلوقين من الاموال وغيرها
ذلك عندك وانا وكل ما فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب
العالمين لا شريك له ولا فناء ولا نهم كحمدوا ذا امر احمق الكلام واشد
العدوان عافانا الله من ذلك قلت وهذا المعنى الذي ضمنه
المؤلف رحمه الله هو الغرض الاعظم الذي هو من مناتج العبودية
وكل ما تعبدوا به ونهوا عنه وامروا به ونهوا عنه من اقوال واعمال
واحوال انما هي وسيلة الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف
فشأنهم ابدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها
كما قيل من هجر وملك مباح والبصر ذلك هو الامر
المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد
الله تعالى عندهم بالوجود ولو ان الوجود انفراد لا يشاركه

برمح

باثني ومنحها لمنته كما ذكرناه انفا وهذا هو كيمياء السعادة
التي اعوز اكثر الناس ولم يحظوا منها الا بالاعلام اذ بذلك يستحق
العبودية لله عز وجل التي لا مقام للعبد اشرف منها كما قال
الشاعر الست في خلقها كفى شرفا جاوزت في خمد ومطلوب
ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات
هواجس الدعوى وكل ما يقتضي بقاء النفس وثبوتها من محبة المقا
مات والثناء ونيل المكاسب والكرامات ذنوبا عظيمة واخلاقا ذميمة
فاذا حصلوا على الكمال في العبودية ولا خلاص الى بربوبية يتبرؤون من جميع
ذلك الى ربهم ويتبعدون من شركهم ويخافون مما كسبته وملا
حقته غاية البعد ونهاية المكر والمحو ذلك فصل
اذا غلطت ما اذنبت فالتفاتك عجيبة ووجودك ذنب لا يقاس به ذنب
ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على اشكاله واقرانه فشكاه
اهل الطمع عاملهم الى الملك فقال الخبير دامن شئتم اوليه عليكم
فاقتلوا ذلك العبد لما راوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوا
فان اختار الولاية ولبينه عليكم مع غيب العلام بالولاية فامر
بكتبه المنشور ولما يستحبه اهل الاذا واجعل لا بينه والمبالغة
في الكلام بانواع الكرامات والمبار حتى من يرش عليه ماء

وفيه سمع ثم أمر من يقول إذا أشرف على الموت بعد أجزاء من اختار
الولاية على خدمة مولاه فمع هذا أعرض عن الأبصار وتسجى للأرباب
الاعتبار وقد أوضح هذا المعنى الجليل الموصل إلى سواء السبيل تشير
الحكاية المشهورة المروية عن ابن هرم رضي الله عنه حدث يحيى
ابن معاذ رضي الله عنه أنه رأى أبا يزيد مشاهدا من بعد صلاة
العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على صدر قدميه رافعا أخمصيه
مع عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف
قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم إن قوما طلبوك
فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا منك بذلك
وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فما
تغلبت البهم الأعيان فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما
طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فما تقلبت لهم فرضوا منك بذلك
وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الأولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي قال مذ متى
هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال
أحدثك بما يصلح لك أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت
السفلي فأراني الأرض وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك

العلوي

العلوي فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش
ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت
يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت
عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن وذكر أشياء فقال
يحيى بن معاذ فهالني ذلك فامتلأت به وعجبت منه فقلت يا
سيدي لم لا سألته المعرفة به إذ قال لك ملك الملوك سلني ما
شئت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني
لا أحب أن يعرفه غيره سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي
الله عنه بعد أن ذكر هذه الحكاية فهكذا حال العبد في نفسه
مأخوذا إذ كان به عن وجد له من وجود الكمال مقامه في المقامات
يفوت عن وصف الصفات وحوله إذا نظر إلى الحسن الذي حسنت
المحاسن كلها عن حسنه وتلألأت الزينات جميعها بعد أن
الذي زينته وشهد الجمال الذي جمل الجمال والمتجملون بجماله
لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن ويرضى
بعينه إلا إياه أم كيف ينظر غير إياه أم كيف يطلب غيره أ
حب أو يفهم مع غيره ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب
فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلب ووصف شخص

محجوب بغير ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
التشبه وفي الاشارة عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك تنعزل عن
معدن الملك والملكوت فتحظى في الدارين بالملك وتلحق العلو
بالملوك فتكون عندي من وراء ما أبغي فلا يستطيعك ما أبغي
لأنك عندي وإذا كنت عندي كنت عبدي وإذا كنت عبدي كان عليك
نوري فلا يستطيعك ما أبغي وإن أرسلته إليك لأن نوري عليك
وليس نوري عليه فإذا جاءك لم تطفئك فإذ نكبه فلا دليل
والعبارة في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه منه كفاية
وإنما ذكرنا هذه المعاني وإن كانت في الظاهر أعلى من أن يبتنا ولدى
كلام المؤلف رحمه الله تعالى لأن من جمع أمره في البدء إذا دقق
فيه النظر وقوي خلقه بوجود الغير وكان بالكفاية هو المعصوم
المعتصم وفي كلام الصوفية رضي الله تعالى عنهم كثير مما يجري هذا
المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم
وحسن القبول منهم ويفتح أسماعنا لإصغاء إليهم ويشر
صدورنا للانتفاع بما يرد منهم أو يبدو وإعانتهم بفضله
ومنه وقال أيضا كيف تخرق لك العوائد وأنت لم
تخرق من نفسك العوائد خرق العوائد بانكشاف عالم

الغيب

الغيب لا يكرم الحق تعالى به إلا من خرق عوائد نفسه وفنا
عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل إلى هذا المقام لا يطمع فيها وإن
ظهر له ما هو من الكرامة ينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستد
راج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فإن أحبه أو طلبه فهو دليل
على بقائه على سبيل الكرامة وهل هذه إلا علل لا يستقيم فقال
الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه جميع الآيات من الغيوب التي
تليه الحجب ولا شارط لا يظهر عليها إلا مطلوب نفسه
بغيبة ذكر لا حركته وسكونه بعينه ذكر له خيفة فيستتر
عليه رحمة له لأنه لو كوشف بها هلك في حركة الهوى وغرق
في الدنيا ونفس حبه وعين طلبه إياها هو حجابه عنها
واستتارها عنه نعم حتى يكون كارها لظهور كراهيته لظهور
الخلق على معصيته وخائفا منها لخوفه على نفسه وتكاهرها
عليه بهلكته فهنالك حتى يتلى بها ويحببه ليظهر لنفسها بعمل
وكذلك للشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن
كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق
لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة
وإذا من خرق عوائد نفسه لا بد لظهور شيء من الآيات

وخوارق العادة له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا
فناء عن ارادته جملة وكان له تحقق برؤية نفسه بعين الحقارة كان
ذلك علامة حصلت له اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف
وسلك الوهم بين الصدق بقية السفيه الذاهب وصح مع اهل
الارادة بالقدح القادح قال الشيخ ابو العباس بن العريف
رضي الله عنه اصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ ابي القاسم
ابن [illegible] حدثني حكاية عسى ان يفرج ما بي فقال وصف لي رجل
ببعض السواحل يعرف بابي الخيار فقصدته فوجدته على شط
البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا
وقت الصلاة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقين فاجتمعوا
اليه وتقدم منهم واحد يصلي بهم ثم افترقوا ولم يتكلم يتكلم
منهم احد احدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى
اذا كان وقت الصلاة اقبل النفر وصلوا ثم افترقوا حتى اذا كان
وقت العصر اجتمعوا وصلوا ثم اجتمعوا بعد ذلك وتذاكروا
في سبيل الخير ومقامات الاولياء الى قرب الاصفرار ثم
تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة
ايام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي ان اسالهم عن مسالة ان

استفيدها

١١٩

استفيدها ثم تفرقوا عنه الي فقلت لابي الشيخ مسالة
اسال عنها فقال قل ثم نكز الجماعة الي كالمنكرين فعن عند
فقلت لابي الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني
كالاول ولم يجاوبني فقمت وعدت به الثالثة وسالته عن
المسالة بعينها فاجتمع وقال الا تقل بعد كذا لكنك تريد ان
تسال عن ابتغاء المريد الارادة فقلت نعم فقال اذا اجتمع
فيك اربع خصال احدها ان تطوى لك الارض وتكون عندك كخطوة
واحدة وان تمشي على الماء وان تاكل من الكون متى اردت وان لا ترد
لك دعوة فبعد ذلك تصح او تقدم في الارادة واما ما علم
المريد انه مريد فتلك من حد الارادة قال الشيخ ابو العباس
ابن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها
ثم قلت ايستند من الارادة يا ابا القاسم وتعجبنا من علو
همة هذا الشيخ انتهى واعلم ان اول ما تحقق له من عادة
تسميته باسم مريد مع كونه مسلوب الارادة وما احسن ما
قال القائل • تكون مريدا ثم ميت ارادة اذا لم ترد شيئا فانت مريد
والتحقق بهذا ان من تمحضت ارادته للعبودية لله عز وجل
بمراعات حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك ليتوصل به الى نيل

ما هو الذي يسمى مريدا على التحقيق بذلك لانه متصف بالارادة التي هي
الحقيقية المتعلقة باشرف المطالب ونهاية الامال والمآرب
فذلك امر وجودي يصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر
لانه يسمى بذلك لاجل ما سلب منه من الارادة المجازية المتعلقة
بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضي وجود الاخرى اقتضى
الواجب في الشرع ان يطلق اسم الارادة على من سلبت منه ويجري
على من وجدت فيه رشاقة وملاحة وتعمية وبهذا التقرير
صحة كلام ابي يزيد رضي الله عنه واستقامته حيث قال في القنوا
واعلم انه قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد الا يريد فقد اراد وهذا
قول من لا معرفة عنده وذلك ان ابا يزيد رضي الله عنه انما اراد
الا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد اجمع عدم ارادتهم مع
وجود ارادته فلا يريد سوى ما اراد الله تعالى ولذلك قال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه فكل مختارات الشرع وترتيباته
فهو مختار الله ليس لك منه شيء واسمع واطع وهذا موضع
الفقه الرباني والعلم اللدني وهو ارض التنزيل لعلم الحقيقة
المأخوذ عن الله فافهم فان الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار
الشرع لا يناقض اختيارك مقام العبودية المبني على ترك

الاختيار لله لا يخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة فذلك فيقتضي
ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن واداته لا تخرج بعض
العبيد عن حد العبودية لانه قد اختار فيبين الشيخ ان كل مختارات
الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء فانما انت مخاطب ان تخرج
عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا عن تدبير الله ورسوله لك
فافهم قال بعضهم علمت اذا ان ابا يزيد ما اراد الا يريد الا ما
اراد الله منه ذلك فلم تخرجه دعواه الارادة عن العبودية المقتضات
منه انتهى وقد كان ينبغي الكلام في هذا المعنى حتى ان نبعد
المناسبة بينه وبين المسألة المنبه عليها من الكتاب والحديث
سمعون يخرج بعضه الى بعض لكن لما كان مقصودي هذا التنبيه
استخراج ذكر الفوائد في مظانها ومكانها لتنوع مسائل
هذا الفن الغريب استماع من اراد الله تعالى توفيقه ممن بينه
وبينه تعدد المحبة فيرجع سنا ذلك وكنا سائرين فيه على اوضح
المسالك وبالله تعالى التوفيق وقال ايضا ما الشأن

وجود الطلب انما الشأن ان ترزق حسن الادب

اذا التزم العبد طلب حظوظه وحوائجه من مولاه لم يطلب
ذلك من غيره فلا يظن انه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية

الربوبية فليس ذلك بالفقر المعتبر عند المحققين وانما المثال
ان قام العبد فليس بعد مولاه اذ باحسنا بالتفويض الى بين يديه
الله ويرضى بما قسم الله له ولا يطلب منه كما سيقوله المؤلف رحمه
الله بعد هذا او يطلب منه عبوديته لا لقصد حظ فى هذين
الوجهين يحسن الادب ويقع سؤاله وطلبه وذلك هو الوقوف
على التحقيق قال رضي الله عنه ما طلب لك شىء مثل الا
ضطرار ولا اسرع لك بالمواهب مثل الذلة والافتقار
اضطرار العبد هو اخص اوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من
العبد شىء اجل منه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه
العبودية الرجوع فى كل شىء الى الله عز وجل على حد الاضطرار
وفيه ايضا خاصية اجابة الدعاء قال الله تعالى امن يجيب الم
ضطر اذا دعاه واضطرار المطلوب منه ان لا يتوهم العبد من
نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه شيئا من الاسباب
يعتمد عليها ويستند اليه ويكون بمنزلة الغريق فى البحر
او الضال فى التيه والفقير لا يرى نجاة الا من مولاه ولا يرجو النجاة
من هلكته احد سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف
بين يدي مولاه فيريد به اليه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله

حسنة

حسنة يستحق به شيئا فيقول يا مولاي بلا شىء والذلة والا
فتقار اسرار لا زمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى
١٢١ الى العبد المتصف بهما والى ذلك الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة فجعل نصرهم او جعله عزتهم ونصرهم كما اتفق
ذلها واذا انت للحق لم تاب تقربا منك اليك جميعها فى جملتها
وقيل من اصلحته الذلة والافتقار تلقفته بعين ورآه
قال فى لطائف المنن والجالب التوبيخ وعلامة صدقه الرجعى
الى الله فى قوله وكل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه واما
تحققه فى الذلة والمسكنة بين يديه والاستصحاب ذلك الى
الموت ومن ذلك ابدا وقد قال الله عز وجل ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه وتعالى انما الصدقات للفقراء
والمساكين فلا تدخل حضرته بعملك وعلمك وما اعطيت من نور
ومنح فيقول الحق قال من دخل حضرة الله عنه وقد دخل حضرتك وهو
كالى لنفسه فلا انما الكل ان بين هذه البدل ولا كرامة دخلها كما
بين لك وقال للعارض لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء
الله لا قوة الا بالله واجمع ها هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول
ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية اخرى كنز من كنوز

تحت الرموز والترجمة كجواهر الكنوز والمكنوز فيه حد في الغنى
من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته وقال
لولا انك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو
دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اردت ان يوصلك
اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك
اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله تعالى
لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علائق القلب ومن
ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو
لم يكن الا ارادته وعمله بتحصيل هذا الغرض بنفسه وهي وجملة
المساوي والدعاوي المحتاج الى محوها قال الشيخ ابو العباس
رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول
الى الله يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملل وقال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته
وتدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى
عبده وذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله ان يوصل عبده
اليه تولى ذلك له من ان يخلع من صفاته العلية ونعوته القدسية
ما يغيب به تلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة

على

على محبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا
اختيار الا ما اختاره مولاه واراده فيكون حينئذ واصلا الى
الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاج
تهاد والعمل فسبحان المتفضل على من يشاء بما يشاء وقال
لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول العبد متى نظر
الى نفسه وعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله
وقوته عليه وهذا الا يحصل له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف
حجابه فيراه به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي
القادح في الاخلاص شرط في قبول الاعمال كما تقدم قال الشيخ
ابن عباد رضي الله عنه مصكرا ابن آدم جسم معيب وقلب معيب
يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد كان بهذه
المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله
تعالى وعفوه وحلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه
لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي
الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت

اعمالهم زاد مقتهم وبافتحهم فتبرأ واعرض كل شيء دون كل شيء الله
وسترهم وقال ايضا انت الى حلمه اذا اطعته احوج
منك الى حلمه اذا عصيته لان العبد ربما قد يكون انما
يكون نظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده
وثنائه وخشيته وسكوته من غير الله تعالى انما يكون بنظره
لنفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله با
الطاعة يتعرض لهذه الاخطار من نظره لنفسه واستعظام عمله
وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه من دقائق
الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشياء فانها
تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب الاستكانة والخضوع
وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا اطاعه
احوج منه الى حلمه اذا اطاعه وجاء في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اوحى الله الى نبي من الانبياء قل لعبادي الصديقين
لا يغتروا فاني ان اقم عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم
لهم وقل لعبادي الخطائين لا ييأسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي
ذنب اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد توبة المعصية واحدة
وتوبة الطاعة الف توبة وقال ايضا الستر على قسمين

ستر

ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر
من الله فيها خشية سقوطهم من مرتبتهم عند الخلق والخا
صة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك
العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم و
محبة مدحهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون
بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها في حال كونهم عاملين
بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من اعينهم وبها مثالهم قال
الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الشيخ ابو القاسم القشيري رضي
الله عنه في هذه الاية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا
يشعرون بان الحق مطلع عليهم اولئك الذين وسم الله قلوبهم
بوسم الحرقة روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة
حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا الجنة وما
اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون
بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا
النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها

ولما يكن كان اهون علينا فان ذلك اردى بكم كنتم اذا خلوتم بانفسكم
بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم متخشعين تراءون الناس بخلاف
ما تعطون من قلوبكم هبتم الناس فلم تهابوني اجللتم الناس ولم
تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم اليم العذاب
مع ما حرمتكم من الثواب وفي بعض الكتب ان لم تعلموا اني اراكم
فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين
اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المراة فيرى القوم انه يغض بصره
فاذا غفلوا نظر اليها ويرى انه يغض بصره ويود لو انه
يطلع على عورتها ويفجر عليها وقال الفقيه في رواية اخرى هو
الرجل يكون في القوم فتمر بهم المراة فيراهم انه يغض بصره
عنها فاذا راى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف
ان يفطنوا غض بصره فقد اطلع الله عز وجل من قلبه يود انه لو
نظر الى عورتها وهذا كله شان المرائين الذين يستخفون بنظر
الجبار ويهابون الناس ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من
الاوزار والخاصة من اهل الابصار والبصائر براء من هذا الوصف
الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة

ع

عن النظر اليهم ولا اعتماد في نفع او دفع وطالبهم انما هو القناعة
بعلم الله تعالى ومراقبة نظره جل يطلبون الستر من الله عنهم
بان يفضحهم في نظرهم ولا يخرجها بقلوبهم ويميل اليها نفوسهم
فيعملون بها فيقعوا في غواية ربهم والتعرض لسخطه والمقت
من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى اشار سيدي ابو
الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه بقوله اللهم انا نسالك
التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف
منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها والتفكر
في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها
لها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها وقال ايضا رضي الله عنه
من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك
ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك العبد محل الافات والعيوب
وستر الله الجميل هو الذي يحبب الناس الى الناس فاذا اكرمك
احد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترى لنفسك وصفا محمودا ان
تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا تحملنك ايضا
رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على ان تحمدهم
عليه دون ربك الذي اظهر لهم الاكرام لك وستر عنهم عيوبك بجـ

والظهور لهم بمحاسنك فتكون بذلك كافرا لنعمة ربك كما يوضع الحمد
في غير موضعه وقال أيضا أيما أعطيك أنا من عيبك وهو يعيبك
عليه وليس في ذلك أنا مولاك خير من تعجب من يطلب لأن
الذي يعود منك إليه الطاعة على الحقيقة فهو من بدل إحسانه
لك وأسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك
التي يكرهها منك وليس في ذلك أنا من مولاك وخير صاحب لك إذ
من اعتنى بك وأشرك وإرادتك من غير منفعة تنالها منك وليس
ذلك أيضا أنا مولاك فاتخذه صاحبا ودع عنك الناس جانبا قال
لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها
ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها
نور اليقين تتراءى به حقائق الأمور على ما هي عليه فيحق به الحق
ويبطل الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فإذا أشرق نور اليقين
في قلب العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه
حتى كأنها لم تزل عنه وانت أقرب إليه من أن يرحل إليها فحصل بذلك
عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نور بهجتها وأسرع
إليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة
فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر

اليقين

اليقين إلى زهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والإقبال
على الآخرة والتهيؤ لنزول حفرتها ووجدان العبد لهذا علامة
انشراح صدره بذلك النور قال النبي صلى الله عليه وسلم إن النور
إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله
هل لذلك علامة يعرف بها قال التجافي عن دار الغرور والإنابة
إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال
صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهوته وتذهب دواعي
نفسه فلا تأمره بالسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا تكون
له همة إلا المسارعة في الخيرات والمبادرة إلى اغتنام الطاعات
والأوقات وذلك لاستشعاره طول الأجل وفوات صالح العمل
وإلى هذا المعنى الإشارة بحديث حارثة ومعاذ رضي الله عنهما
روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر
ما تقول فإن لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن
الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا
وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل
النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الإيمان

في خلقه قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة ثم جاء إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغزا يوما في الخيل يا خيل الله اركبي وكان
أول فارس ركب وكان أول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أخبرني عن
ابني حارثة إن يك في الجنة فلن أبكي ولن أجزع وإن يك غير ذلك بكيت
ما عشت في الدنيا فقال يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها
جنات في جنان والحارثة في الفردوس الأعلى فرجعت وهي تضحك
وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن
معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقال كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا
قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة
فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما أصبحت صباحا قط
إلا ظننت أني لا أمسي وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا
أصبح ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى وكأني
أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها
التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل
النار وثواب أهل الجنة فالزم بهذا الرجال الفاضلان
الحارثة ومعاذ بن جبل الأنصاريين رضي الله تعالى عنهما

لما

لما أشرق عليهم أنوار اليقين وتمكن من قلوبهم أي تمكن صدر
منهم ما صدر مما ذكرناه من فنون العبر وشاهدوا أحوال الآخرة
١٢٦ بمنزلة رأي العين فسلمت أعمالهم من العيوب وإن جاءت
وحفظت من الغفلات والسيئات وكشفت منهم الأستار للقلوب
وسارت في كل أمر محبوب وكانت أرواحهم اشتاقت إلى لقاء
الواحد المعبود وكانت أنفسهم حتى طابت عندهم أحلى من
الشهد حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وكذلك غيرهم
من الصحابة وكبار التابعين والأئمة الكبار رضي الله عنهم أجمعين
ولقد أصاب معاذ عن النبي ما يسمع منه إلا حاد فلا مقبولا
أن أناسا لما ماتوا على دين الحق وجه والمنية منها معسول
وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن حرام بن ملحان رضي الله عنه
وهو خال أنس طعن يوم بئر معونة في رأسه فتلقى دمه
بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة و
كان جبار بن سلمى فيمن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل
ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت
رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله فقلت في نفسي والله
ما فاز الرجل فسألت حتى بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة ثم
فعلمت فاز لعمر الله والمطعون ها هنا هو عامر بن فهيرة

رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن امراء الثلاثة
يوم مؤتة اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد عن
امارة ففتح الله عليه الخبر قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرهم
انهم عندنا وقال ما يسرهم وهم عندنا وعبارة قد رجال ملكهم
د رهم لغد جاوز وامر لقيه شريعة ومنزلته عالية مسيجة وقيد
لا مثل الغائب بل غمست بلطائف برهم لو كشف منها كبرهم محجبة عما
شموس المعارف وفعنا في اودية المعطالك واعتالك واعتر
بعدة الدار الغرارة العقاب السحارة فتشبثت بحبال الضلال
بتشبثا كحما وارتكبنا في مطا بد رها واشتد الحقها من غير شعور بما
حالها وتزوير محالها بكلامنا فصدنا اليها ونعوم بنا عليها
منزلة كمثل ان لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجده شيئا
ولاغفلتنا مع هذا كلم تنشب الى العمر وتحجب كمال المعرفة
واليقين والحضور في غمار اولياء الله المتقين مع ان احدنا
لو خير بين حلول الجنة والبقاء في الدنيا معلقا باشتعال العين
لاختار البقاء فيها على قبح الحال مع كونه لا يحدث بنفسه في
طاعة بارئه ولا عن معصية باشتغال وبعده كلف اخلاق
بعبودية لا تليق بمن ينتسب الى الحضرة والملة المحمدية فان
الله عز وجل ستر اجلال المعبود وكان شعبا لاستتارهم ونعاند

لاستتارهم

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات

١٢٧

لاستتارهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا
يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر
والله بصير بما يعملون فلو لم ينبه العاقل على محبة البقاء في هذه
الدار وفي امره بايثار دار القرار الا تشبيهه باليهود الناقضين
للعهود المتخذين ونبذوا امر المعبود لكان ذلك ابلغ نائل وتام
بطالع ما ورد في ذا الامر مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا
حجاب الغفلة والغرور وجمعنا في مشاهدة كل الظلوم وكبور
وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزقنا حبيبا له واحبائه بمنه
وكرمه وقال ابن عطاء رضي الله عنه **ما حجبك عن الله وجود**
موجود معه اذ لا شيء معه موجود ولكن صح
حجبك عنه توهم وجود معه تقدم ان لا موجود
سوى الله تعالى على التحقيق وان جميع ما سواه انما هو وهم مجرد
فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سوى الله لا غير
والتوهمات باطلة فلا حجاب لك عن الله اذا وقد استوفى المؤلف
جميع اعتبارات هذا المعنى قبل هذا في الطريق المتقدم
اشبه شيء بوجود الكائنات اذا التفت اليها بعين البصيرة
وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الو
جود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا اثبت

الا بثار لم تنتفع احدية الموتى اذا لنفخ. انما ينتفع بمثله ويضم الى
شكله كذلك ايضا من شهد ظلمة الاثار لا تعوقه عن الله جار ظلال
الاشجار في الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن معنى هذا تبين
لك ايضا ان الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك
وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شيء اقرب
من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن
الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات في مكان فاراد البراز
وسمع صوت الريح مركوزة هناك فظنه زئير اسد فمنعه ذلك
عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا وانما هو الريح الخفيف
في تلك الكوة فما حجبه لوجود البراز اسد وانما حجبه توهم
الاسد وقال ايضا لولا ظهوره في المكونات ما وقع
عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت
مكوناته ظهور الحق تعالى ضروريا حجاب المكونات وهو
الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود
حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي
الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته كما جاء في الحديث حجابه النار
وفي رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه
كل شيء. انتهى كلامه وقال ايضا اظهر كل شيء بانه الباطن

وطوى

وطوى وجود كل شيء لانه الظاهر من اسمائه تعالى الظاهر
الباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شيء حتى لا يظهر معه فيقتضي
خفي وجود كل شيء. واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا
باطن معه فيقتضي اذ ذاك وجود كل شيء. فالحق تعالى يقتضي الوجود
بكل اعتبار والخلق العدم وقال ايضا اباح لك ان تنظر ما في المكونات
وما اذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا
ماذا في السموت ولم يقل انظروا السموت فتح لك
باب الافهام ولم يقل انظروا السموت لئلا يدلك
على وجود الاجرام امر الله بالنظر في المكونات ليس لذاتها
لان في ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يرد هذا وانما
امر بعين تلك ليبطلوا النظر فيها الى الموجود الظاهر فيها واما
تفطن الى هذا المعنى في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموت والارض
المعنى المقصود به وجود الوحدانية ومنه ما يستفاد وهو
معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا
السموت لكان منه دلالة على وجود الاجرام وهو اعتبارها وفيه
البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم ياذن فيه قال في لطائف
المنن انما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها
فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره

فيها ولا نزاعها من حيث كونها ثابتة قال والناظم في هذا المعنى

ما انتبت لك العوالم الا اثرا دها بعين من لا ابرادها
جار في عندها رقي من لم يرضا حالة في وراي بري مولاها

وقال ايضا الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته
الاكوان من ذاتها العدم المحض لم تتقدم وانما حصل لها وصف
الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها اكوانا فالثبوت لها امر
عرضي والحق اللازم هو وجودا حدية الله والاحدية مبالغة
في الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون
اشد ولا اكمل منها ومن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها
لانها توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان في ذلك تعدد وان
اثنينية كما قيل: رب عبد ونفي قد قلت له لم يبق ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلت له وجود بعد وفقد وجدي
توحيده هو تركه حقه وليس حق هو سواي وجدي

وانشدوا: من سري في جانب القدس افعاله لاكن بذاك الفناء قد احل
وطن في ملكوت من حجابه لم الو غير وجود ماله شان
ورد الى البقاء حتى اعيد في جمال الهوته لكل هيمان

وانشد المؤلف رحمه الله تعالى في لقائه المنسوب رجلا
من اخوانه اسمه حسن ق

ختم

١٢٩

حسن بان تدع الوجود باسره حسن فلا يشغلك منه شاغل
وليس وجهت لتعلمن بانه لا اترك الا الذي هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم انه من وهمك ان دنا وقليل ذا
احسب لله شهوده لوجوده والله يعلم ما اقول الغافل
ولقد انتهت الى الصحيح من الهدى دلت عليه ان رجعت دلائل
وحديث كان ولم يكن شيء غيره يقضي به العاقل
لا غير والنسبة منفوقة لتقدم ذو ترك وبحمد جاهل

وقال الغزالي رضي الله عنه الناس يمدحونك لما يظنونه فيك
فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها ذم العبد لنفسه
واحتقاره لها لعلمه وتحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب
منه لانه يؤديه الى الجد في غرورها وشرورها فيصلح بسبب
ذلك اعماله وتنجح احواله وان قصدها عليه واعتقلت له حول ان
ماتت عليها ولا يصده عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه
يعلم من نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما فاتوا الحق ما يجب عليهم
من المدح له وحسن الظن به ينبغي ان يقابل بغيرهم هو الحق يجب
عليه من اتهامها وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح
بمدح بعد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه وقال ايضا اذا قيل لك
نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقول لك بئس الرجل انت

دائما والله يبصر الى حاله وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم لم يزل
الناس بخير ما ابقاك الله فهيج وغضب وقال اني لا احسبك عراقيا
وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب بمقتك فاشهدك
على مقته وقال علي اخي اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا
بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام ابو حامد الغزالي
رضي الله عنه وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق
وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله
تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى
والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار
مع الاشرار وهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار
فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي
ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق
ومهما علم ان الارزاق والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم
وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه
انتهى كلام ابي حامد رضي الله عنه وقال ايضا رضي الله عنه
**المؤمن اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف
لا يشهده من نفسه** المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشهد من
نفسه صفة محمودة يستحق بها ان يمدح او يثنى عليه دائما

يشعر

يشعر من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه وذكروا محاسنه رد
استعمال من الله تعالى سبحانه تعظيم واجلال ان يثنى عليه بوصف
ليس فيه فيزداد بذلك مقيما لنفسه واحتقارا لها ونفورا
عنها وبغضا عند رؤية احتقار الله تعالى وشهود فضله فان
اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع
سلامة من الركون الى ثناء العبيد وقال ايضا رضي الله عنه
اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس الاغترار
بمدح الناس وثنائهم غاية الجهل والغباوة وذلك من علامة
الحمق لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو عليه
كان اعلم بنفسه وقد تشير الحارث المحاسبي رضي الله عنه
الى ان الراضي بالمدح بالباطل كمن يستهزأ به وتقول له ان العذرة
التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك
ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب التي
يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر من العذرة التي تخرج من
جوفه وما في قبيح الحالين الا انه فعل المدح لم يعلم ان المادح
لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركته ذلك المستهزئ
للمستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو لجهله و
غباوته قد رضي بان يكون له في قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر

وجاه من غير مبالاة به فسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا
يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك
بالإباية والكراهية سيما إذا كان المادح من أهل العلم والدين
وأما إن كان رجلا جاهلا أو من السفهاء فلا غناء ثم أعظم من الرضا من مدحهم
قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الأشرار هجنة بك و
مدحهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء إن العامة يثنون عليك
فأظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا مني شيئا أعجبهم والحمد لله
عني فيعجبهم ويبهرهم وروي عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض
الحكماء فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك فقال إنه لم يمدح
مني وإنما هو بعض خلق خلفه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبه
هذا الحكيم على العلة في ذلك وقال أيضا رضي الله عنه إذا أطلق
الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله
المومن هو الذي لا يرى لنفسه أهلا لأن يمدح أو يثنى عليه لأن
موجبات ذلك ليس له منها شيء كما تقدم فإذا أطلق الله تعالى
ألسنة الناس بالثناء عليه ولا أهلية فيه لذلك فينبغي أن يرجع
بالحق لأهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله بما هو أهله ليكون
ذلك شكر النعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليه من غير استحقاق
لذلك ولا ثبوت أهلية وقال أيضا الزهاد إذا مدحوا انقبضوا

للشهود هم

١٣١

لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا
لشهودهم ذلك من الملك الحق تقدم أن الزهاد
غيبة عن الله تعالى فهم لا يشهدون إلا الخلق فإذا مدحوا وأثني
عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لأنهم يخافون
من فوت نصيبهم من ربهم لأجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك و
العارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشهدون معه غيره فإذا مدحوا
شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في
إيمانهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم قال بعضهم يمدح وهو
ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست أغلط في نفسي
بل الصفة في التيسير والمجرى والمنشأ هو الله عز وجل وقيل هذا
المعنى في الخبر المروي إذا مدح المومن ربا الإيمان في قلبه قال
أبو طالب المكي رضي الله عنه ووجه ذلك عندي أن يعلو الإيمان
العلي إلى المولى الأعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه إلى صنيع
الذي تولاه فيرد الصنعة إلى صانعها ويشهد مولاه في
ظهورها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للصانع الذي وصفه
ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمولف رحمه الله فصل
في مدح شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه وكان يستشهد هو
بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستمع منه

بعضها وتقول في بعضها أيدك الله بروح القدس ونحو ما كان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم للشاعر حسان بن ثابت بعد ان مدح
عندهم من الرذايل التشبه بالفضايل في نحو التنكر والشفوف
الجمع الاستغفار لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها مما
يستقبح لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد وقع ذلك لسيد
عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهم وغير هم غير واحد منهم مع ان ذلك
معدود عندهم من الصدق في النصح وما ذلك الا لما ذكرنا ولنا في مثل
ما وقع لهم من ذلك بما انا والرد على علماء الظاهر مدح يوسف عليه
السلام لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة
اليه وفي هذا المقام والله تعالى اعلم وعلامة الصادق في حب
المدح وان كان صادقا صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة الا بكل
من الناس من حيث نسبة ذلك القبيح لانهم معذورون فيه بقدر
القدر فيتبسم لهم ويعفو عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يبطل
بغضا من اجل ذا القبيح كما قيل شعر

ربما راحة باجماع الاذى ... لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى ان يطلع الله على ... جرح القوم فيه يفرح اليه

وقال الشيخ رحمه الله منا كنت اذا اعطيت بسطك العطاء
واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على

ثبوت

١٢٢

ثبوت طفوليتك وعدم الصدق في عبوديتك القبض
عند المنع والبسط عند العطاء من علامة بقاء الحظ والعمل على
نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين من وجد ذلك فليعرف
انه عديم الصدق في عبوديته وانه طفيلي من اهل الله تعالى في دعاية
مقاماتهم وهو ليس منهم والطفيلي هو الذي ياتي الى الولائم و
الضيافات فيدخل مع اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى
رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل
الاعراس وطفيل العرائس وكان ياتي الولائم من غير ان يدعى اليها
فنسب اليه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي
رضي الله عنه اكثر الخلق مع الله تعالى في احوالهم وارادتهم على
الظنون ما تحقق منهم له الا قليل لان الله تعالى يقول وما يتبع
اكثرهم الا ظنا والمتحقق مع الله تعالى في حال الغائب عن كل ما عنه ولي
من الافعال والاحوال لكن ما اليه من رعاية الحقوق ومحافظته وتولاه
وكان المحقق من حيث الحق لا من حيث هو المحقق ولكن اكثر العبيد
يشيرون اليه بالمعرفة ويدعون حالة الصحبة فاذا ورد عليهم
وارد بلاء او خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشتغال
عليه ولا اهتمام به ونسوا ما ادعوه وما اشاروا اليه
جميع الموارد فسبحان من نزل الخلق من حظ فيهم ان الوصول لا يعتري

عليه عادت خلاف ما هو عليه حاله مما سواه. وقال ايضا رضي الله عنه

اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك

الاستقامة على العبودية لا ينافيها معاودة الذنب على سبيل الغفلة والشهوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما ينافيها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسببه ووقوعه فيه من الاستقامة مع ربه فيرده الى حد ما والعبد بقبحه فوجب القنوط من رحمة الله تعالى والاياس من روح الله لانه قد يكون ذلك الذنب اخر ذنب قدر عليه وقد يكون ذلك ووقع منه. وقال ايضا **اذا اردت ان ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا اردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه** الرجاء والحزن حالان عن مشاهدتين فمن اراد ان يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله اليه من الفضل والاكرام والاسعاف فيغلب عليه حال الرجاء ومن اراد ان ينفتح له باب الحزن فليشهد ما منه الى الله من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فيغلب عليه حال الحزن. وقال ايضا رضي الله عنه **ربما افادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط**

لا تدرون

١٢٢

لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا تقدم ان القبض يوثرونه العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود فقرهم على الوفاء باذابة دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من ابواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد ان يعرف نعمة الله تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفها في اشراق نهار البسط كما يعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار فليكن على ذلك الى ان يحسن ظنه به فانه لا يدري ايهم اقرب نفعا كما اشار اليه في الاية الكريمة وتشبيهه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي ابي الحسن رضي الله عنه. وقال ايضا

مطالع الانوار القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها ومواضع شروقها قلوب العارفين واسرارهم وهذه هي الانوار على الحقيقة من المطالع الروحانية بخلاف الانوار المحسوسة. قال بعض لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه اذا تولى وليا حاز قلبه من الاغيار وحرسه دوام الانوار حتى تقوى. قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المومن اولى بذلك يقول الله تعالى فيما حكى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني

قلب عبده المؤمن فإن قلت رحمكم الله تعالى هذا الأمر الأكبر الذي أعطيته
هذا القلب حتى صار بهذه الرتبة أهلا وبهذا قال الشيخ أبو
الحسن رضي الله عنه لو كشف نور المؤمن العاصي لطبق ما بين
السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت
شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولي
لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرني
بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر
عقلي وذلك بأن شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت
الأنوار من وجوده حتى إني لم أستطع النظر إليه قال فلو كشف
الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أولياءه لانطوى نور الشمس
والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر
من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار
قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف ولا غروب لها ولذلك قال قائلهم
إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب
وقال رضي الله عنه نور مستودع في القلوب مداده
النور الوارد من خزائن الغيوب نور اليقين المستودع
يستمد ويتزايد من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو
نور الأوصاف الأزلية كما ذكرناه عن الشيخ أبي العباس الم

رض

رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى
أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه وقال
نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن
أوصافه النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن آثاره وهي
الأكوان المحدثة وليس إلى ذلك كبير حاجة إلا من حيث الاستدلال
به على المؤثر والنور المستودع في القلوب ويكشف لك به عن أو
صافه الأزلية حتى تراها عيانا وفي هذا غاية تحقيقك وبه تترقى
قدرك ومنزلتك إذ بذلك تتحقق في المعرفة وتترقى في المشاهدة
ولا يحتاج إلى دليل بذلك وهذا فرق بين النورين حسب ما في لطائف
المنن نور الشمس يستشعر به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر
قال بعض المشايخ في هذا المعنى هذه الشمس قد طلعت بنور ولشمس
اليقين أبهى نورا وأجلى أبصرنا بهذه النور لكن بدا تبينك قد رأيناه
وقال أيضا رضي الله عنه ربما وقفت القلوب مع الأنوار
كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار القلوب نورانية في
فتحجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم
والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بمحبتها لكثائف الأ
غيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة
بالأنوار كما النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله

قال أبو الحسن الششتري رحمة الله عليه في قصيدته النونية
تقيدت بالاوهام لما تداخلت عليك ونور العقل اورثك العمى
وهمت بأكوان جعلتها أصولها ومنهجها من اين كان فما همنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما تبعد عن الخلاء نعيم بما حوى المعنا
وقال أيضا رضي الله عنه ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر
اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها
بلسان الاشتهار انوار السرائر انما خفيت عن العيان بما استترها به
من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان يكون الا لها
لانها رفيعة القدر جليلة القدر فجلالها عن الابتذال بوجود
الاظهار بعاية وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار
بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا
المعنى في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وقال
سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه
ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه الدليل على الله سواه
ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياؤه ولما كان الوصول الى الله
تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل ان يكون بطلب
او سبب كان اولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع
عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمنته الجسيمة واصطفاهم
لنفسه

لنفسه واختصهم لمحبته وانسه وكتم اسرارهم من اجل الا
غيار وصان قلوبهم بما اودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا لذلك
خفيا به في عباده وخبايا في بلاده كما قال في بعض الاشارات
عنه سبحانه اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته
عليهم لان الحق تعالى اغير على اوليائه من ان يطلعهم الى من لا يعر
فهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل
اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين
الانام ويظهر ما يخفيهم في اعين الخواص والعوام فلا يكون لاحد
دليل عليهم ووصلوا بسبب اليهم قال في لطائف المنن فاولياء
الله اهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته
يعني شيخه ابا العباس رضي الله عنه يقول معرفة الولي اصعب
من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف
مخلوقا مثلك ياكل ويشرب كما تاكل وتشرب واذا اراد الله
ان يعرفك بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته واشهدك
وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب انوار القلوب لله سبحانه
عباد كفهم عن العامة وعباد اظهرهم للخاصة والعامة ولله
عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد
يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله عباد لا يظهرهم

حقيقة ما بينه
وبينهم الى الحقيقة من سواهم حتى يلقونه لعبا او
دعيهم منفرد في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح
الادنى من العرش الذي يتولى الله قبض ارواحهم بيده فتصيب
اجسادهم به فلا يفسد واعليها الثرى حتى يبعثوا ابدانا مشرقة
بنور البقاء فيجمعوا فيهم بقاء الابد مع البقاء الالاهي عز وجل
انتهى وقال ابو يزيد رضي الله عنه اولياء الله تعالى عرائس ولا يرى
العرائس الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده
في حجاب الانس لا يراهم احد لا في الدنيا ولا في الآخرة وقال
الجوزجاني رضي الله عنه الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة
الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه انوار التولي لم
يكن له عن نفسه اختيار ولا مع الله غير الله عز وجل قرارا وفي
اشارة عن الله عز وجل انما سميت الولي وليا لانه يلي دون
ما سواه جمع مستر دعوى شيء يرى الحق تعالى لهم من ان يوصل اليهم
بغيره ولذلك صدر المولف رحمه الله كلامه بالتنبيه وقال
ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف
على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفاء اسرار الناس
بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود عيب وسوء كما هي
ما ذكره المولف رحمه الله تعالى هنا بدليل الكلام الذي عقبه

به

١٢٦

به وقد يكشف لبعض الناس ما سوى ذلك من اسرار الملكوتية
ووجه الحق في بعض ما بينه المولف الان وقد يحتمل ان يريد ما
هو اعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اخفى
الحق تعالى بها بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة
الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المولف رحمه الله تعالى
في المسألة التي تقدمت حتى يمتنع الوصول اليه بطلب
او بسبب واخفاء ذلك الخاص عامة المومنين من النعم الا
العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية على احد لاوجبنا على
من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فان فرض في ذلك
وترك القيام بتلك الحقوق اساء وفرح بسبب ذلك في محذور
وانه لا يفوه لك اقامته فقد وجهنا هذا المعنى ومن كلام سهل
ابن عبد السلام رضي الله عنه سأل الله بعض ملامذته كيف تعرف
اولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا اشكالهم
او من اراد الله ان ينفعه بهم ولو ظهروا حتى يعرفهم الناس
لكانت حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم
حرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم رحمة منه
لخلقه وراحة ولكن الله قد اخبر بكم امنه فقال عز وجل الله
ولي الذين امنوا والله ولي المومنين فاخبر بهم ولو حتى

يبرزهم لكان في التخلق البدوي حجة وكان الاستمتاع لحد بينهم من خطا
انتهى كلام سهل رضي الله عنه والمعنى الذي ذكرته في هذه المسألة
في جملة من كلام الشيخ ابي طالب المكي رضي الله عنه في كتاب الشكر
قال فيه ثم بعد ذا من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض
وسترهم عند العلماء والظاهرين منهم لولا ذلك ما نظروا اليهم ثم
حجب الظاهرين عنهم ولو اطلعوا عليهم ما ابتدروهم لما حتى يكونوا
الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب
المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم اليهم ولحبطت اعمال
المسيئين اليهم فيه فحجب في ذلك وستره ما عمل العاملون من الخير
دائم على الرجاء وحسن الظن من وراء حجاب الغيب وتأخرت عقوبات
المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله
عز وجل وجليل قدرهم في ستر هذا نعم عظيمة على العالمين في نفوسهم
من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المتقين لحفظ منهم
المصطفين لتشاغلهم بالله تعالى من اجلهم اذ كانوا سواء. واليهم
من وراء حجاب فهذا الصون لطف خفي من لطف المنعم الوهاب
كما جاء في الخبر من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر
لوليي فقد يكون هذا ذلك من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان
يخبر انه نبي الله وان الله عز وجل نبأه فلا اثم عليه وزر من انتهك

حرمة

حرمة من كان اعلمه الله انه نبي له عز وجل لعظم حرمة النبوة
انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب والوجه الاول والوجه الثاني يقرب معناهما
١٢٧ ما ذكره المؤلف والله تعالى اعلم وقال ايضا رضي الله عنه من اطلع
على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالاهية كان اطلاعه
فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه المطلع على اسرار الخلق
تقتضي وجود العيب اذ لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالاهية فيرحم
المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين
ويرأف بعباد الله اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه
لانه يتولد به الزهو بنفسه واستعظام امرها والعجب بعمله
والتكبر على غيره وهذا من اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا الى جر
الوبال اليه من ادعائه لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته
وهذا من اعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من
قلب شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمان
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارة عن الله
سبحانه عبدي ان استعطفتك شفقتك من الرحمانية شيئا
فكنت ارحم بالخلق من نفسه وقد ادب الله سبحانه خليله ابراهيم

عليه السلام في بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق
بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار وقد روي عن قسامة بن
زهير رضي الله عنه انه قال بلغني ان ابراهيم عليه السلام حين رفع
بعصمه اذا رأى الخلق في جمع الله تعالى حتى اشرف على اهل الارض
فابصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب هذا من عليهم فقال الله
تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اذهب فلعلهم يتوبون ويرجعون
وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اري الله ابراهيم
ملكوت السموات والارض اشرف على رجل يعمل معصية من معاصي
الله عز وجل فدعا عليه فهلك وكذلك على اخر واخر فاوحى الله
اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعوا على عبادي
فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما
ان اخرج منه نسمة تسبح لي واما ان ابعث اليه فان شئت عفوت
عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب امر الله تعالى في ذلك
هو هذا المعنى الذي ذكرته من عطفه على العصاة ورحمته
لهم ذكر في بعض التفاسير انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة
الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض فعرج به ليلة ذات فاطلع على هذ تب على فاحشة فقال اللهم
اهلكه فاكل رزقه ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله

تعالى

تعالى فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي
رويدا رويدا فانه كما امر ابيتهم عاصيا فلعلها تعيش ان يرى المفلح
ما ذكر الله تعالى عنه بقوله اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ١٢٨
فلما قتلهم لذلك واخذ السكين في ابل الليم هذا ولدي وثمرة فؤادي بيده
واحب الاقام الي فسمع قائلا يقول اماذكر الليلة التي سالت
اهلاك عبيدي اهل المظالم ورحمتي بالعباد كما انت شفيق بولدك
فاذا سالت اهلاك عبيدي سالتك ذبح ولدك واحدا بعد واحد
والباقي الحلم وقال ايضا حكمة النعمة في المعصية كما هي
جلي وحكمها في الطاعة باطن خفي وبدا وانما خفا
معنى علاج النعمة من شاهدها طلب الحظوظ والميل من الحظوظ
وهي لا تسع الا في ذلك ولو شاهدها بالطاعة فضلا عن المعاصي
ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد
تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجد في نوع
اخر وان كان هذا النوع الاخر افضل منه وما ذلك الا لاجل
ان حظه فيه اكثر من الاخر فاهل الخبرة والبصيرة يتخاصمون انفسهم
اذا انفتح باب من ابواب العبادة لهم فيتفقدون ومكا
يدهم فيتشوشون لذلك عليهم ويشتغلون فيه وقد حكي عن
ابي محمد ابن تعيش رضي الله عنه قيل كذا وكذا حجة على التجريد

فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظ وذلك ان والدتي سالتني يوما
ان استقي جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي
بالحجات كان لحظ وشوب من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم
يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ ان
النفس في الطاعة موجود ولاكنه خفي على العامل فلذلك تعين
مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك ليتطلب بذلك
ادوات نفسه ومكايدها وخدعها وخفايا حظوظها فيعمل
على تصفية اعماله من ذلك فلا جرم اذا كان ذلك متعذرا يجب
عليه اتهام نفسه وحظها في كل ما تدعوا اليه كما بينا من كان
قال الشيخ ابو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخنا
يقول ان احمد بن ارقم البلخي حدثتني نفسي بالخروج الى سبيل الغزو
فقلت سبحان الله ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير
فلا يكون هذا ابدا ولاكنها استوحشت فتريد لقي الناس
فتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها
بالبر والتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران
ولا انزل على معرفة فاجابت فاسات الظن بها وقلت الله اصدق
قولا فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت
وعد اشيا مما اراد ان يعالجها فاجابت الى كل ذلك قال فقلت يارب

نبهني

نبهني لها فاني لها متهم ولقولك مصدق فالهمت كانها تقول
انك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا
يشعر بي احد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت
منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فيكون لي جاه وذكر
في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام فهذا كذا خدع النفس
وغيره وربما اعاذ الله من شرها وسياتي من كلام المؤلف رحمه الله
اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا
يثقل عليها الا ما كان حقا وقال ايضا رضي الله عنه ربما دخل الرياء
حيث لا ينظر الخلق ربما ابتلي العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس
فلا هو لا يحتاج للامارة عليه وربما يعمل حيث لا يراه احد
امر خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو اخفى من دبيب
النمل ومن اماراته ان يلتمس بقلبه توقيرا له وتعظيمه وتقديمه
في المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر
احد في حقه التي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره
ووجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى
ربما يظهر بعض سفهاء العقول على المنتقص فيتوعد ومن
قصر في حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم
حتى ينتقم لهم ويا خذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه العلامات

في نفسه فليعلم انه مراءٍ بعمله وان اخفاه عن اعين الناس **تعرف** وروى
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله يقول للقراء يوم القيامة
الم تكونوا يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدءون بالسلام الم تكونوا
تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال
عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من
العباد قال انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة من الطغيان فنخاف
ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على
اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان
دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا
احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه
من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا من الناس فقال السائح
ما هذا قيل له هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتى
ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا
عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف انت قال كا
لناس [illegible] فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف
عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام ومن هذا
النوع من الرياء خاف الكبار بروعة والتصنع بسببه من الاغترار
لما روي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه انه قال من اراد ان ينظر

الى

الى مراءٍ فلينظر الي **وسمع** مالك بن دينار رضي الله عنه امراة وهي
تقول يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة **ودخل**
رجل على داود الطائي رضي الله عنه فقال له ما حاجتك قال لي زيارتك
فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ما ينزل بي انا اذا
قيل لي من انت فزهاد انت لا والله ام من العباد انت لا
والله ام من الصالحين لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الـ
الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائي اشر من الفاسق
الى غير هذا مما يروى عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من ارباب الخلق والحظ
الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك
وغيب عن نظرهم رؤية الخلق فاشرق على قلوبهم من انوار اليقين وا
المعرفة فلم يبق لهم حظوظ نفسية ولم يقتاتوا من قلوبهم وجود
مخلوق فاستوى عندهم الخلق وان عملوا بين اظهر الناس ويروى
عنهم ومن لم يحط بهذا ولا شاهد الخلق توقع منهم حظوظ
المنافع ودفع المضار فهو مراءٍ وان عبد الله في قنة جبل
بحيث لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنه اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في
اسقاط الرياء عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون اخر وقال ابن عطاء
استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم

صدقك في عبوديتك الخصوصية بما هنا ما اختص الحق تعالى
به بعض عباده من علم نافع وعمل صالح وصدق العبودية فيه أن
يقنع بعلم الله تعالى فيه ولا يتطلع الى ان يعرف بذلك احد
من الخلق فيشغله حينئذ الخلق من ربه والشكر له على الاختصاص
الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الاغيار له ولهذا
فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر
عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام اذا كان
صوم يوم احدكم فليدهن راسه وليمسح شفتيه فاذا خرج
الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه و
يخفيه من شماله واذا صلى احدكم فليرخ عليه ستره فان الله
تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سيل حكيم من الحكماء
عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال احمد ابن الحواري
رضي الله عنه من احب ان يعرف بشيء من الخير ويذكر به فقد اشرك
في عبادته لان من عبد الله على المحبة لا يحب ان يرى خدمته
سوى مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل
من لم يقنع في افعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الريا
لا محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب ان يكون في
جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه من

احب

احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال ابو الخير
الاقطع رضي الله عنه من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراء
ومن احب ان يطلع الناس على احواله فهو كذاب وقال بعضهم
لمن استوصاه لا تحب ان تعرف ولا تحب ان يعرف انك ممن لا يحب ان يعرف
فعلى العبد اخفاء حاله جهده وان يبلغ في كتمانه اقصى ما عنده
قال الحسن رضي الله عنه ادركت اقواما ما من احد منهم يستطيع
ان يعمل شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه
ليبكي وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت اقواما بات احدهم
الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور ولقد ادركنا اقواما وما
من عمل يقدرون ان يعملوه لله سرا فيكون علانية ابدا ولقد
ادركت اقواما يجمع احدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد
ادركت اقواما يجتهدون في الدعاء وما يسمعهم احد وقال
محمد بن واسع رضي الله عنه ادركت رجالا كان الرجل راسه مع راس
امراته على وسادة واحدة فقد بل ما تحت خده من دموعه ولا تشعر
به امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف فتسيل
دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جانبه وفي رواية
عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامراته لا تعلم قال ووقع
مع اهله واخفى ربه دفنت ثم اقبل ليشتغل بمرافقته قلبه و

صونه عن ان يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على
نفسه ولينكره ولا يرضاه منه وليجاهد نفسه في ذلك أشد
المجاهدة فان غلب هذا واستشرف الى غير معرفة الله بحاله وعجز
عن مجاهدة نفسه في قطع ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه ان
يعمل في قلبه فيقع عند الله في الفتنة فان كان ضعيف الارادة لم
يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي الا ان يستره فذا يستحب له
وان كان قوي الارادة وسالك سبيل المعرفة لم يسلم من السكون
والركون فيقف في منية الغير على الحال ويسقط به ذلك عن درجة الكمال
وبعض الكمال اسقاطها المنزلة عند الناس من ضرورة بيان ما ذكرنا في
هذه الطريقة كما تقدم عنه قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان
تحقق العبد بالمعرفة ومقام الوحدانية الحقيقية جاز له
الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله بناء منه على نفي الغير
وادآء لواجب الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت
البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له
اما تخشى من الرياء فيقول ويحكم هل رأيتم من يرائي بفعل غيره وكان
في بعض ذلك فيقال له لم تذكر ذلك فيقول الم يقل الله
سبحانه واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد
من هذا حاله الهداية عباد الله تعالى ودعائهم الى الله جل [illegible]

فهي

١٤٢ فأظهر اعماله وافعاله للاقتداء به ولا اقتداء بمن هو
خارج عن النمط الاول وكله داخل في المنزع الثاني وعلانية
هذا الفضل من حيث انه يسلم من الآفات التي تعرض لها غيره وحصلت
له منه الفوائد التي تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء
في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء
وهذا ارجح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل
الذي سأله عن فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر
السر واجر العلانية وقد فعل ما ذكرناه من الاظهار جماعة من
الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من ذلك وقالوا فيهم خشية للآفة وكان
ذلك منهم لاجل هذا الغرض وهو مقام هذا الغير مقام الشهداء
لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلذلك كان لهم الدرجات العلى
عند الله لانه من ائمة المتقين لهم وقد اخبر الله تعالى بجزائهم وذكر
عقبيه دعائهم بذلك فقال عز من قائل اولئك يجزون الغرفة بما
صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما وقال ايضا بعد المنزلة لهم ان هذا من الولي على الاكتفاء
بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اليس الله بكاف عبده وقال الم
يعلم بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد

فيبقى امرهم في بدايتهم على البعد من الخلق والانفراد بالملازمة الحق
واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لصدق فنائهم وتثبيتا لقصدهم و
عملا على سلامة قلوبهم وحياء من اخلاص اعمالهم لسيدهم حتى اذا
تمكن اليقين فيهم واثبتوا الرسوخ والتمكين وتحقق بحقيقة الفناء
وردوا الى وجود البقاء فحينئذ ان شاء الحق اظهرهم وان شاء
سترهم فانقطعهم عن كل شيء الطلبة وظهور الولي ليس بارادته
لنفسه لكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه ان كان مطلب الخفاء
لا الجلاء كما اخذ مناه فيلام بكل الظهور مطلبهم واراد الله
سبحانه اظهارهم فاظهرهم فتولاهم في ذلك بتوليته ووارادات
مزيدة ~~فيلام بكل الظهور مطلبهم~~ لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد
الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسالة
اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة وكلت اليها ومن تحقق
بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقفا على
اختيار سيده له وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه من احب الظهور
فهو عبد الظهور ومن اراد الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد
الله فسواء عليه اظهره او اخفاه انتهى وقال ايضا رضي الله عنه
غيبه نظر الخلق اليك وغيبه نظر اقبالهم عليك بشهود اقباله
عليك فهذا المعنى هو صدق عبودية العبد الذي اشار اليه في هذه

المسألة

في المسألة التي قبل هذه وهو الا يكون له شعور بما من الخلق اليه
من نظر او اقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون له شعور وتشوفه
وطلبه لما من الله تعالى اليه من نظره اليه واقباله فيغيب اذ ذاك
لبن باطلاعه وذلك بان يعلم ان ما من الخلق اليه امر وهمي باطل
ينفذ اليه كل ذي عقل ظاهر يوجب له هذا ان يتعبد انواعا من
الكبائر وان ادنى ما يجب الحظ له في اهواء الناس وتحسين مواقع
نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم
بكلها وتعظيمهم عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتخالف الا
سرار والاعلان وهذا عذاب اليم استعجله في دنياه ان لا يعوض
بذلك راحة قلبه وطاب عيشه ويسلبه ثواب الغنا والعزة
ويلبسه ثياب الطمع والذلة فيتردى بذلك همته وتقل قيمته
ويعذب في الاخرة الكبرى وفي ذلك قال الشاعر
من راقب الناس مات غما • وفاز باللذة الجسور
وراى سهل بن عبد الله رضي الله عنه رجلا من الفقراء بمكة فقال له
شيئا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت
سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى
يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في
الدار الا هو وخالقه فان احدا لا يقدر يضره ولا ينفعه

او تسقط نفسه في قلبه فلا يبالي باي حال يرونه انتهى ثم من له
حصول ما اراده منهم واغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة
فمن ربما استحسن من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما رضي
فسخط ما لا يرضاه اخر فهو يعمل بزعمه ما ينفعه عند الناس وهو
ساع فيما يضره عند الله تعالى مع مقاساة التعب والد
النصب في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على
هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل ذات يوم وهو راكب حمارا وابنه
يسوقه فقال الناس جبار قوي شيخ لم يشفق على صبي فاركبه
خلفه فقالوا اثنان على حمار هزيل زاد ثالثا فنزل لقمان وبقي الولد
فقالوا شيخ ماش وصبي راكب فنزل يمشي مع ولده وساقا
جميعا الحمار فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض
لقمان بهذا ان يرى ابنه ان الناس مع من يرائيهم نكرهم وانه
لا يسلم منهم على اي حالة يكون فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق
الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء
العقول وسخفاء الجهال واما من كان له عقل وافر وعلم فاخر
فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صحة فهو مما من الله تعالى
اليه من نعمه واقبال عز وجل عليه وعكس ذلك فهو يعمل فيما
يوديه الى هذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام ولا عيب

عايب

عايب ولقول لقمان حاله ان الذي ينكر يعود من ذلك الذي يستحيه
فليحنه وبعد النظر ما قال عمر بن اسلم رضي الله عنه مالي ولهذا الخلق
كنت في طلب وجه ثم خرجت في طلب وجه ثم دخلت الدنيا
وجه ثم يقبض روحي وجه ثم ادخل في قبري بين منكر ونكير وجه ومن بلي
منكر ونكير بالسؤال وجه فان صرت الى الجنة صرت وجه وان صرت
الى النار كنت وجه ثم اقف بين يدي الله تعالى وجه ثم يقع عملي
وذنوبي في الميزان وجه فان بعضه الى الجنة بعضه وجه وان
بعضه الى النار بعضه وجه فمالي والناس وقد سئل الحارث
ابن اسد المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصادق فقال الصادق
هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل
اصلاح قلبه ولا يحب ان يطلع الناس على مثقال الذرة من حسن
عمله ولا يكره ان يطلع الناس على السيء من عمله فان كراهته
لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق
الصادقين وقال النفزي رضي الله عنه من عرف الحق شاهده في كل
شيء فلا يستوحش من شيء ويستانس به كل شيء كما تقدم من
نعت العارفين وقال النفزي ومن اوصاف العارف عزته فلا يكون
منه على الاشياء اعتماد ولا له عليها استناد وقال النفزي
من اصطفاهم لم يوثر عليهم شيئا من مراداته وشهواته وهذه

الأمور التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى علامة بلوغ العبد المقامات
العلية وبها تتم ذلك لمن لم يجد ذلك في نفسه [illegible] فينبغي أن يدع
تلك المقامات العلية ولا يحمل على جاهد نفسه فيما يحصلها
ويكملها ثم قال أيضا إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك
شدة القرب حجاب كما أن شدة البعد حجاب لأن شدة قربه منك من جهة
اضمحلالك وذهابك واضمحلالك إذا ذهبت لا مناسبة بينك وبين
الثابت الموجود فكيف تراه قال في لطائف المنن ومعلوم أن القرب
هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه
حقيقة القرب أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم
رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها يزيد ريحها
فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته منه وأنشد
بعض العارفين
كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
ثم قال أيضا إنما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الأبصار
لعظم نوره هذه عبارة ثانية وأوضحها الناظر من قرب لمعناها
مثلا الشمس وذلك أن الشمس نورها أقوى من سائر الأنوار
المحسوسة وقوة نورها هي التي حجبت الأبصار الضعيفة عن

ادراك

ادراكها كذلك فشدة الظهور هو الذي حجب وجود نوره
عن إبصاره وكثير من الحجاب على الحقيقة منتفيا فإن الكائن لذاته
من ذاته وإنما الحجاب علينا من غيره والحجاب ههنا
هو البعد عن مقاومة سلطان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق
بشدة ظهوره وخفي عن الأبصار لعظم نوره وأنشد في هذا المعنى

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * وكيف يعرف من بالعزة استترا

وأنشد أيضا في هذا المعنى

بالنور يظهر ما ترى من حالة * وبه وجود الكائنات إذا سرى
لاكنه يخفى لفرط ظهوره * حسا ويدرك بالبصيرة من ورا
وإذا انظرت بغير عقلك لم تجد * شيئا سواه على الذوات مصورا
وإذا طلبت حقيقة من غيره * فبذيل جهلك لا تزال معثرا

ثم قال أيضا لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه
وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية
لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال منه إلا ليظهر
افتقارهم إليه وشغلهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون
ذلك إظهار العبودية منهم وقياما بحقوق ربوبيته لا لأن
يتسببوا بها إلى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مطالع

منعه وجعلت بعد ابتلوا العارفين على الله وقد دل ما تشير المقتضيات ذكره
السوق الا من الله تعالى فقال ابو نصر السراج رضي الله عنه سألت
بعض المشايخ عن الدعاء ما وجه له مع التسليم والتفويض فقال
يصح الدعاء على وجهين احدهما ان تريد بذلك تزيين الجوارح للصلاة
بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة يريد ان تزين جوارحه بلبسة
الخدمة والوجه الثاني ائتمارا لما امر الله تعالى به من الدعاء انتهى
وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل
ما يشاء ومقتضى هذا ان لا ينقطع سؤاله وكان رغبته وان اعطاه
كل مطلب وانالة كل سؤال عند ارباب الاحوال فيستوي العدم والوجود
والمنع والعطاء فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبدا
له في الاحوال كلها لمولاه رهينا لاحوال كلها وفيه بالعبد
ان يدوم وقوفه على باب مولاه ملتبسا بشدته وبعوائد فضله فقال
سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء
حوائجك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك قال
وقال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ثم الناس من يتوسل الى الله
تعالى عند هجوم البلاء بخفض الدعاء والتضرع والبكاء فاذا
زالت شكايته ودفعت عنه اجابته فتح الوجد ونسي البلاء
وقابل الوجد بحفظ الحقيقة وابدال العقد برفع الوداد والبكاء

الذين

الذين يعدهم العبد في سابق الحكم وخرطهم في سلك اهل الود
وقد قيل بلاد ليحبك الا الانتصاب بين يدي معبودك خير من
عطاء يشغلك اياه ويغيبك عنه وقال ايضا رضي الله عنه
كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا
دليل على نفي السببية المذكورة لان ما طلبه العبد امر سابق في الازل
تقديره وطلبه امر لاحق فيما لا يزال فكيف يكون اللاحق سببا
في وجود السابق ويعلل السبب اذ لا يتقدم على المسبب وقال
جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل هذا دليل اخر على
ذلك وهو ان حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في الازل
فلا يكون بسبب الدعاء والسؤال لان احكام الله تعالى جلت ان تضاف
الى علة او سبب من قبل ان له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة
فيمتنع علة الكلية والعلة الصحيحة لما قال العارفون المحققون
وقال ايضا **عنايته فيك لا لشيء منك واين كنت
حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم
يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل
لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال**
عناية الله بك في الازل لم تكن حين لا خبر عندهم معللة بشيء
كان منك من اخلاص اعمال ووجود احوال تتوسل بجميع

ذلك اليه واين كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض
كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال ابو العباس رضي الله عنه
اغسل فهمت وتعرف اجريت كيف تستجلب بركاتها وتنال بها
بسعاياتك وقال ايضا علم ان العباد يتشوفون الى ظهور
العناية فقال تعالى يختص برحمته من يشاء وعلم انه
لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل
فقال ان رحمت الله قريب من المحسنين فهو اسم العنا
ية الذي متعلقها الرحمة هو تخصيص المشيئة في قوله عز وجل يختص
برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه
في قوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على
تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقها
به لئلا يتكل العبد على السابقة ويترك العمل الذي هو مقتضى
العبودية الواجبة له عليهم وقال ايضا رضي الله عنه الى المشيئة
يستند كل شيء ولا رفوع مالم يشا الحق تعالى محال وقال ايضا
ولا تستند هي الى شيء لاستحالة وجود النقص فيما يجب له
الكمال وهذه العبارات التي ذكرها المؤلف رحمه الله من اول
الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بتركاذ بها
ذكرتها عن البيان والشرح وفيها اشارة الى احكام الازل

جود

١٤٧

وبفقد الاسباب والعلل يجب على العبد ان يبني عليه اعماله و
احواله فيلتزم العبودية والافتقار ويخرج التدبير والاختيار
لمن يملك ذلك وهو ادب المتوجهين جعلنا الله من اهله بمنه وفضله
قال ابو بكر محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب فقيرا
لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر
حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة سالما وصله
الله بها ولو اخذتهما كلاهما ما قطعه بها قرب من قرب من غير
علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور وقال ايضا رضي الله عنه ما خالف احد ولا وافق
احد وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته اي يكون الموافق
والخلاف وهو يقلب الليل والنهار ربما فيبقى وهو القائم على الا
شياء وبالاشياء في بقائها وفنائها لا يونسه وجد ولا يوحشه
فقد بل لا وجد ولا فقد انما هي رسوم تحت الرسوم وقال ايضا
ويباد لهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته
والاشتغال بذكره عن مسئلته قد يكون من الادب ترك السؤال
والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض بما يجري عليه من نصه
ربه والاقدار وهو احد مذاهب القوم قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه واختلف الناس في اي شيء افضل الدعاء

السكوت وان رضا فمنهم من قال الدعاء في نفسه عبادة قال صلى الله
عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة اولى من تركها
ثم هو حق الله سبحانه وتعالى وان لم يستجب العبد ولم يصل الى حظ
نفسه فلقد قام بحق ربه لان الدعاء اظهار الفاقة العبودية وقد
قال ابو حازم الاعرج لانا احرم الدعاء اشد علي من ان احرم الاجابة
وطايفة قالوا السكوت والخمود تحت جريان الحكم اتم والرضا بما سبق
من اختيار الحق اولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك في الازل
خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى
من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقوم قال
قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضى بقلبه
ليأتي بالامرين جميعا قال الامام ابو القاسم والاولى ان يقال ان الا
وقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعاء افضل من السكوت وهو الادب
وفي بعض الاحوال السكوت افضل من الدعاء وهو الادب وانما
يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد
في قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء اولى وافضل واذا وجد اشارة
الى السكوت فالسكوت اولى وصح ان يقال ينبغي للعبد ان لا يكون
ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله
فان وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له اولى وان

عاد

١٤٢٨

عاد الى قلبه في وقت الدعاء وارادة شبه زجر ومثل قبض فالاولى
ترك الدعاء في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه لا زيادة بسط
ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ها هنا سيان وان كان الغالب عليه
في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت والسكون اولى ويصح ان
يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب او لله سبحانه فيه مدخل
فالدعاء اولى وما كان لنفسه فيه حظ فالسكوت اتم وفي الخبر
المروي ان العبد والله يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجة عبدي
فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه و
فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته فاني اكره ان اسمع صوته
انتهى كلام الامام ابي القاسم القشيري وهو حسن بديع وهو
اومى ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى فلذلك اوردته ها هنا
بكماله وقال ابقاه انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما
ينبه من يمكن منه الاهمال وردت هذا كالدليل على ما ذكر
من ان ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان الطلب اشعار
بتجويز الاغفال عليه فيقع عليه في ذلك التذكير له وتلويحات
احتمال وجود الاهمال منه فيكون في ذلك تنبيه له وجميع
ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلل
كان ترك الطلب على هو الادب وقد نقل عن الواسطي رضي الله عنه

لن يدعوا عليه فقال اخشى ان دعوت ان يقال في ارسالتنا ما لك عندي
جهدا تهمنا وان ربما لتناما ليس لك عندي بعد اساتك الثناء
علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا الكبد الدهور ق
روي عن عبد الله بن منازل رضي الله عنه قال ما دعوت منذ خمسين
سنة وما اريد ان يدعو لي احد لانه ماض على ما سبق وقال ابن
وورود الفاقة اعياد المريدين الاعياد عبارة عن الاوقات
العائدة على الناس بالمسرات والفرح وهم مختلفون فمنهم من
مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا حال عامة
المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعواز امانيه
واغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لان مدار امرهم
انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدرات الاغيار
غيار والايثار للايثار لهم ذلك الا بوجه انهم لما يقع لهم من
ضروريات الفاقات وانواع الحاجات والضرورات فتراهم يوثرون
الفقر على الغنا والشدة على الرخا والذل على العز والمرض على الصحة
اذ تحصل لهم بذلك رقة وكمال لا يعبر عن قدرها الا لهم لانها من
وجودهم لقلوبهم ورويتهم في حال فقدانهم وجدانهم
وكلما ازداد فاقة وبلا ازدادهم مولاهم قربة ودنا وكان
بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول

موتزر

١٤٩

موتزر بشملة كما ترا ۞ وصبيته باكية كما ترا
وامراته عريانة كما ترا ۞ يا من يرى الذي بنا ولا يرى
اما ترى ما حالي اما ترا ۞ فسمعه بعضهم فجمع له كسرا و
دفعها اليه فقال اليك عني لو كان معي شيء لما امكنني ان اقول
هذا القول فصل في التشوير وفي البلايا والفاقات من اسرار
ان الطالب ما لله فيعمه ان اراد في المجاهدات ان البلايا تحمل
النفس وتذللها وتدهشها من طلب حظوظها ويقع مع
البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة قال تعالى ولقد
نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو اسحاق ابن ادهم الهروي رضي
الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على
سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير ان يختار
الفقر على الغنا والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل
على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على
الحياة وقد تقدم عند قول المولف رحمه الله من ظن انفكاك
لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره الفقها مع هذا المعنى فواجب
اذا ان يكون ورود الفاقات اعيادا للمريدين لما قال فاذا
فقدوا ذلك بوارادات الا هباب استنشقوا وجوه الحجاب
وبعدهم عن محل الاقتراب في قول الذاكر فاسعوا ودوا الهو

عاد النوم الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج
رضي الله عنه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما رآني
تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت
وما هي فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد
فتح عليه بشيء من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز
من الغنا حذرا ان يدخله فيفسد عليه غناه وقد تقدم من حكايات
الحاج ابي عبد الله السلمي ومنع الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن
خثيم رضي الله عنهم ما يوافق ما ذكرناه وانشدوا في ذكر اعياد الملوك
بدير وقيل انها لابي علي الروذباري رضي الله عنه اربعة ابيات
قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا املي والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا
وقال ايضا ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لم تجده
في الصوم والصلاة ورود الفاقات يحصل للمريد بها من مزيد
من صفات القلب وتطهيره من الهوى وقد لا يحصل له ذلك بالصوم و
الصلاة قد تكون له فيها شهوته وهو كما تقدم ومن كان هذه
سبيله وهو لا بد من فيه من دخول الآفات والعبيد في تحليته

ولا تزكية

ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للدعوى وال
الشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله اذا فتح
لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك وقال ايضا رضي الله عنه
الفاقة بسط المواهب الفاقات تحضرك مع الحق وتجلسك
على بساط الصدق فهناك يكون بذلك العارف والمجالسة
من المواهب الباطنية والنفحات الروحانية وقال ايضا
ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك
انما الصدقات للفقراء هذا مثل ما ذكرناه وذكر الاية فيه
اشارة الى بعض تصحيح الفاقات والفقر وهو التحقق باوصاف ال
العبودية المذكورة في المسألة التي تليها باشر هذه ومما يتعلق
بظاهر الاية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله تعالى على
ترتيبه الفقر ما قال بعضهم صدق الفقير اعز الصدقات ممن
يعطيه لانه من تقبل اليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على
الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق في فقره
تعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر
مع دناءة همته وقال ايضا تحقق باوصافك يمدك باو
صافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك
بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته هذا ذا

مناسب لما ذكره المؤلف من الطاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه
على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف
عبوديتك متحققا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف
والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها
فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي
يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف
غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط
الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع
يدك واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين انتهى
كلام أبي الحسن رضي الله عنه ونفعنا به وقال ابن عطا رضي الله عنه
ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة الكرامات
الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها
إلى أمرين صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا
عليهما ولا تكون له همة إلا في الوصول إليهما وأما الكرامة
بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين إذ قد يرزق
ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي

رضي

رضي الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان
بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء
والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيهما ثم
جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في
العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا
ثم جعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة
لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور ناقص
أو هالك مثبور قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه ليس
الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان إنما
الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه وذكر
عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات
وما الكرامات شيء تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن
تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود وقال
بعض المشايخ لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا فيدخل
يده في جيبه فيخرج ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه
شيئا فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لأبي محمد
المرتعش رضي الله عنه إن فلانا يمشي على الماء فقال عندي إن من مكنه
الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء وفي

بيان تنظرون كيف تجدونه

الهواء وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو ان رجلا بسط مصلاه في
على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه
في الامر والنهي وقيل فلان يقول انه يمر في ليلة فقال الشيطان
يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وغضبه
وقيل له فلان يقال انه يمشي على الما فقال الحيتان في الماء والطير
في الهواء اعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب
الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون
الى الكرامة وقد تقع مثل هذا عند قول المصنف كل من ثبت تخ
تخصيصه كمل تخليصه وقال انما من علامة اقامة الحق لك
في الشي مداومته اياك فيه مع حصول النتائج لا
اعتبار بما يقوم العبد فيه بنفسه من عمل او حال وانما العبرة
بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله تعالى عبده في الشي
ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته وينبني على هذا اداب
ومعاملات وقد اشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه
الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى اخره
وقال ايضا رضي الله عنه من عبر من بساط احسانه اصمتته
الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت
اذا اساء من شاهد احسان نفسه وعمله وطاعة ربه انبسط

لسانه

لسانه بالنصيحة والمواعظة لعباد الله فاذا وقعت منه اساءة
ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء
وهذه طريقة اهل التكليف الذين ينظرون بما منهم الى الله من
عمل صالح وكادح ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية
احسانه هو انبسط لسانه في الحالتين من غير فرق لان متعلقه هو
لوجود الحق وفيه متيقنا وجبت جراته على ذلك وقد قيل جراة
العيان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة اهل التقريب
الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت وما ذكرته ها هنا
من صفة التقريب والتكليف وما نبهت به عليهم من الكلام
اللطيف اشرت به الى مسئلة عظيمة مدعمة ينبني عليها اداب
واحكام جمة وهي مسئلة اختلاف احوال الناس في معاملتهم
ربهم بحسب تباينهم في مراتب قربهم ومن اجلها [illegible] مسئلة
التقريب التي افتتح المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها
سواها مما ينبني عليه ذكرها هنا وقد نبه عليها في لطائف المنن
واتى فيها بكلام مستوعب حسن راينا ان ننقله ها هنا بكماله
لتبين به مقصدنا في تفصيله واجماله قال فيه وقال رضي الله عنه
يعني شيخه ابو العباس من الناس على ثلاثة اقسام عبد بشهود
ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد بشهود

ما من الله اليه الى الله فقال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون
الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذرين
بين يدي الله وتلازمه الاحزان وتغلبه الانكسار ويستولي عليه
الكمد كلما بدت له سيئة او كشفت له عن وصف سوء وعيب
وآخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان
والجود والامتنان فهذا يلزمه الفرح بالله والفرح بنعمة الله
قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد والزهاد والثاني حال
اهل العناية والوداد الاول شان اهل التكليف والثاني شان
اهل التشريف الاول حال اهل البداية والثاني حال اهل المعرفة
بالله قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف
شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته
في احسان الله اليه فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون وقال رضي
الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل
مع رؤية التقصير من النفس وقال اهل المعرفة الخلو من شهود
التقصير من الشرك في التعبد وقال الشيخ ابو الحسن رضي
الله عنه قرات ليلة من الليالي قل اعوذ برب الناس الى ان
انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس

في

١٥٣

في صدور الناس من الجنة والناس فقيل لي الوسواس يوسوس
يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك الطافه الحسنة ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات
الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله
ورسوله فليحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من العباد والزهاد
واهل الجد والاجتهاد وكذلك قل ان تجد العباد والزهاد الا مكمودا
حزينا لانه علم ان الله كلفه بالعبودية وحمله اعباءها والامانة
التي اشفقت السموات والارض والجبال من حملها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل
ما حملوا ولم ينتبهوا الى شهود لطف الحامل للاثقال عن عباده
المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل
المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا
ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى انفسهم قال الله عز وجل
وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم
ما حملهم قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فرجعوا اليه بصدق فاراحهم وحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين
في عجلات المنن مروحا عليهم بنفحات اللطف والاخرون ساروا
الى الله حاملين لاثقال التكاليف بحقها لزمتهم المشقات ويقولون

بحجب المساعدات فان هؤلاء ادركتهم اللطيفة فاخذ بايديهم من شهود
معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فكانت لهم ازاوذات
وأشرقت عليهم العنايات وأما القسم الثالث وهم الخير هم
مع الله تعالى يشهدون ما من الله الى الله فهؤلاء هم اهل التوحيد
والداخلون في ميادين التجريد واهل القسم الاول هم الذين
غلب عليهم شهود ما منهم الى الله ولم يخرجوا عن باطن الشرك وان
خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا على انفسهم من حيث انها محل لعباداتهم
لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا انها افعالها وصفاتها ما
توجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال العارف الذي سبق
قوله لا تخلو ان تشهد التقصير من الشرك في التقصير قال قلت
اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف
نصنع والله تعالى قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا قصرت دو
اذا كانت تركت الجواب ان ذمها لان الله امرك به فهو من
غير ان تشهد لها قوة او تضيفها اليها وعلى تراها هي الفعالة
له واما القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله اليه فهو وان كان
خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات شيء لنفسه اذ اراد
نفسه محلا لنزول البر فعلا بما خصوصها لا اثباته لنفسه ما شهد
ذلك فلاجل هذا تبرأ من اهل الله القسم الثالث وهو ان

يكون

ان يكون يشهدون ما من الله الى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله و
لاجل ما تضمنته من الفوائد الجليلة والمقاصد الجميلة ذكرناه لقرب
المناسبة الى ذكرها على ما هو عليه في هذا الموضع والله الموفق
لا رب غيره وقال رضي الله عنه تسبق انوار الحكماء اقوالهم
فحيث صار التنوير وصل التعبير الحكماء هم العارفون بالله
تعالى العالمون به والانوار المنسوبة اليهم هي انوار معرفتهم وهي
قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا
اراد الله نفع عباد الله تعالى وهدايتهم باذن من الله تعالى لهم
قلوب عباده كما سبقت انوار قلوبهم الى الله تعالى بالصفا والنقا
فبقدر انتباههم تنفذ انوارهم في قلوب عباده بان يجعل فيها اهلية
واستعداد القبول لما يريدون ايراده عليهم من كلام الحكمة ثم
يسمعهم ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل اليها
اثار انوار الحكماء كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون
بذلك اتم انتفاع وقد اوصى لقمان الحكيم ابنه فقال اما بلغت من
حكمتك فقال لا اتكلف ما لا يعنيني فقال يا بني انه قد بقي شيء
اغشَ مجالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة
بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء وانما قلنا
ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به لانهم كما يقولوا

من الله وفي الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم
بالله فقال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب
للخشية هو العلم بالله تعالى وفقط فالحكماء هم العالمون بالله العالمون
تعالى وإن كانوا ضعفاء في سائر العلوم التي يسميه كاملة المنتهي
عنهم في البيان وقال أيضا كل كلام يبرز وعليه كسوة من
القلب الذي منه برز فاللسان ترجمان القلب فإذا صفا من الأكدار
وتزكى عن الأغيار وانشرحت فيه الأنوار وكانت ترجمانيته لسانه
على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج في آذان السامعين
فتنفتح به أقفال قلوبهم ويستجيبون لنداء مجيبهم وروى الحافظ
أبو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عامر قال كان قاص يجلس قريبا
من مسجد محمد بن واسع فقال يا أبا عبد الله ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك
إن الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد حاز
المؤلف رحمه الله قصب السبق في هذا المعنى الذي ذكره ومن تأمل
كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له التأثير المحمود يسلم ما
قلناه ويكفي بشهادة شيخه أبي العباس [illegible] إلى الشيخ بن عباد
وحصل في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ رضي
الله عنه قال لي أبو الشيخ أن تكونوا في خاطره بل قال أبو العباس
أن يكون الشيخ في خاطركم بمقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده

ع

١٠٠

ثم قال أي بني تريد أن تكون مع الله ليكون لك [illegible] والله ليكون لك
كذا والله ليكون لك كذا إلى الشيب إلا قوله ليكون لك ثمار علمي فكان
من فضل الله سبحانه ما لا أنكره قال وأخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ
قال فقلت للشيخ هم يريدون أن يقصدوا ابن عطاء الله في الفقه
فقال الشيخ هم يقصدونه في الفقه وأنا أقصده في التصوف قال
ودخلت فقال إذا عدت إلى الفقيه تاج الدين فاجلس في موضع هو
وجلس الفقيه من ناحية وتتكلم إن شاء الله في العالمين فكان
ما أخبر به رضي الله عنه قال وسمعته يقول أريد أن أنسخ كتاب
التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت أنا فاستحسنته من غير
أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال ما هذا فقلت كتاب التهذيب
استحسنته لكم فأخذه فلما أنهض ليقوم قال اجعل بالك الولي
لا ينقطع عليه أحد تجد هذا إن شاء الله في ميزانك فلما أتيته
بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه عند نزولي من عنده قال قال الشيخ
والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن
فلما أتيته بالجزء الثالث ومن لقاء من عنده لقيني بعض أصحابه وقال
كنت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدا حمراء فقال هذا الدر
الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما أرضى له بجلدة
حمراء ولكن بزيادة في التصوف قال وأخبرني بعض أصحابه قال

قال الشيخ يوما اذ جاء ان يعقبه الاسكندرية علمونه به فلما
اتيت اعلمنا الشيخ بذلك فعزل تقدم بقدمه مكيين بحديثه ثم قال جاء
جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك
الجبال حين كذبته قريش فسلم عليه ملك الجبال وقال يا محمد
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ولكن ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يوحده
ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجاء ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله كذلك صبرت على
جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما وعند ان
الفقيه ابو بكر اللاسع وخرج معه ابو الحسن الحريري وكان من اصحاب
الشيخ ابو الحسن فسلمت عليه وسلم علي فبينما نحن وقفنا قال
فقلت من اين تعرفه فقال وكيف لا اعرفه كنت يوما جالسا عند
الشيخ ابي العباس وكنت انت عنده فلما ذهبت قلت له يا سيدي
انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن ملازمته وهذا
الشاب ملازم قال فقال يا ابا الحسن لا يموت هذا الشاب حتى
يكون داعيا يدعو الى الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله تعالى
قال وكنت كثيرا ما اجد على الوسواس في الطهارة ثم فبلغ ذلك
الشيخ فقال بلغني انك موسوس في الوضوء فقلت نعم فقال

رضي

رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب
بهم ثم مكثت اياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس
قلت على حاله قال ان كنت لا تترك الوسوسة لا تعد تاتينا
فشق ذلك علي وقطع الله الوسوسة عني وكان رضي الله عنه
يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة امدحه بها
فقال جبريل [illegible] ايدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة اخرى
جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد اخميم فلما وقفت عليه
قال رضي الله عنه هذا الفقيه [illegible] وبه مرض وقد عاذ بالله
منه ولا بد ان يجلس ويجد شيخ العالمين يشير الشيخ الى مرض
الوسوسة قال فلقد انقطع عني ببركة الشيخ حتى صرت اخاف
ان اكون لشيخ التوسعة التي اجد فلقد تساهلت في بعض
الامور والمرض الاخر كان في الم جراح فشكوت ذلك اليه فدعا
لي فعجل الله شفا قال وبت ليلة من الليالي مهموما فرايت
الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا فيه فقال اسكت والله
لا عطينك علما عجيبا قال فلما انتبهت اتيت الى الشيخ رضي
الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا تكون رؤيا الفقيه
قال وجات يوما من السبو وخرجت للقاية فلما سلمت عليه

قال يا بني كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل اوليائه وبدياك
بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكن
الا انقطاع عن الخلق وان مراده بدعائه لقوله وجعلك بين خلقه قال وكنت
انا الامر بالمعروف والناهي عن المنكر يرد عليه من المعترضين للشيخ فسمعته منه كان
الشيخ فنقلته عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض اصحابه وذلك
قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر هؤلاء
القوم يدعون امورا عظاما وكان ظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل
بعد ان صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوما اذا اجتمعنا قلت
لا قال يا فلان علينا وعلى ما قال في هؤلاء كانه يحكي ما حكاه منه خبري
مما اطلعك فعلمت ان الشيخ كوشف بأمرنا ولعمري لقد صحبت
الشيخ اثنا عشر عاما فما سمعت منه شيئا يذكر مما ظاهر العلم
من الذي كان ينقل عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب اجتماعي معه
اني قلت لنفسي بعد ان جرت المقاومة بيني وبين ذلك الرجل دعني
اذهب ارى ذلك الرجل صاحب القولة امارات لا يخفى شأنه
قال فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشيخ
بها فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت
قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت
قلت الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق او نحو هذا

فما زال يقول الى ان شئت قلت الى ان بهرني عقلي وعلمت ان الرجل انما
يغرف من فيض بحر لدني ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي
ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيئا يقبل الاجتماع بالاهل
على عادتي ووجدت معنى غريبا لا ادري ما هو فانوديت فبقيت كان
انظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله من عجائب قدرته فجعلني
ذلك على العود اليه من الغد فاتيت فاستوذنت عليه فلما دخلت
عليه تلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت
نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت له انا والله احبك فقال
احبك الله كما احببتني ثم شكوت اليه ما اجد من هموم واحزان
فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة
والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق الشكر منك وان كنت
بالبلية فمقتضى الحق الصبر منك وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق
منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق
منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكانما كانت تلك
الهموم والاحزان ثوبا نزع عنه قال ثم سألني بعد ذلك بمدة
كيف حالك فقلت افتش على الهم فلا اجده فقال

ليلي من وجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

الزم هو الله ان لزمت المتلونين هيئتنا في المذهبين يريد مذهب
اهل الشرع يعني اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل
العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وردت ذلك على قوله
ليعرفه به قدر المواهب وليجمع بواطن برهانه لصحواته العبر و
تعسف المتعسف وليتعرض بذلك نزول الرحمة من الله عليه
ومن والاه في الدنيا وقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة
مع ما في ذلك من قرب المناسبة بينه وبين ما اورد المؤلف
رحمه الله من الكلام الحائز به قصب السبق بين من عاصره من
ائمة الاعلام واما الشيخ ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن
فحالهما لعمري مونا على علم وقد طرزت بحلاهما الكلام والا
الدرجات وزينت بمآثر علومهما الالسنة والاقلام والصحف
والمعاجم ولولا خشية الاطالة وكراهة الملالة لذكرنا من ذلك
ما يبهر عقول السامعين من العلماء وغيرهم ، ولا ينافي الجاحدين
والمعاندين ويستكفيك من ذلك المسمى اشارة ودعم مقو
بالجمال مجيب وقال رضي الله عنه من اذن له في التعبير فهمت
في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته
الماذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك كان
كلامه صوابا قال الجنيد رحمه الله اصوب كل نطق عن اذن

اشار

اشار بهذا والله اعلم الى قوله الذين يتكلمون بالاذن مراد له الحق فان
واذا قرع السماع السامعين كلامه فهمت في مسامعهم عبارته
ولم يتعقبوا الى معاودته ولا تكرار وجليت لهم اشارته فلم يحـ
يحتاجوا معه الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير الماذون وانه في ذلك
فيه الجمود وقد راجع ابراهيم عمارة الغفاري رضي الله عنهما بالكلام الطالب
انفع من كلامنا فقال لانهم تكلموا لعزة الاسلام ونجاة النفس
النفس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعزة النفوس وطلب الدنيا و
قبول الخلق قال رضي الله عنه ربما برزت الحقائق مكسوفة
الانوار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار ومن لم يستكمل
الاوصاف المذكورة لم يوذن له في شيء من الحقائق الربانية واراد
اظهارها برزت مكسوفة الانوار وربما غشيتها من ظلمة نفسه الا
غبار فمحقتها واذان السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة الـ
استكمال الاوصاف المذكورة ان يعتني له باب التعبير مع وجود
السلامة من آفات المنطق قال في لطائف المنن ان من اجل
مواهب الله عز وجل لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت
شيخنا ابا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف
والحقائق لديه مشهودة حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن
من الله في الكلام قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول كلام

الماذون له يخرج عليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يوذن له يخرج
مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل
من واحد منهما وترد على الاخر قال البقاعي رضي الله عنه عبارتهم اما
لبسط وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السا
لكين والثاني حال ارباب المكنة والتحقيق انما ينبع التعبير
منهم عما ابطل العقول من الامور الغيبية والعلوم اللاتناهية لاجل
معنيين اما لاجل غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون
في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من اهل البداية
واما لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد
والهداية وهذا حال اهل التمكين والتحقيق من اهل النهاية
فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في نوع ذلك نوع من الدعوى
وان عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان فيه اجتراء من
لم يوذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق
لانه في حضرة الحق تعالى فيتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب
العلوم وغرائب الفهوم فكيف يقدر منه نطق وتعين على غير
الوجه [illegible] والصمت من اداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال البقاعي رضي الله عنه
العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما انت

له

له اكل المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما
يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء
ارواحهم كما ان المستطعمين موسومون بالفقر والحاجة الى اقوات
ابدانهم وكما ان اقوات هولاء مختلفة فلا يصلح لهولاء ما يصلح
للاخرين لاختلاف الامزجة لاختلاف طبايعهم وامزجتهم وكذلك
اقوات الاخرين مختلفة فلا يصلح لاحد منهم من العبارات التي تتضمن
وجود القوت المعنوي ما يصلح للاخر لاختلاف مذاهبهم وتباين
مطالبهم فاذا اسمعت عبارة من عالم وعارف او واحد من اهل
هذه الطريقة ولم تحظ منها بشيء فاعلم انها لا تصلح لقوتك وفي
غذائك وهي صالحة لقوم اخرين ومما ينخرط في هذا السلك ان
يقع اسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها
معنى لم يقصده المتكلم ويتاثر به اكثر من ذلك تاثرا عجيبا وقد يقع
ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر
ويحصل لهم به ذلك التاثر مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما
كان مطلوبه(?) وقد يسمع ارباب القلوب من الجمادات ويستعدون
به لسان الحالات فتارة(?) يعقلون منها ما يفهم(?) والعقل ضد
ما قصد واضعه كما اخبر الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين
فهر يعني القشيري رضي الله عنه قال كنت ببغداد في غيبة نقال الجوزية(?)

يذكر أنه اعتمر عاما فخرج يوما فاصحابه الصبح رسمه فسمع منشدا
يقول: إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار
فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات
وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل
لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح إفطارا
الراح شيء شريف أنت شاربه فاشرب ولو حملتك النار أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية خذ الجنان ودعني أسكن النارا
فقال إنسان هذا لا يجوز قراءة هذه الأبيات فقال الشيخ
مكين الدين الاسمر للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ مكين
الدين هذا هو الذي يشهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله
عنهما بأنه من الصفوة أو الأبدال قال ويكفيك في هذا أن الثلاثة
سمعوا مناديا ينادي يا سعتري بري فسمع كل واحد منهم
مخاطبة عن الله تعالى حسب بحسب حاله فسمع الواحد اسع
ترى بري وسمع الآخر الساعة ترى بري وسمع الآخر ما أوسع
بري فالمسمى واحد واختلف أفهام السامعين كما قال سبحانه
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وقال سبحانه
قد علم كل أناس مشربهم فأما الذي سمع اسع ترى بري فهو

يدخل

يدخل على النهوض بالأعمال فيه يستقبل الطريق بالجد وقيل له
اسع في البناء بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة و
أما الثاني فكان سالكا إلى الله تعالى لكنه وقفته الأوقات فجاءه أن
تعوقه الوصلة فقيل له ترى وجدا على قلبه لما أحرقه نار الشغف في
الساعة ترى بري وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم في
نحو طلب من حيث شهده فسمع ما أوسع بري قلت وقال الشيخ
محي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى دعانا بعض الفقراء إلى دعوة بن فلاح
القنادين بمصر فاجتمعت بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام
وعمر الأوعية وهناك وعاء زجاج وقد اتخذ للبول لم يستعمل
فيه فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون فإذا الوعاء
يقول منذ أكرمني الله تعالى بأكل هؤلاء السادة مني لا أرضى لنفسي
أن أكون بعد ذلك محلا للأذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ محي
الدين فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء فقالوا نعم قلت سمعتم
بأعادوا القول الذي تسمع قال فقلت نعم قال قولا غير ذلك
قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله تعالى بالإيمان
فلا ترضوا بعد ذلك أن تكونوا محلا لنجاسة المعصية
وحب الدنيا جعلنا الله وإياكم ممن فهم عنه وتلقى
منه قلت وهذه المنازع كلها مما يستملح ويستحسن

وتتباهى بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة
وقد جرت عادة أئمة هذه الطريق باستعمالها وإيرادها
في محالها فلا حرج علينا إذا أخذنا بعض ذلك إذا كانت له
مناسبة تامة ووجدت فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله
التوفيق لا رب غيره ثم قال أيضا رضي الله عنه ربما عبر عن المقام
من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل إليه وذلك
ملتبس إلا على صاحب البصيرة كما أن الواصل إلى مقام من
مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه
ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والمباشرة لكن على من ليس
له بصيرة كاذبة وأما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لأنه يرى
في الكلام صورة المتكلم وما هو عليه من كمال ونقص وقد قيل
تكلموا تعرفوا ثم قال أيضا رضي الله عنه لا ينبغي للسالك أن
يعبر عن وارداته فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه
من وجود الصدق مع ربه الواردات الإلهية لا ينبغي
للسالكين أن يعبروا عنها اختيارا منهم بأن يحكوها ويبثونها
ولا يطلع عليها أحد إلا شيخا مرشدا لأن نفسه تجد في ذلك
لذة وانتشارا تتقوى به فيعلو قدرها فيقل بسبب ذلك عمل
الواردات في قلبه من التأثير المحمود ولأجل علته أحكام

نفسه

نفسه والإيثار لحظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد
١٦١ تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك
دليل على عدم صدقك في عبوديتك ثم قال أيضا رضي الله عنه لا
تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي
فيهم مولاك فإذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم
هذه قاعدة عظيمة يحتاج إليها السالكون المتجردون ليبنوا
عليها أحوالهم فيما يصل إليهم من الرفق على أيدي الخلق وقد ذكرها
المؤلف رحمه الله بعبارة بديعة محررة موجزة جمع فيها
جملة المعاني التي يحتاج إليها من ذكرناه فلنبسط الكلام في
ذلك على حسب عادتنا معهم وفي الوجه الذي ذكرناه في مقدمات
هذا التنبيه وهذا فصل في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل
كتابه ونقول على حسب أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم إلى
قسمين أحدهما رزق يصلون إليه بالأسباب وأعمال وتصرفات
كالتجارة والصناعات وغيرها وهذا حال أهل الأسباب والثاني
رزق يصل إليهم على أيدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال
أهل التجريد وكل واحد من القسمين له آداب وأحكام تخصه
فأما أحكام القسم الأول وآدابه فلم يتعرض له المؤلف رحمه الله
تعالى وهي مذكورة في علم الفقه وغيره وهو واجب على كل من

دخل فيه من الاسباب في تحصيل علمه وعمله من حيث هو واهل
القسم الثاني وهذا ايه هو الذي تعرض له المؤلف واجمل معه
جميع ذلك في مراعاة شئ لطيف وجعلها من شرط صحة الاخذ
اثر ظاهر والايدي العطاء انما من مولاه عز وجل وهذا هو الذي
وانما اشترطه على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد
وتخصيص التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط
عن قلبه هم الرزق فيعتز وابه عن الخلق ان لم يكن على هذا
الوجه كان عبدا للناس بهواه قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم
ورغبته فيما في ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك
في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح ومثل المداهنة
والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة
وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المنافية
للعبودية لله عز وجل قال الجيلاني معاذ رضي الله عنه من استغنى
باب المعاش بغير معاينة الاقدار وكل الى المخلوقين والتكع
فالحالة الدينية المذكورة لا تكون علما وايمانا فقط بل لابد منها
ان تكون حالا وذوقا وقد وقع لبعض الناس من شقيق البلخي رضي
الله عنه وكان في طبقة من اصحابه نحو خمسين رجلا فجوع
الرجل طعاما والسعال والقوت نفقة كثيرة فلما قعدوا قال

لهم

لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم ير انه صنع هذا الطعام
وانه قدمه اليه فطعامه عليه حرام قال فقاموا وخرجوا كلهم
الا شابا كان فيهم قد نقصت منزلته عندهم فقال صاحب
المنزل لشقيق رحمه الله ما اردت بهذا فقال اردت ان اختبر
توحيدا صحيحا كلهم لا يرونه فيما صنع ولا يتخذ وهاليه فيما
قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترط فيما بعد رتبة العطاء من
الله تعالى ان يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد
كما ذكرناه لان التجريد لا يدخل فيه الاختيار والتعمل لان ذلك
من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى
فيه من اراده من اهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله
بالله تعالى وجمعه الهرب من كل ما يقطعه عن الله تعالى فيجتنبه
بسلبه الحق تعالى من تدبيره واختياره ويبقى لتعلقه بوحدانيته
في ارادته واصداره ويكون تركه للاسباب بحكم الوقت واشارة
الحال كما روي ان ابا حفص النيسابوري رضي الله عنه كان حدادا
بكير غلامه يوما ينفخ عليه الكير جاء دخل يده في النار واخرج
الحديد من النار فغشي على غلامه وترك ابو حفص الحانوت
واقبل على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل فرجعت اليه
وتركني العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم الخواص لا ينبغي للفقير

أن يتعرض للقعود عن التسبب إلا أن يكون رجلا مغلوبا فقد أعنته
الحال عن المكاسب وأما من كانت الحاجة به قائمة ولم يقع أمر
يحول بينه وبين التكلف فالعمل أولى به والكسب بسعي أهله
وأبلغ لأن القعود لا يحل لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ
أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه ما دامت الأسباب قائمة على
الفقير فالاكتساب أولى قال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة
جليلة فأريد من تركها فإذا كان في صدري من أين المعاش فهتف
بي هاتف لا أراك تتوكل علي وتتهمني في رزق علي أن أخدمك
ولي أمر أوليائي وهذا فعل أعدائي وقد أشار صلى الله عليه وسلم
في صحة قبول العطاء عدم الاستشراف إلى الناس ولا يكاد يحصل
هذا الشرط لمن لم يكن من أهل التجريد إلا بعد كمال الزهد المذ
كور وروى زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا
استشراف نفس فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله إليه و
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من وجه إليه شيء
من هذا الرزق من غير مسألة ولا استشراف فليأخذه وليوسع
في رزقه فإن كان عنه غنيا فليدفعه إلى من هو أحوج منه و
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعطي

يعطي العطاء فأقول أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني فقال
صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك
من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه
نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا
شيئا ولا يرد شيئا أعطاه فالاستشراف إلى الناس مذموم
قادح في التوحيد فلا ينبغي أن يأخذ المريد عطاء على هذا
الوجه وروي أن أحمد بن حنبل رضي الله عنه خرج ذات يوم إلى
شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في الموضع من
يحمله فوافى أبو أيوب الحمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته
فلما دخل الدار بعد إذن له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا وما
كان عندهم من الدقيق فتركوا الخبز على النار حين جاءه أبو أيوب
وكان يقوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أبي أيوب من الخبز
فدفع إليه رغيفين فردهما فقال أحمد ضعهما ثم مر قليلا
ثم قال خذ هذا والحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح
متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه قال نعم قال الرجل
صالح لما رأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطيته ومع
الاستشراف رده ثم أيس فرددته إليه بعدما يئس فقبله
وأما الاستشراف إلى الرزق فيقطع تجرده عن الخلق فلا يجوز

ذلك لانه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لابد منه فاستشرافه
ستشرافه الى الرزق في الحقيقة استشراف الى الرازق ولا ينافي
ذلك حقيقة العبودية ولكن الكثرة الاستشراف الى الرزق
شغلت صاحبها عنده وان الصادق والمناجات للحق
فليخرج من ذلك دخولا جميلا ولينهج لها من التعلق والتوكل
بالله سبيلا قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي
الله عنه كنت في بدايتي وقفا بين العشاء براحة وانا فارغ بلا
سبب حتى جاءتني النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها
وعليك السلام قالت لي العشاء فان جئت بذلك بغية فتوقف
فالحق الله تعالى قلت لها اتخذ له موضعا قالت لا قلت
اي شيء هو او متى هو فقالت لا قلت لها انا رب او عبد قالت
عبد قلت لها فالعبد يقدر على شيء مما هذا الكلام والشرك الخ
انتفى به انتهى الى خالقك فما طلبه منه العشاء ولانه خالقك
والقادر على كل شيء فيعطيك ويجيبك ما طلبت فقطعني
وقاطع جمالك وابراء وما هذا الخبر فقال فجهز بذلك الى خالقا
جاء عشنا منتمكن لينزوا بالينا فالو كان يحتج عليها ومن
هنا تثبت الاقدام قوية في ابقاء مسألة عظيمة معتبرة تنتهي
كيف يكون حال الفقير بالنسبة وما يحتاج فهو اليه من الرجل

والقادر

يكون

وجعلها

وجعلها من قواعد الفقر والارادة وابتناء في كتاب مقدمة الموضح
من الواجب المتعين لينقطع العمل بذلك كل من يقف عليها ممن ١٦٤
من بد منه جمعه قال رضي الله عنه اعلم ان الفقير لا يخلو اما ان يكون
جالسا او ماشيا اما قاعدا في الجالس فان اجلسته موضع
البيتية وموضع امكانه وزمانه كم فاستعادته لا يبعد اهل وان
يكون التبعات له لوقت وكان بسبب معلوم لانه لابد من ان
ومعاش ولا يجد فيها ولابد ان متى هو بكا ووقته ان جميع
الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو
خليفة فيها وقد فرغ من جميعهم فالانبعاث وبها حاصل
فيها اذا ابى يكون فهو فالاقعد او تجرد عليه وما كسب له والسبب
في التحصيل قال واما الماشي من الفقراء الخ ويكون في
سعي او غيره فلا يحتاج في خطوته مثاله ان يكون
ماشيا فيخرج له الفقير واما التبعات اليه من بلد او شخص
او مطعم او مشرب وهذه القواطع والشواغل ومثله
الحبيب شمسا وغيره وملازمات فابتل نفسه وذلك انه
يكون في يوم صائف وصحيح وقد اصابه العطش الشديد فيعرض
خيال ماء في البعد ويبروح عليه ان امسك الحوقد للماء
فتشرب منه فيزول عطشه فان مشى الى الماء الخاطر فيه

للموضع فيجد كسرا فيهنالك يلقى به ويقول الآن تموت فيقتله
من ساعته فيموت قاتل نفسه اذ كان جاهلا بما به وبآياته
ولم يعرف دواءه ولم يتعلم العلم ولا سأل العلماء فقابل
مع نفسه بحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالتزويج من العرد
والى الفلاة والكون الى الاقفار من غير زاد او امثال هذا وغير ذلك
ان يعرض عن العدو وان الله تعالى الذي يمكنه ان يتوفاه قبل حتفه
فبالنفخ وربح يطيعه بعد ذلك ويسلمه ويقول له ايضا قول
النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا
وقال من تأنى اصاب او كاد ومن عجل اخطأ او كاد والعجلة
من الشيطان ومن هذا الكثير فلا يشك عاقل فيما يحتج به
للنفس والشيطان بهذه القواعد من العلم انهم يستقطعون
ولا حجة لهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول
ايضا انسى ايضا ان الله تعالى قادر ان يطعمني ويسقيني ان
شاء فيقع في غيبة الساعة قبل وصوله لذلك الماء فيقول
له الشيطان بالخروج نعم فاذا كان هذا الزكا فالله سبحانه
اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل بهذا العلم
رجع يشتغل منالبا همته مع قوته لذلك الما يرد عليه
من ربه فان وصل الى ما خطر له اولا او رد له من بعد ولم يجد ما

ولم

ولم يجد ما يتعلق به خاطره اولا من صاحب او طعام يبقى على
اصله لا تغير عنده ولا تردد فيقطع بالعدو وفتنته كما فعل
ايضا الشيطان بغيره والله. وصل انتهى ما اردنا ذكره
من كلام هذا الامام وهو عندي من نفيس الكلام المغرب
عناية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والاتمام الى
قبيعة ولما فيه من نحو تبدا التوحيد والاداب المرضية والحكم
فهو جدير بان يكتب ويرسم ويعمل به الغرض الذي تقدم والله
تعالى اعلم واحكم الشرط الثالث الا ياخذ الا ما وافق العلم
وهذا انما هو لازم لا غنى عنه ايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي
الله عنه وينبغي لمن لا معلوم به من الاسباب ان يتورع في اخذها
ويتحفظ المعطين لها كما يتحفظ اهل المكاسب في الاكتساب
لان لله تعالى في كل شيء حكما والقعود عن المكاسب لا يسقط
احكام المكاسب ولان ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم يكن سيرة
الفقراء الصادقين ان ياخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا
ياخذوا كل ما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا ان يكون فيهم
تخرجونه للغير انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المولف
رحمه الله تعالى على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة
العلم الباطن فاما موافقة العلم الظاهر فالا ياخذ الا من

حلا
بلا

به بأن يغفل عن التقوى وقد جاء في الحديث لا تأكل إلا طعام تقي
ولا يأكل طعامك إلا تقي فلا يأخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا
جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا يأخذ من يد صبي ولا عبد
غير مأذون له ولا معتوه وأما موافقة غرض المعطي فإن كان يعطي بالإذن
إنما كان يعطي على وجه الرفق والمعونة فلا يأخذ إلا ما هو محتاج إليه في
الحال ولا غنى له عنه من ضرورته وحاجته من غير استشراف ولا
افتقار ولا بأس أن يأخذ ما يزيد على أن كان في خلقه سخاء وبذل و
إيثار ويخلو به إصبر الأخلاق ولا يتوصل به إلى هدف عاجل من جاه
أو رئاسة أو قبول عند الناس ولا يأخذ ما يعطاه على جهة الابتلاء
والاختبار وأما الابتلاء بأن يتبين قبل وقته أو زائد على حاجته
بأن أحد هن فليخرجه في البر ليأخذ من ذلك إلا لإظهار وإما
الاختبار ولا يأخذ شيئا كان قد تركه لله تعالى من شهوة كان
مبتلى بها قد ملكته وأسرته ومنعته القيام فقويت
فليتوب بعد عهد الله تعالى وليخرج في ذلك عن نفسه أرجاب إخلال
عزمه وفساد نيته وإن لم يخف ذلك فليأخذه وليخرجه إلى غيره
وهذه التدقيقات على الفقير وهو من أعلى درجات الزهد ولا
يأخذ من منان ولا فخور ولا مخيل لعطيته ولا يأخذ ممن يشغل
على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل إلا طعام من يرى لك

الفضل

١٦٦

الفضل في أكله ولا تأكل إلا طعام من يرى أنه وديعة عندك ولا تأكل
إلا طعام زاهد لأنه يبصر بأكلك ولا تأكل إلا طعاما يراد بك ما
هو أفضل من الطعام وقد روي أنه أهدي إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش
وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض الناس وقال ولقد
هممت أن لا أقبل إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي وفعل
أبو طالب المكي رضي الله عنه وفعل هذا جماعة من التابعين وجاء فتح
الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا
عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله عز وجل رزقا
من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة
فأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل إليه رجل
العطية كيسا فيه الورق ورزمة فيها من رقيق خراسان
فرد ذلك فقال له بعض أصحابه فقال من جلس مثل مجلسي هذا
وقبل من الناس شيئا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله
عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من أصحابه و
كان إبراهيم التيمي رضي الله عنه يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين
ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذ وكان بعضهم إذا

دفع اليه بعض اهل الدنيا شيئا فقال ضعه عندك واعرض على قلبك
حالك كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك واصدقني
قال فقال له انت عندي الان افضل منك قبل ذلك فقال له انت عندي
مثل ما كنت قبل منه وان اخذته تبغضني فلم يقبل منه وكان
بعضهم يرد على الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال لا ارد عليهم
الا اشفاقا لهم ونصحا لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب
اموالهم وتحبط اجورهم وقد روي عن ابي عمران انه قال جاء شاب
الى ابرهيم النخعي بالفي درهم فقال يا ابا عمران خذ هذه الدراهم
والله ما هي من سلطان ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابرهيم
بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت يا ابا عمران ما منعك ان
تاخذها والله ما الا من تكسبه فقال صدقت يا سليمان ولكن
هذا شاب لم يحنكه الدهر ولم تحنكه الآداب فكرهت ان يجلس
بحبه فيقول اعطيت لابرهيم النخعي درهم فيحبط الله اجره
ويذهب دراهمه ومن ذهب الى هذا سفيان الثوري
رضي الله عنه كان يشترط على بعض من كان ياخذ منه الا يذكره لا
شفقة عليه لا من اجله بل من ذهاب اجره لانه قال في معنى قوله
تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكره والاذى
ان يظهره وقال الجنيد رضي الله عنه لرجل جاء اليه يسأله ان يأخذ

بالمال

١٦٧ بالمال وسأله ان يأكله فقال الجنيد بل افرقه على الفقراء فقال الرجل
انا اعلم بالفقراء منك ولم اختر هذا فقال الجنيد وانا اؤمل ان
اعيش حتى اكل هذا فقال انا لم اقل لك انفقه في الخل والبقل انما
قلت لك انفقه في الطيبات والوان الحلاوات فكلما نفد اسرع
احب الي فقال له الجنيد ومثلك لا يجب ان يرد عليه فقال الرجل ما
ببغداد احد اعز منه علي منك وما ببغداد احد ينبغي
ان يقبل منه شيء الا من كان مثلك وكان السري السقطي رضي الله عنه
يوصل الى احمد بن حنبل رضي الله عنه البر فيرده فقال له السري
يا احمد على ما قلت فعاده فقال له احمد ما رددته عليك
الا وعندي قوت شهر فاحبسه في عندك فاذا كان بعد شهر
فانفذه الي ومع الجملة فلا ينبغي للمريد ان ياخذ الا من يد
زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات ويكفى من جميع المؤ
نات قال ابو بكر الدقاق رضي الله عنه منذ اربعين سنة اصحاب
الفقراء فما رأيت رفقا لاحد الا من بعضهم لبعض ومن
بعضهم ومن لم يصحب التقي والورع من الفقراء اكل الحرام
النص وان اراد ان يحصل امثال الفقراء فليفعل قال ابو
طالب رضي الله عنه كان بشر بن الحارث رضي الله عنه لا يقبل
من الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم راي يا كل

فقال للذي يحبس امره انا لا ادرى ايأكل كان لم صبري عاقل
يعني زهيد في العقل والورع لان بعضهم كان يفضل الامر
التفرد ولا يفعل الا الاتباع وهذا الضرب يعد العاقل ان كان
يقوم بكفايته ولم يكن يخص امره ما ينبغي معه سوال السري
بن مغلس السقطي لانه قرب عنه زمنه في الرتبا فهو يعرج
بخروج الشي من يده ونبرم بقائه عنده ولا يكون قد اعتقه
عنه ما يحب وكان السري يوجه لاحمد ابن حنبل في ما
حيته فيقبل منه وكان اذا ذكر عنه احمد بن حنبل رضي الله
عنه يقول ذلك الفتى العجوم بطيب الغداء يعجبني
امره وانا يغتاظ الحاجة كل مبلغ واشرف على الضعف
وتحققته الضرورة وسال مولاه فلم يفتر لديه ووقته
بضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب
النسب ويسال ودونا مولاه من جملة حاله جاء في الاثر
من جاع فلم يسال ثم مات دخل النار وهو سوال للناس عند
الفاقة والحاجة فيه السر موسى والخضر عليهما السلام
لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو جعفر الحداد وكمر
شيخ الجنيد رضي الله عنهما يسطو من باب او بابين العشا
ويكون ذلك معلومة ان يعد حاجته من يوم او يومين
وكان

١٦٨

وكان له مقام في الزهد والتوكل قال ابو طالب لم يغب
عنه اعلم عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله
عنه انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شي لله
ونقل لي ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه معتكفا بجامع
البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة
افطاره يطلب من الابواب وكان الثوري يسافر في البوادي
والحجاز الى صنعاء الى اليمن وقال كنت اذكر لهم حديثا
في الضيافة قال فيفرحون الى صنعاء فاما تناول حاجته
حتى وان كان ما يبغي وليتجنب المريد الاكل بالدين وقبول
ارفاق المتعوان فان قيل كيف ادعى ما يعطاه
في الوجوه لانه حكم عليه بعض الاخذ فيه وسواه ان يوخذ
من يد او بيد كما تعرف وكل ايراد كذلك الارادة على الله
تعالى فكيف يستقيم ذلك قلنا الجواب ان العلماء
بين استر بعد واظهر تنزه لا بد منه والتوحيد ايضا في
ذلك مقر فيقبل الكامل من لا يصح خوف معرفته ونوم
وا... وكل بالمن من العلم في العطاء او الحكم فهو مردود
وهذا الاحتراز للعطاء عن مشاهدة التوحيد
كما لا يرد لا فرق فهي في ذلك ما بين يد المعطي وبين الاخذ
فكما يشهد الاخذ من الله تعالى في العطاء عن يد المعطي

فيما هو ما يعطاه عند مواهبه العلم اتباعا لإذن الله
تعالى وأمره فيستبصر بنور الله تعالى في الكل عند تبيين بعضه
بالادعاء عند مخالفة العلم فيما يأخذه ولا يفعل اتباعا للهوى
لله عز وجل في ذلك وعموم أنه لا ذنب فيه كما فعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الكبش السمين اشتراه له مع السمن
والأقط وكما فعله الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله
عنه مع رفيقه في الحوت التي ذكرها فيما في ابن ...
المنن رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه فيهذا
يتنوع ذلك بحسب الأحوال والأمر الموفق لصاحب الحال وإنما
أطلنا الكلام في هذه المسئلة لأن الحاجة ماسة
إليها وليعلم مع ذلك أن جميع تفاريعها ومسائلها
داخلة في كلام المؤلف رحمه الله تعالى على حال إيجازه
واختصاره وكلامه فيما فيه من بديع الكلام ومستحسنه
كتشبيه أبي العباس المرسي رضي الله عنه في معنى
ما ذكره المؤلف كلام بديع مختصر نقله عنه في لطائف
المنن قال رضي الله عنه للناس أسباب
وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات الآية وقد
جود المؤلف رحمه الله هاهنا وأحسن ما شاء في معنى الإشارة
إلى هذه الآية ربما استحيى العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء

بمشيئته

بمشيئته فكيف لا يستحيي أن يرفعها إلى خليقته تقدم
أن من الأدب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء
بمشيئته ورضى بما يقسمه وأن العارفين المحققين يستحيون
من الله تعالى من ذلك فكيف لا يستحيون من مواجهة عبيده
بسؤالهم للمخلوقين وهم أحق بذلك واستحياؤهم
من يعلم أنه واجب عليهم ولا يسألون منهم شيئا ولا يرفعون
إليهم حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم الغني الحميد
وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله لا تتعدى نية همتك
إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه ما من قلب ولا نفس إلا والله تعالى مطلع عليه في
ساعات الليل والنهار فأيما نفس أو قلب رأى فيه حاجة
إلى سواه سلط عليه إبليس وقال الأستاذ أبو علي الدقاق
رضي الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو
كثرت إلا من الله سبحانه مثل موسى عليه السلام اشتاق
الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك واحتاج مرة إلى رغيف فقال
إني لما أنزلت إلي من خير فقير وذكر الإمام أبو القاسم
القشيري رضي الله عنه أن بعض الفقراء كان يأتيه كل يوم ويقف
حذاء الكعبة بعد ما يطوف ما شاء الله تعالى ويخرج

١٦٩٦

من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام وقع مثل ذلك ثم تنازعت
ومات فجلى بعض من حضره وقال ائتوني بالرقعة واذا فيها واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا قال فقال الرجل اما بهذه العافية وصبر ولم يخرج من
المخلوق حتى مات وقال ابو بكر الجوهري رحمه الله كنت بعسقلان
على برج اسرح فمر به رجل عليه جبة صوف متخرقة فوقفت اليه فسلم
وعانقته واجلسته وجاريته في فنون من العلم وكان قد مات
فتبين فقلت له لم لا تسأل الحاجة لعل يغنيك من الجفاء فقال الرد
اعلم يا الخليل من عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال
اهون من موقف السؤال لعل اتي من المخلوق فيه النوال ثم اخرج
من باب المدينة فاتبعته الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب
كل من كد يمينك وعرق جبينك فان ضعف يمينك فاسأل المولى
يعينك قال الشيخ واعلم رحمك الله ان من ادب الاكتفاء
عن المخلوق وعدم التعرض لهم ان يرى من الحق لها وسر وهم احوج اليه
من الماء تحيا به النفوس ومن خلعها عليه خلعة الملك فما
يكدرها وطانها يجري بان تعلم ولا تسلبه عنه واعلم ان من خلع
المواهب يجري لا تتركه له فلا تختم ايها الاخ اعمالك بطمعك
في المخلوق فيه ولا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين وكن ابراهيميا
ابراهيميا فقد قال ابوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا

اما بليس

الا بليس وما سوى الله فاما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه
ملة ابيكم ابراهيم ثم اتبعوا ملته فواجب على المومن ان يتبع ملة ابراهيم
ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض
له جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى
قال فسأله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته
عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال
على السؤال من الله بل رأى ان ربه اقرب اليه من جبريل ومن سؤاله
فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله وخصه
خصه بوجود افضاله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما شغل عن
الله وصرف الهمة فلا اله الا الله لقوله تعالى فانهم عدو لي الا رب
العالمين والناس ان اردت الدلالة عليه فقوله ابراهيم من
الناس ولقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ايست من نفع
نفعه لنفسي فكيف لا ايس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري
فكيف لا ارجوه لنفسي وهذا هو الكيميا والاكسير الذي من
حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له
وهو كيميا اهل الفهم عن الله قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
صحبني انسان وكان ثقيلا علي فبسطته يوما فانبسط وقلت
يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني فقال يا سيدي انك تعلم الكيميا

فحسبك لا تعلم منك ذلك فعلقت له صدقتك وصدقه من ضد ذلك
ولا كل ما ذكرا ان تقبل عليه بل اقبل فعلقت له توجهت الى الخلق فوجد
تهم على قسمين اعداء واحباء فتوجهت الى الاعداء فعلمت ان الا
عداء لا يستطيعون ان يشوكوك بشوكة لم ياذن الله فيها فقطع
تك عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون ان
ينفعوك بما لم يرده الله به فقطعت بالياس منهم وتعلقت بالله
تعالى فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع ياسك
منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك في الازل
وقال رجل لابي الحسن اريد الكيمياء فقال اخرج الطمع من قلبك
واقطع ياسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك قال وليس
يدل على جميع العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده انما يدل
على نوره وحقه غناه بربه وانحياشه الى الله بقلبه وتحرره من رق
الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الا
حوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا فحسن الاعمال عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الثقة
بالله تعالى والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج الا
بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بغرض
من كلام صاحب التنوير وهو من الكلام النفيس والنافع رحمه

الله

الله اذا انا سلمته تعين بعين ذلك ناصا له في عدلا بينه ومن يوزنك
علمت مقدار ما قدمته على هذا الموضع وانه مستحق منا الابراز
في هذا الموضع اذ هو منوط بالايثار والتوجيه محتاج اليه
كل سالك ومريد فمن اعطاه حقه عنايته وصرف الى العمل بمقتضاه
عنان عنايته فقد تحقق بغاية الايثار وكان من اولياء الله بمكان
ومن اهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه خيف من الوقوع في اد
الشرك الخفي والجلي واستحق الطرد عن باب مولاه العلي فيقوى طمعه
في الخلق وتضيق عليه متسعات ابواب الرزق كما قال بعض العا
رفين المكاشفين رضي الله عنه قيل له في نوم كذا يعتقد ان وعظته كالقوم
لا تعد ترفع فاقة الى غيري فاضاعفها عليك مكافاة لسوء ادبك
وخروجك من حدك في عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة لتفزع
الي منها وتتضرع بين يدي وتتوكل علي فيها سبكتك بالفاقة
لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة
وحكمت لنفسي بالغنى فان وصلتها بي وصلتك بالغنى وان وصلتها
بغيري قطعت مواد معونتي وحسمت اسبابك من اسبابي طردا
لك عن بابي فمن وكلته الى ملك ومن وكلته الى غيري هلك انتهى
ومنع من يزعمه من قبول الرجوع على الخلق في نفع حكمته عن ذلك
ولو لم يكن يسالوا الا كطلب تحكي عن ابراهيم بن سلمة رضي الله عنه انه قال

شارع بجوار امراة ارملة لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر
سمعت صوتها تقول يا رفيقا ارفق بنا فلما كان بعد ساعة انحطاط بنيانها
وافقة حتى احتبس المطر فجعلت معي عشرة دنانير ووقفت
الباب فقالت احمد بن مسلمة فقلت نعم فقلت كيف الحال فقالت في
عافية احتبس المطر وذهب الحيطان فجعلت حجتي عشرة الدنانير
واصلح بها بعض شانك قال فاطلت بنية لها خماسية اتريد
بان تجعل بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت لامها لما
رفعت صوتك باظهار السر علمت بان الله يؤدبنا باظهار الرب
على يد مخلوق وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن عباس بن دهقان
قال كنت عند بشر بن الحارث رضي الله عنه وهو يتكلم في الرضا والتسليم
فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا ابا نصر انقبضت عن اخذ
البر من الخلق لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن
الدنيا فخذ من ايديهم ليتفنى جاهك عندهم واخرج ما يعطونك
الى الفقراء وكن بعد التوكل تاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك
على اصحاب بشر فقال بشر اسمع ايها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة
فقير لا يسال وان اعطي ~~فقبل فذلك من اوسط القوم عقدة~~ لا ياخذ
فذلك من الروحانيين اذا سال الله تعالى اعطاه وان اقسم على
الله ابره وفقير لا يسال وان اعطي قبل فذلك من اوسط القوم

عقدة

١٧٢

عقدة التوكل والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد
في حظيرة القدس ومن يقتصد الجنس ومدافعة الوقت فاذا
حضرته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة
سؤاله صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك وقال ايضا رضي الله عنه
اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فاتبعه فانه
لا يثقل عليها الا ما كان حقا هذا اعتبار صحيح باعتبار الغالب
على النفس لانها مجبولة على الجهل والغفلة وشان النفس انما هو
طلب الحظوظ والفرار من الحق كما تقدم عند قوله حظ النفس في
المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد
من نفسه ميلا وخفة الى الاعمال وبالعكس اتهمها وترك ما
مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين
منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكونا فقلب الى
النفس هو انما عن لا خف عليها ... وهو معقد ود
عندهم من نطاق القلب ومن نطق عليه شيء من دواعي الهوى وان
قل لا يومن عليه مثل هذا فاذا خفة العمل على النفس انما تكون لاجل
موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك
امران واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما الواجب او الافضل لتقدمه
على الآخر فانظر اثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا ذلك

لاعتبار غالب الانفس وان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا
بالشره فقد يجب عليها العمل ولا بد اذ ذاك على انه باكل فليكن ذكر
العبد حينئذ انما هو اكثر فائدة واعظم مزيد فليقدمه على غيره
وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه حكاية في شره النفس
وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه
الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا له في حلاوة
مشويا ودعوناه اليه في جماعة من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة
وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا انتم فانه قد عارض
عارض يمنعني من الاكل فقلنا الا تاكل او لم تاكل وقال انا اعلم ما انا
بحيث اكل ثم انصرف عنا قال وكنا هممنا ان ناكله دونه فقلنا لو دعونا
صاحب الشواء فسألناه عن حال هذا الحمل فلعله سببا مكروها
فدعوناه فلم نزل به نسأله حتى اقر انه كان ميتة وانه نفسه شره
الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق انكم اشتريتموه فعرفناه
للكلب فلما ثم انه لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاي معنى كنت
اكله وما العارض فقال اخبرك ما شرهت نفسي الى طعام منذ عشرين
سنة للرياضة التي رضتها بها فلما قدمتم الي هذا اشتهت نفسي
شرها لما عهدته قبل ذلك فعلمت ان الطعام علة فتركت الاكل
لاجل ميل النفس اليه قال الشيخ ابو طالب فانظر رحمك الله كيف

الفقرا

١٧٧

ان تجذبه شره النفس عن صحة واحترازه اختلط عليه التوقف عن الحلال
فيصح العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل بالشره والحرص وترك
الرحمة فينبغي للتابع ان يجمل وعن الاخذ بالتوقف يفتش الادب
وهو فهم شره النفس عن الاكل فقط فيهم ثم تدور كل التابع بعد
وقوعه بعد في المتشكل وحسن نيته انتهى ثم ميزان اخراج واكثر
تخفيفا من الاول لعمري نفع ونزول الموت به فاي عمل احب ان يكون
مشغولا به اذ ذاك فليفعله وما عداه باطل فان علامة في المعنى
والموت ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان دائر تمام الرتبة
اما الرتبة فكما تقدم يعني انه علامة صحة من تقدمه الاولية واما
الافعال والاحوال فاذا التبس عليك امران لا تدري ايهما ارضى لله تعالى
تركا وفعلا او حالة انت بها لا تدري هل انت فيها محق او مبطل
فيها فقدر ورود الموت على ما انت فيه من افعال او احوال فكل
حالة وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت عليه ولم تنتقض فهي
حق وكل حالة وعمل ينقض مع الموت فهي باطل اذ الموت حق والحق
يهدم الباطل ويدمغه لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كشف فيه فانما يخرج
لم يثبت مع الموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يهدم الحق قال

ولقد جاريت الكلام انا وبعض من يشتغل بالعلم في انه ينبغي الاخلاص
النية فيه ولا يشتغل به الا لله فقلت للذي بقي العلم لله هو الذي اذا
قلت له عند الموت لا ينفع الكتاب في يديك انتهى قلت وهذا
وهذا افضل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة الى
بصدد مفارقة الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة
حظ النفس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا ينبغي
له ذلك الا ان يتحقق بما يذكره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا
هو معنى قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو الا يقدر لنفسه وقتا
ثانيا يكون فيه حيا وعند هذا يخلص عمله من الآفات ويتخلص من
انواع الرعونات اذ يتوقع الموت في كل نفس ولحظة فيهدم عليه جميع
ذلك كما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه
غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه
فاذا بعيد من الاخلاص من يأخذ في علم غير متعين عليه لان اخذه فيه لا
يحصل ثمرته الا في ثاني حاله ويكون في حالة البداءة متمكنا على الفطام
طاعة يرتجي مصلحتها على مصلحة ما هو اخذ فيه من العلم ليعود
بثوابها ويتحقق له حصول النفع بجهتها الا ربما ذكر فوت نفسه و
جارية حقه وذلك انه قد يعرض له في حال اخذه فيه غرض دنياوي
فيكون اهتمامه لنفسه به اكثر فيفقد ما هو عليه ما كان اقتدى فيه ويبتغي

غل

ويشتغل به من غير مبالات بحال الفوت من ذلك وانما ينبغي
الاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد
وكل عمل لا اخلاص فيه ليس هو بالله ولا لله مردود على صاحبه مضروب
به وجهه وبهذا يتبين لك غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم
الا من رحم الله تعالى وهذا انما هو اكثر الناس عند نزول الموت
بهم يندمون على ما سبق لهم من عمل ويودون لو انسى لهم في الاجل
وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة.
فاذن فهذا كل عمل فاسد ومنشأ وجود الغرة والجهالة لكل
عالم وجاهل وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح
ليفضل الفاضل منهما على المفضول لا يعلم الا من اتاه الله بنور البصيرة
وجبله على النصيحة له في الله ومن كان له حظ وافر من الخوف والحذر
ومراقبة مولاه في كل ورد وصدر ولا شك ان هذه المرتبة عزيزة
المنال متعذر ادراكها على الاحاد من الرجال وسبيل من لم يصل
اليها ممن ذكرناه اذا كان منصفا ان يستغفر ويفتقر من هو اعلى
منه حالا واقوى منه حالا ويعول في جميع اموره عليه ويعتمد
اشارته في كل ما يشير به اليه وعلامة انصافه وجود اتهامه
لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحده ومن لم يكن منصفا
فالكلام معه فاسد وضرب في حديد بارد وسبابة مزيد التنبيه

على غرور الاقتداء في العلم في موضع اليقين هذا والله ولي التوفيق
من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل
عن القيام بالواجبات وهذه من الصور التي يتبين فيها خفية
الباطل وتقل الخوض في التفتيش وهذا كله حال اكثر الناس فترى الواحد
منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام
وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو
مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل مما
في ذمته من الظلامات والتباعات وما ذاك الا انهم لم
يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يطلبوا بمجاهدة
اعدائهم التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم
فيه اعظم شغل في جمع واقسمة لشيء من الطاعات والنفل قال بعض
العلماء من كانت الفضائل اهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع
وقال عمر بن الورد رضي الله عنه لعلك الناس في حرفين اشتغال
بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه
ما حرموا الوصول الا بتضييع الاصول وقال الخواص رضي الله عنه الخلق
عن الله بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية
انهم عملوا اعمالا بالظاهر لم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها
والنصح لها وابى الله ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق وموافقة الحق

قال

قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ما يفضل شيء للعبد مع معرفته
بنفسه ووقوفه على حده واحكامه مجالس التي افرغ فيها والنفاذ له
بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهاه عنه بعلم بعد ان يكون في جميع
ذلك ورعا محتجزا عن الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى
يفرغ من فرض لان الفضل لا يربح الا بعد حوز السلامة كما لا يتلقى
الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال ثم تعذرت عليه السلامة
كان من الفضل ابعد والى الاغترار اقرب انتهى وقال رضي الله عنه
قيد الطاعات باعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود
التسويف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار
انه عليك فيما امرك به من الطاعات اموقتة بالاوقات بتعيين
علم ... لحدادها تفيد لك باعيان الاوقات لتوقعها و
فيها وتفوز بالقربات ولولم يفعل ذلك لعوقت بها ولم تعملها
حتى تعرضت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيعه اوقات
علم عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تاتي بالطاعات في حال
سرورك من غير حرج ولا ضيق فله الحمد على نعمه وقال رضي الله عنه
علم قلة نهوض العباد الى معاملته فاوجب عليهم
وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب
ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله

الله تعالى فلما نهض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة
العبودية لمشاهدة الربوبية في حال طواعية منهم اذ في ذلك
قرة اعينهم وغاية نفيسهم اوجب عليهم طاعته على حال كراهية
منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل الجبر و
تهديد اليه واستدرجهم بذلك الى ما فيه نفعهم مما لا علم لهم به
وفعل بهم ما يفعل بالصبي الذي تراه كيف يؤدب على ما ليس له على
مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امورا شاقة عليهم فيفعلها
وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل
بها فاذا كبر وعقل وعرف ذلك عيانا اقر وقد عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهكذا عجب الله من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت ونظم
المولف رحمه الله بالسلاسل والسوق بها والاستعارة لذلك
الواجبة التي الزم القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر
وليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
ولذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك واشارته به الى منفعة
في غاية الحسن قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب
المنسوب الى الله فيه اظهار عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان
وهو ان الجنة التي اعد الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش

فيه

١٧٦ فيه والخلود فيه الذي من حكمه ان من سمع به من ذوي العقول ان
يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره
والمشاقات لنيلها وهؤلاء يمتنعون عن ذلك ويرغبون عنها
ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد والى
المكروه العظيم التي تنفر منه الطباع وتالم منه الابدان وذكرهم
النفور وقد قرا جماعة من القراء بل عجبتُ ويسخرون بضم التاء وفي
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة
في فعله الانصاري الذي قال لامراته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور فالعجب منسوب الى الله تعالى
قد ورد في الكتاب والسنة اذا من الصفات السمعية قوله
اوجب عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا دخول
جنته هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من
هذا الكلام الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا
تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما وجبت عليهم لما يرجع
اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المولف رحمه الله هو حال
عامة الناس الذين هم من شانهم التثاقل وعدم الانقياد للاوامر
والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتهديد والمؤاخذة
لنحو المبالغة في التكليف واما الخاصة فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك

ان الله تعالى فتح صدورهم ونور بصايرهم وكتب في قلوبهم الايمان
وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما
افترض عليهم المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات
فقط بل ناظروا الى ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة
في نوافل الخيرات وبالجملة فاردوا اعمالهم قربات وذلك لما هو بينهم
وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فصل
في التنوير انما جعل الله سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما هو
عليه من وجود الضعف وبما فيهم مما تقتضيه من وجود الكسل
فاوجب عليهم ما اوجب لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا
به قايمين الا القليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود ذلك منه ولما
استخفوا ما اوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلا
سل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل فـ
اعلم رحمك الله انما تلمحنا الواجبات من انها الحق سبحانه جعل بـ
ما اوجب تطوعا من جنسه في الانواع كان يكون ذلك التطوع
من ذلك الجنس جابرا لما عساه ان يقع من الخلل في قيام العبد با
لواجبات ولذلك جاء في الحديث انه ينظر الى مفروض صلاة العبد
فان نقص منه شي كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن
مقتصرا على ما افترض الله عليك بل لا تكن ممن ناهضه حب نوعه

الكبائر

الكبائر عن معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا
يجدون في الموازين الا ثواب الاعمال الواجبات وثواب ترك المحرمات
لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحزره حازر فجل ان
الفاتح للعبيد باب المعاملة والمهيئ لهم اسباب المواصلة فاني
واعلم ان الحق سبحانه علم ان في عباده ضعفا واقويا فاوجب
الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما اوجب
والترك لما حرم والبصراء قلوبهم من سلطان الحب ووجود المع
الشغف بما يحملهم من المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل
العبد يعلم السيد منه انه ان لم يجبره لم يعد اليه شيا فلذلك
وقف معه انواع الاوراد ووضع وظايف العبودية بنوعي ذلك
بالطايع والعابد والراي والوصبر ورفع كل شي. فتلقت الصلاة
وبالحوايج اوان مواليد الناصبة العبد والملاشية ويوقف حصول
المنفعة في الزرع وانوا حقه يوم حصاده وبعث في الحجة في
الحج ويستهل رمضان في الهلال موضع الوظايف ووقتها ومن
جعل للنفوس في سواها فسحة الحظوظ والسعي في الا
سباب واهل الله اهل الفهم عنه جعل الله الاوقات كلها
وقتا واحدا والعمر كله نفسا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت
كله لله فلم يجعلوا النفس منه نصيبا ولذلك قال الشيخ ابو الحسن

رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة
المولى ابت المحبة ان تستعمل صاحبها فيما يوحش محبوبه و
علموا ان الانعاس امانة الحق عندهم وواجبه لديهم فعلموا ان
ملك العبودية عن انية فحجبهم لذلك وكذا ان العبودية الدائمة
كذلك حقوق ربوبية عليك دائمة من ربوبية غير موقتة بالاوقات
فحقوق ربوبية ينبغي ان تكون ايضا كذلك ولذلك قال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ان كل وقت سهم لا في العبودية
يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية الشرعي وقال رضي الله عنه
من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود
غفلته فقد استعجز قدرة الالهية وكان الله على كل
شيء مقتدرا من استرقته الشهوة واستولت عليه
الغفلة فلا ان يستغرب ان ينقذه الله من اسر شهوته
وان يخرجه من وجود غفلته لانه بفعل ذلك من استحكام ذلك
فيه فان ذلك نسبة العجز الى القدرة الالاهية والله تعالى
متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من اللطف وليعلم العبد
ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ياس ولكنه
يات مولاه بالذلة والافتقار فعسى ان يسهل عليه ما استصعبه
ويقيم فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز ولنعتبر

بهذا

لهذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الاخيار الذين تغربت لهم
في بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات ثم
١٧٨ يتداركهم الله بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح
اعمالهم وصفا احوالهم وابدل سياتهم حسنات ورفعهم
من اسفل سافلين الى اعلى درجات كل ذلك في اقرب وقت وزمان
واقصى مدة واوان والحكايات في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض
وعبد الله بن المبارك وابي عقيل عليمون رضي الله عنهم معروفة
مشهورة ومن اغرب ما رايت في هذا المنزع ما رواه عبد المنعم
ابن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا قتل نفسا
فجاء الى سائح من سياح بني اسرائيل فساله عن ذلك فقال من جهة
له السائح عن حوت البحر فقد بعدا بعيدا ثم قال له اذا اخضر هذا
العرجون قبلت توبتك واراد السائح بذلك ان يويسه من
التوبة لعظم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطيع في التوبة
والعزم فتاب وصفا يعبد الله زمانا ويتعاهد اخضر ذلك
العرجون باذن الله تعالى وقدرته واغرب من هذا واعجب ما
خرجه مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة
وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب

فأتاه فقال له إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على
رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن
يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا
يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها
أرض سوء فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت
ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت
ملائكة العذاب إنه لم يعمل عملا خيرا قط فأتاهم ملك على صورة
آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما
أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد
فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة ثم قال الحسن ذكر لنا أنه
لما أتاه الموت نأى بصدره وقال عيسى بن دينار كان يقول لا
والله ما عبد العمل إلا وهو يريد أن يقبله منه ولا وفق الله عبدا
للنزوع عن ذنب إلا وهو يريد أن يغفر له وذكر الفقيه يونس
ابن عبد الله ابن محمد ابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبيب
والتيسير لعلاج العمل أنه أخبره ثقة عن أهل العلم قال كان
رجلا من أهل الأدب له أصحاب يجمعه بهم مجالس مكررة

ودعوه

ودعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك من إجابتنا
فقال دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحيي من سني ثم لزم الخير
والعبادة ثم فصل وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال عجبت
179 حجة الله على ابن الأربعين وذكر فيه ابن ظافر عن مغيث ابن سمي قال كان
موقف امرائيل يعمل الخطايا فبينما هو يمشي في أثناء يوم ذكر
ما سلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على تلك الحال فغفر
له وذكر فيه ابن ظافر عن رجل من العلماء أنه رأى في منامه شيخا وجماعة
من الشعراء فذاكره قراءة بيتا لعرفه فقال له أيها الشيخ أخبرني
بأحكم بيت قالته العرب فأنشده: صبا ما صبا حتى علا الشيب
رأسه :: فلما علاه قال للباطل ابعد :: قال فوالله عز وجل لقد
نفعني بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة أو خطيئة
إلا ارتدعت عنها وأرجو الانتفاع به ما بقيت
إن شاء الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايات مستحسنة
في هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله الموفق لا رب غيره وقال
ربما أوردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك
الظلم أضداد الأنوار فجعل من نور الأنوار في مقابلته ظلمة ولكل ظلمة
في قدر نورها والشيء يعرف بضده كما قيل وبضدها تتبين
الأشياء فما أورده عليك من ظلمات المحنة والغيبة في ليالي

الدهر والمعرفة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من انوار التجلي
والحضور في نهار القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابقة من غير
عمل منك بذلك وقال بعضهم رضي الله عنه من لم يعرف قدر النعم بو
جدانها عرفها بوجود فقدانها اكثر الناس لا يعرفون قدر
النعم الا بعد فقدها وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم فيرون وجودها
عندهم قال الحسن البصري رضي الله عنه من لم يعرف قدر النعم سلبها
من حيث لا يعلم وقال الفضيل رضي الله عنه عليكم بمداومة الشكر
على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء
اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال ايضا كفران
شكر النعمة عقوبة من حلول النقمة وفي معنى هذا قيل انما يعرف
قدر العافية من بلي بعظيم البلادة لا من كان على مثال الاودية
الجارية المولد العافية فهو على ذاته انما يعرف قدر الاب يوم وفاة
ابيه وقيل نعم الله تعالى مجهولة وتعرف اذا فقدت ومن دعاء
بعض العلماء اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفها لنا بزوالها
قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها
من العبد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل
منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والسعيد من اتعظ بغيره قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه

انه

انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر
ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروي ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل
منه ممن فضل عليه قال ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وكان بعض
الصوفية وقف على نفسه ان يخرج الى المرضى فيشاهدهم ويشاهد ما هو
عليهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم
في التعذيب لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب العزاء
وتاسفهم على ما ضيعوا مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود
الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه
من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خثيم جعل في داره قبرا وكان يضع
في عنقه غلا وينام في لحده ويقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم
يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل
الرجوع فلا ترد وهذا كله من امتثال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحديث المذكور ولا طريق للعبد الغافل الى تعرف النعم المو
جودة لديه ابلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر
عليها من قبل زوالها عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من
كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن
شكرها فقد قيدها بعقالها وقال بعضهم رضي الله عنه

وجود الاقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب
ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر ادبك والعبا
رتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا وقال رضي الله عنه حـ
حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد
الا ولله عليك فيه جديد وامر اكيد فكيف تقضي حق غيره وانت بيه
لم تقض حق الله فيه الحقوق التي في الاوقات هي
وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما
مما له اوقات مستحقة فهذه قد يمكنه قضاؤها ومع فوت
ادائها اذ قد جعل له بعد ذلك مجال يستدرك فيه ما فوته
من تلك الحقوق وحقوق الاوقات هي المعا
ملات الباطنة التي تقتضيها احوال العبد واردات قلبه
المتلونة عليه ووظيفة كل عبد ما هو عليه من ذلك والعبد
مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى
على كل عبد عند كل حال يحل به ووارد يرد عليه حق جديد
وامر اكيد ولا يسعه الا القيام فيه بذلك فان جاء غيره لم يجد
مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد ان يكون مراقبا
لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها
وهذا معنى قول الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه

اوقات

اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والمعصية
والطاعة ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية
١٨٢ يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة
فسبيله شهود المنة من الله عليه اذ هداه لها ووفقه
للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو
فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا
بالقضاء والصبر والرضا رضى النفس عن الله والصبر مشتق من
الصبار وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب
نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر و
الصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم
فاستغفر ثم سكت صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا له يا
رسول الله فقال اولئك لهم الامن وهم مهتدون اي
لهم الامن في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا وقال
ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له
عمر العبد هي اعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى
والموجبة له جزيل الثواب في الدار الاخرة وهذه هي
السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى مواجها

وليس له منه الا ما سعى له كما قال تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته
من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه
الوقت اذا فات لا يستدرك وليس من شيء اعز من الوقت وكل
جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك لا يفنى
وليس من شيء ~~اعز من الوقت~~ وكافية لما يوصل الى ذلك لانه في
غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعات ان
السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا
الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في
البطالة والتفريط ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم
الا بالجد والتشمير وقد قال امير المومنين علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها ثمن يدرك بها ما فات
ويحيي ما امات وقد نظمه بعض الشعراء فقال
بقية العمر عندي ما لها ثمن وان غدا غير محسوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما فاتا ويحيي ما امات ويمحو السوء بالحسن
وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد
الجمعة قف حتى اكلمك فقال له انا ابادر لو وقفت عليك
قال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي وقال الحسن

رضي

١٨٤

رضي الله عنه ادركت قوما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على
دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم دينارا ولا
درهما الا فيما يعود اليه نفعه فكذلك لا يحبون ان يخرجوا
ساعة من اعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه وقال
السري السقطي رضي الله عنه خرجت من بغداد اريد الرباط
الى عبادان لاصوم بها رجب وشعبان ورمضان فوقع لي طريق ان
لقيت علي بن الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فجئت وقت
افطاره وكان معه ملح مدقوق واقراص فقال لي كل مدقوق
ومعه كعك من الفعل لم تقبله ولم تدخل منه الخمير فتركت
المزود وكان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت
ما حملك على هذا قال اني حسبت ما بين المضغ والسف
سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة
ومن اغرها من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله تعالى فيها
الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعات
عمره اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعا
وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء
وجزاء كما كان اودع خزانته من ساعات الدنيا من
الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مر به
بالدنيا ساعة

في الدنيا لأن ساعة لم يذكر الله تعالى فيها فيبقى في اهل الآخرة
خزائن فارغة لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيتحسرون من ذلك
ويتحسر كيف فاته حيث

حيث

حيث لم يدخر فيها شيئا يرى جزاءه مدخورا في العقبى في نفسه
الى كذا والسكون وقد جاء في الخبر ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم
اذ سطع لهم نور من فوق فاضاءت لهم منه منازلهم كما تضيء
الشمس لاهل الدنيا فينظروا الى رجال من فوقهم اهل عليين
يرونهم كما يرى الكوكب الدري في افق السماء وقد فضلوا عليهم
في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم
فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون
ذا الجلال والاكرام فينادون هؤلاء يا اخواننا ما انصفتمونا
نصلي كما تصلون وتصومون كما تصومون فمما هذا الذي فضلتم
به علينا فاذا النداء من قبل الله تعالى انهم يجوعون حين
تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون
يذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين
تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم
وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه رأى
بعضهم مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن اولى مني بالجد
وانا اطمع ان الحق بالابرار والكبار من السلف قال الله تعالى
في ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا

في السباق قولا وفعلا حذرا من الفتن حسرة المسبوق
وقال رضي الله عنه ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو
لا يحب ان تكون لغيره عبدا المحبة للشيء تقتضي الانقياد له
والشوق العلاقة له وان لا يبتغى به بدلا كما قيل حبك للشيء يعمي
ويصم وذلك معنى استعباد المحبوب له فمن احب غير الله عز وجل
فقد استعبده ذلك الغير كائنا ما كان والله تعالى لا يحب ان تكون
لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
والخميصة والقطيفة والزوجة قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه
كتب الي اخ ان استطعت ان لا تكون لغير الله عبدا فما وجدت
من العبودية بدا وافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون
على الحقيقة له عبدا وشيء مما دونه لك مسترقا وانك لن تصل
الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية وسبيل من لم
يبق عليه من الدنيا الا مقدار حمو نواة فقال المكاتب عبد
ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن ابي
عبد الله الرازي نزيل نيسابور قال كساني ابن الانباري صوفا و
رأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف
فتمنيت في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه
فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه

ودعا

ودعا بنار فاحرقهما جميعا وشغل بهذا عما كان يتفكر فيه
من لم يعرف مقصوده في ذلك نبه على ذلك وورد عنه وقال ١٨٦
لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك
بهذا ونهاك عن هذا لما يعود عليك الحق تعالى غني
عن اعمال العاملين لله منزه عن الاغراض والاعراض فلا تنفعه
طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود
عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا غير وذلك على سبيل
التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم هذا التنبيه في عجب
ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال في لطائف المنن
اعلم رحمك الله ان الله لم يامر العباد بشيء وجوبا او يقتضي
منهم ندبا الا والمصلحة لهم في ذكره امرهم بتركه وجوبا او ندبا
ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله
رعاية مصالح عباده بل انما نقول ان ذلك عادة الحق وشرعته
المستمرة وعلقها مع عباده على سبيل التفضل وليت شعري
اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الواجب
ثم انا نقول ايضا فكل ما هو مامور به او مندوب اليه يستلزم
الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يقتضي التفرقة عنه
اذ المطلوب لله من عباده وجود الجمع عليه لا كثرة الطاعة

فهو اسباب الجمع ووسايله فلذلك أمر بها والمعصية هي من
اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك نهى عنها الشيخ وقال
**ما يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من
عزه ادبار من ادبر عنه** عز الله تعالى صفة من صفاته
وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والا
النقصان ومستغنية عن العلل وقال ايضا **وصولك الى الله وصو
لك الى العلم به والا جل ربنا ان يتصل به شي او
يتصل هو بشي** الوصول الى الله تعالى الذي يشير به اهل هذه الط
ريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية
السالكين ومنتهى سير السايرين واما الوصول المفهوم
بين المحدثات فهو ممتنع قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل
من لا شبيه ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن
عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا
احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص
عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف
رحمه الله واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليها الشيوخ
وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو
في رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق

الافعال

١٨٧

الافعال وهو رتبة في التجلي فيغنى بفعله عن فعل غيره لوقوفه
مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاخ
تيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام
الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال
وهذه تجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من
يرقى الى مقام الفناء مشتملة على باطنه انوار اليقين والمشا
هدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي
الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذه رتبة
حق اليقين ويكون ذلك في الدنيا لمع وهو سريان نور المشا
هدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى
قالبه وهذا من اعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقايق
يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه في اول المنازل فاين
الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد
في عمر الاخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنيوي وقال [illegible]
**قربك منه ان تكون مشاهدا لقربه والا فمن اين انت
ووجود قربه** القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله تعالى
واذا سالك عبادي عني فاني قريب وقال تعالى ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون وقال عز من قائل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد

وحظك من ذلك انما هو مثال نحو تلك الغريبة بحظ فنفسك تبعد
بعده المشاهدة تشوّف المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بأدب
الحضرة واما انت فلا يليق بك الا وجود البعد وشهود حكم
نفسك كما يقول المؤلف بعد نفذ الامر ما في بك من
وما البعد عنك . وقال ايضا رضي الله عنه الحقائق ترد في
حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قرأناه
فاتبع قرءانه ثم ان علينا بيانه حقائق العلوم اللدنية
التي تجد قلب الحق تعالى في اسرار العارفين عند بروز تجليه والذي
تخرجهم من رق الاشياء وتحضهم بالصفاء وانما متعلقها
عليهم الصوفي يجد من الحق تعالى تحقيقا الوعي لهم من غير
تعلم ولا دراسة وعند ورودها لهم وتجليها لهم تكون
مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا بد ان تكون جهة حقيقية
جلية او عوضها وتعرف تبين ادها انهم بالاعتبار والتامل
تبين لهم معناها وتظهر لهم موافقتها لما بايديهم من العلوم
العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجري على
لسانه وينافه لكثير من غير ان يلتفت لها الا بعد ان يرجع من ذكره
او سمعه بتصحيحه وتأمل يجده صحيحا مستقيما وقوله
تبحر لك من بعد ذلك صدق هذه الطريقة من نفسه فلا

اما

الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واصحاب الحقائق يجري
على السنتهم علم شيء للعلم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يب
يكشف لهم وجهه فربما يجري على السنتهم شيء لا يدرون وجهه
ثم بعد ما عنهم عن المنطوق به تنطبق لقلوبهم براهين ما قالوه من
شواهد العلم اذ تحققوا ذلك تجربة والحال حالة الوقت انتهى
كلام الامام ابي القاسم وهو موافق لما ذكر المؤلف والله تعالى اعلم
اعلم وكانه اشار الى المسالة الخارقة بينهم من موافقة
الحقيقة والشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل
عبد الله بن كاتم الاصم رضي الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة
كلها علم والعلم كله حقيقة . وقال الشبلي رضي الله عنه الالسنة
ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما
تادى الينا بالوسائط ولسان الحقيقة ما اوصله الله الى الاسرار
بلا واسطة ولسان الحق ليس له طريق . وقال الجنيد رضي الله عنه
اي الحقائق ما فارق العلم . وقال ابو بكر الرازي رضي الله عنه
كل حقيقة تنبئ شيئا بل يرجع بالفرح الى علم الحقيقة فذلك
علم الشريعة واذا صح تحت الشريعة ام عقلا ان كان . وقال
ابو بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر واشار ابن المؤلف
رحمه الله بالايات التي ذكرها الى هذا المعنى بعينه . وقال ايضا

متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد
عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
الواردات الالهية تمحو عنه جميع رعوناته وتتقدم عليه
مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت على
قلب مشحون بانواع الخبائث والرذائل ازالت ذلك برمته و
ابدلت عوضها من ذلك احوالا علية واوصافا مرضية انتهى
شيخ ابو العباس ابن [illegible] رضي الله عنه
لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ... ارض النفوس ودكت الاجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها ... حين التزلزل والرجال رجال
الارض ارض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة
والاشارة الى هذا المعنى بينة وقال ايضا رضي الله عنه
الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه
شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة
لوروده من حضرة القهار الغالب على امره ولاجل ذلك لا يصادمه
شيء من رعونات النفس الا دمغه وازاله وهو ايضا حق ورد
على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة الى هذه الآية
وقال ايضا كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به

هو

هو فيه ظاهر وموجود حاضر قد اشبع المؤلف رحمه
الله الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب واتى فيه بعجب العجائب
ونبهنا عليه هناك وقال ايضا رضي الله عنه لا تيأسن من قبول
عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل
ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي لا تجد فيه حضورا
لا ينبغي له الا ياس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من
العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور او حلاوة او
غير ذلك ولو لم يكن الا فرحك بالتقرب به وخوفك من رده وقد
تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله علم الرجاء [illegible] وقال
لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس من السحابة الامطار
وانما المراد منها وجود الاثمار الوارد مراد لثمرته
لا لوجدان حظ نفسك فيه كما ان السحابة مرادة لوجود الثمار
التي اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها
وثمرة الوارد انما هي ثمرة القلب وتبدل صفاته المذمومة
بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزكي
الوارد ولا تفرح به فان ذلك نوع من الاغترار والخداع
بلبسة الاضمار وكن على حذر منه وقال ايضا رضي الله عنه
لا تطلبن بقاء الواردات بعدما انبسطت انوارها

اودعت اسرارها فيك فالله غني عن كل شيء وليس
يغنيك عنه شيء ابـ[illegible]ار انوار الواردات المنبسطة
على العبد هي نفحة ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وانوار
ربنا المودعة فيه ما لاح له من حكمة الربوبية فاذا اجاد كان
الوارد بهذه الفوائد فلا تطلب بقاءه في حال كونه ولا تأسى
على فقده فان لك في الله عوضا عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى
بعوض من الاشياء كما قال الشاعر لكل شيء فقدته عوض و
ليس لك لله ان فارقت من عوض قال ابو العباس بن عطاء الله رضي
الله عنه اياك ان تلاحظ مخلوقا وانت تجد الى ملاحظة الحق
سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره ابن عطاء الله رضي الله عنه
جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال الدنيوية والاخروية
والنعم الظاهرة والباطنة فلا تلاحظ شيئا من ذلك ولا تركن
اليه ولا تعتمد عليه بقي او ذهب فان ذلك قادح في اخلاص التو
حيد قال في التنوير واعلم ان الباري سبحانه انما يحلك في الحال
لتأخذ منه لا لتأخذ منك وانما جاءتك الحجة هدية النعم بيان
من الله اليك فيه فتوجه اليه باسم المحي فابداها وابقاها
حتى اذا وصلت اليك ما كان لك فيه فليها دين الامانة فتوجه
اليها باسم المعيد فارجعها وتوجها فلا تطلب بقاء

رسول

رسول بعد ان بلغ رسالة الله ولا امين بعد ان بلغ امانته وانما
يفتتن المدعون بزوال الاحوال ويعزلهم عن مراتب الاعتزاز هذا لان
19
تبدي العوارض وتفضحك الاستتار فكم من مدع الغنى بالله وهو
انما اغناه بطاعته او بنوره او متعته وكم من مدع العز بالله وانما
اعتزازه بمنزلته وجاهه على الخلق معتمدا على ما ثبت عنده
من معرفته وذكر عن بعضهم كن عبد الله لا عبد العلل كما كان الله لك ربا بلا علة
فكن عبدا له بلا علة لتكون له كما كان لك انتهى وقال الشيخ ابو
العباس المرسي رضي الله عنه عبد هو مع المثال والعال وعبد هو مع الحال
بالمحول وعبد المحول واما من هو مع الحال فالحال لا يبقى لانه يسمى
عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذي هو مع المحول
بالمحول لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا فقدت
وبه الا لاحتاج من الله سبحانه لا تركن الى شيء دونه فانه يجول عليك
وفاتك ان ركنت الى العلم تستغناه عليك وان ركنت الى العلم
رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان انست بالعز
من استمد رضاك فيه وان تعلقت الى الخلق وكلناك اليهم وان
اعتززت بالمعرفة نكرناها عليك فأي حيلة لك وأي قوة
معك فارض بنا ربا حتى نرضاك لنا عبدا وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه
تطلبك البقاء غيره دليل على عدم وجدانك له

واستيحاشك بفقدان ما سواه دليل على عدم صلتك
به وجود العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى امانيه
ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى
كل محبوب ويلتهي عن كل مفرح به ومرغوب وهذه هي صفة اهل
التجريد الذين استهتروا في ذكر الله المجيد كما روي عن ابي عبد الله
البسطري رضي الله عنه انه قال لبعض الفقراء جالسا للكلام ما الذي اجلسك
في هذا الموضع فقال لي وما السؤال الذي ترضى ان طلبته لم تدركه وان
لحقته لم تقنع عليه قلت فخبرني ما هو قال علمي بان مجالسة الله لا
تستغرب نعيم الجنان ثم قال واه فو كشف الغطاء عن نعيمه طمعت ومن
الخلود هربت فاذا انا كذاب في مقالتي لو كشف محب الله حادثا
ما اطلع على احد قلت اما علمت ان المحبين خلفاء الله في ارضه
مستانسين بخلقه يبعثهم على كل عسرة فطاح صيحة وقال يا
محب ويحك لو شممت رائحة الحب وعاينت فيه ما ورا ذلك من ان
ما جمعت ان ترى جوف ما رايت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا انه
ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار فقلت ان كنت صادقا فاتق
الله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت ان يسبق الي الظن من
الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك اذا انا بجماعة
فقالوا اما فعل الفتى فكيف عن ذلك فقالوا رجع الى الله قد قبض

فقلنا

فقلنا معهم عليه فقلت من هذا الرجل ومن انتم قالوا وجيد
هذا رجل من اهل المحبة فلما علي قلبه ابراهيم عليه السلام امل ان ينته
يخبر نفسه ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان احق
هلكذا بابراهيم عليه السلام فقلت من انتم فقالوا نحن السبعة
المخصوصون من الابدال فقلت علموني شيئا قالوا الاقرب ان تعرف
والاقرب ان تعرف انك ممن يحب ان يعرف وفي مثل هذا الحال انشدوا
كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
وقد سئل ابو سليمان الداراني رضي الله عنه عن اقرب ما يتقرب
به الى الله تبارك وتعالى فقال اقرب ما يتقرب به اليه ان يطلع
الله على قلبه وانه لا يريد من الدنيا والاخرة غيره فهذه هي العلامة
الصادقة والدلالة الظاهرة على التحقيق بهذا المقام العظيم
فان كان له شعور بشيء من الاغيار المحبوبة فتطلع الى نظارتها
او استوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحقيقه بذلك
فليعرف منزلته وحده وليعمل في تحصيل هذا المقام جهده وقال
النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو شهوده و
اقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو

لوجود حجابه بسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام
النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم مظاهر النعيم المتنوعة
هي ما ورد من أنواع الثواب في الدار الآخرة من الحور والقصور
والولدان والمطاعم والمآكل والمشارب والملابس إلى غير ذلك
من أنواع المسرة واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هي ما ورد
من أنواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب
والسلاسل والأغلال والأنكال وغير ذلك من أنواع الآلام والعقو
بات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود ذوات هذه
الأشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وإنما وجود حجابه وإعراضه
عن المعذب فهذان الأمران هما سبب النعيم والعذاب على التحقيق
وقال الشيخ رضي الله عنه ما تجد القلوب من النعيم والاحزان
فلأجل ما منعت من وجود العيان وجدان الهموم والأ
حزان الدنيوية والأخروية من نتائج النفس واعتبارها وفقدها
هو الذي منع العبد من وجود العيان فلو فقدها عن رؤية
نفسه وذهب عن مراعاة حظ نفسه لظفر بوجود العيان ولم
يكن له هم ولا حزن البتة بل يكون مغتبط الحبور دائم الفرح والسرور
كما قال تعالى لا تحزن إن الله معنا فالمعية المذكورة لا تجتمع مع
حزن وهي ما فقدناه من وجود العيان والتحقق بها على درجة

بوجوب

بوجوب رحمة المعين كما قال الشاعر ٥ كبر العيان علي حتى أنه ٥
صار اليقين من العيان توهما ٥ قال الشيخ رضي الله عنه من عرف
الله لا يكون له غم أبدا وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام
يا داود إن همة في خلق أن يكونوا روحانيين والروحانية علم
أن لا يهتموا وأنا مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم
فإنه ينغص عليك حلاوة الروحانيين وسمعت من كلام المو
لف رحمه الله أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود فرح وتزكى
فتنعم فيما استنار في القلوب بنور المعرفة واحتياطه بوجود
العيان والربانية يخرج منه الهم وجل علل الروحانية على وج
ود الهموم والأحزان لمن لم يبلغ هذا المحل إذا لم يجد
على بعد من نفسه جوابح جزيلة لا ينبغي أن تستحقر من قبل
أنها موجبة لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الطمع والبعد
والبهج بالدنيا ثم هي عبارات إن كانت في الأمور الدنيوية ود
رجات إن كانت في الأمور الأخروية والهم متعلق بما يكون في الحال
يتعلق بما كان في الماضي وقال الشيخ رضي الله عنه من تمام النعمة
عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك
وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان
منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما في ذلك

من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية اما مصالح الدين
فعدم الزيادة على الكفاية مظاهر اذ لو وجد زائدا بها اوجب له
ذلك طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
فالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الى
الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة
ابن حاطب حين طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه الله
ومالا الى امره امر مشهور وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير
الذكر الخفي وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما
طلعت شمس ولا غربت الا بجنبيها ملكان يناديان ايها الناس
هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى واما مصالح الد
نيا فذلك في سياسة النفس عليها في قول المولف رحمه الله فيقل
ما يفرح به ويقل ما يحزن عليه واما مصالح الاخرة فعند وجود ال
كفاية وعدم الفضل منها من اجل تفرغه بذلك الى الاشتغال
بعبادة طاعة الله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بحصول العبد
قال الله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا والنصيب نصيبك من الاخرة ان تنوط البدن
بما اتاك الله من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر

لا يحتاج

لا يحتاج الى تنبيه عليه لانه بذلك يحصل له ضيق العيش وراحة
القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسالة عند وجود الحاجة
والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة وان
يقنع بما اتاح له من هذه النعمة الجسيمة فيستفيد بذلك
راحة نفسه ولما استغنى عن ابناء جنسه ويحصل له بذلك فلاح
الزهد في الامور العاجلة وفراغ القلب عن زهرتها فان طلب
الزيادة من الدنيا ولم يرض بما قسم الله منها خيف عليه ان يقتحم
المهالك اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك قال بعض العارفين كل من
لا يعرف قدر ما زوي عنه من الدنيا ابتلي باحد وجهين اما بحرص
مفقر ينقطع به عمره او رغبة في غنى تنسيه شكر ما انعم
به عليه وفي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس في الدنيا سرف الا وليا الغنى رحمه
عن اهل التقوى من المومنين والمحسنين ولقد قال الشاعر بقوله
اغنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زدت شيئا عاد ذاك الغنى فقرا
ويحكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال قلت مطر وحاطوب على
بابي شنبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنودي يبتغي ان ومن اذاق
من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عين قلبه وقال عبد الواحد بن
زيد رضي الله عنه دخلت الى بعض خراب الايلة جارية مجنونة تنطق

بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها
جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما دنوت اليها من غير ان اكلمها
قالت مرحبا بك يا عبد الواحد قلت لها رحمك الله وعجبت
من معرفتها ولم تراني قط قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ها هنا
فقلت جئت لتعظيني فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت
يا عبد الواحد ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله
حلاوة الزهد فيبقى حيران والها فان كان له عند الله تعالى
نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك
عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي
في ارضي فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بعد
الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدي
ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه من نفسك
قال ثم تركتني وولت عني فانصرفت وفي قلبي حسرة منها وفي نفسي
ان اهون ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة
مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي
رحمه الله في كتاب النصائح له عن ابي عمر رجل الشامي ثم الدمشقي
انه كان من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا وامنا الرجاء
ذهب ومر بهم وغزاتهم قال فسمعت صوتا بكثير رحمه الله تعالى في ناحية

المرج

المرج فاتبعته فوجدت رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه
فقلت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت فما هذه الحالة فقال
حالة نعمة يجب علي حمد الله عليها قال فقلت كيف ذلك وانما انت
في حصير قال ومالي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشأي
ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره
ذكره ونشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت ان
رايت يرحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر ها هنا
قال ولم فقلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس
الحصير قال ما لي فيه حاجة فراودته على ان يتبعني فابى وانصرفت
وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف بدمشق اكثر مني غنى
وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اعوذ بك من سوء ما انا فيه ف
بت لا اعلم اخواني ما اجتمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا
نحو ركابهم فيما مضى وقدموا الى دابتي فانصرفت بها الى د
مشق فقلت ما انا بصاحب دنيا فمضيت الى متجري فسالوني الغزوا
واخبرتهم بما تبوت على الرضى واتيت فلما قدمت دمشق وضع
لم يتصدق بماله فلم يزل ينفقه في سبيل الخير حتى افتقر فلم يوجد له
عندي الا يفتقدا وثمن الخبز زاد غيره ابراهيم وكان يقول بعض بن
عبد ربه المذكور والله لو ان نهرا لم يبق نهر في دمشق سال ذهبا

ما خرجت اليه ولا اخذت منه شيئا ولو قيل من صحو هذا العمود ا
لقمت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله وقال رضي الله عنه ١٨

ليفعل ما تفرح به يفعل ما تحزن عليه درء المفاسد عند العـ
اهم من جلب المصالح حكي روي الله تعالى عنه فحوال الدنيا فرضي
بذلك وقنع منها باليسير ولم ينقطع الحزن اذ كان من ما اوجبا به
كامل العقل حصول الفرح لنفسه لانه دفع عن نفسه نفيس كون
وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب
واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل شعر

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه ۞ فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله ۞ فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغتم لفقده فالفرح
به نحو المحزن وعليه ان قليلا فقليل وان كان كثيرا فكثير كما قد ان
على قدر ما يلعب بالقلب حزنه وبصعب نزع السهم مهما تمكن

حكي انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر
لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده
كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر
كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد
كنت قبل ان يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر

الفرح

القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم وليته
لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة واعظم منها نازل بكل من له علاقة
بشيء من اسباب الدنيا فانها ان لم تاخذ منه بغصب او سرقة او
حاجة نازلة فلا بد ان يوخذ هو عنها بالموت الهادم للذات
المنقص للشهوات فان كان له الف محبوب مثلا نزل به عند الموت
الف مصيبة في وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت
منه بكرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا مرفقا بالعقل
قال سهل بن عبد الله لكل عقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم
واول كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه كفى بالمرء
غافلا وهو يضيع عمره في حب الدنيا وما هانت اهلها في
المطاعم والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون
اولئك هم الغافلون اولئك هم الجاهلون وانشدوا

ابدا المرء ان دنياك بحر ۞ كم غريق قد مات منه جهلا
وسبيل النجاة فيها مبين ۞ وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وقال ابو علي الشقيق رضي الله عنه اف من اشغال الدنيا اذا اقبلت
واه من حسرتها اذا ادبرت والعاقل من لا يركن الى شيء اذا اقبل
كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وانشدوا

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ۞ فسوف لعمري عن قريب يلومها

إذا احتربت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها
وقيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا
بالعقل فقال إذا كان للأمور مميزا ولها متتبعا وعما يوجب
عليه العقل باحثا ليتميز بذلك طلب الذي هو أولى ليعمل به و
يؤثره على ما سواه فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في
كل أحواله بعد إحكام العمل بما فرض عليه وليس من صفة
العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى من صفتهم الرضا بالنقص
والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من
عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي
وذلك صفة ما هونت عليه الدنيا وكذلك لا يرى أن يشغل
نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل
له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويأتيه
سرورها وينبسط بقاؤها وذلك أن الذي يرجى من نفعه
وبقائه على العامل له حظ وما سوى ذلك زائل منزول مع
مورث التحزن مع ترك أسوأ العاقبة فيه ومحاسبة الله
عليه وكذلك صفة العاقل المتصفح للأمور بعقله والآخذ
منها بأولاها قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بذلك

بذلك وصفهم الله تعالى وأولو الألباب هم ذو العقول وإنما
وقع الثناء عليهم بها ووصفهم الله به لأخذهم بأحسن الأمور عنى
استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها
نفعا في العاجل والآجل والآخرة لذلك ندب الله عز وجل من عقل
كتابه انتهى كلام الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية الحسن
ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده من التنبيه
على كلام المؤلف فرأيت ذكره ههنا لا يخلو والله تعالى الموفق
وقال رضي الله عنه **إن أردت ألا تعزل فلا تتول ولاية
لا تدوم لك** يعني من أمثلة ما تقدم لأن الولاية مثلا لها
الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك
الولاية المؤدية لها ليلا يقع في العزل المحزون وقال أيضا
**إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات إن دعاك
إليها ظاهر نهاك عنها باطن** بدايات الأمور و
ظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه إليها لأنها رائقة
الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده إلى ما فيه
ضرره وهلاكه ونهايات الأمور وبواطنها تزهد العاقل
وتنهاه عنها لما يشهده من سماجتها وقبح باطنها
فيعتبر العاقل بذلك ويهرب منها ويسلم من شرها وفي

تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة
قال وهب بن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الرهبان ليستفيد
منه شيئا في دينه فاشتغلوا عنه بذكر الله والعكوف لا يفترون ثم التفت
في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا
رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج
كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع
إلى ربك أن يهب لك نتاج كل خير قال وكيف أعرف ذلك قال
كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء شبهها
بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل
وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع
وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وبأحلام
النائم يرى السرور في منامه فإذا استيقظ لم يجد في يده
شيئا إلا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فتدبرت
هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا
واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك
من أعرض عنها فرأيت جدي في النوم فقال أنت مني وأنا منك
قلت وبماذا ينبغي أن يكون من هو في الدنيا قال بالفكر والفكر
بالبصر والبصر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقع الراهب فقال

خزها

خزها ولا اراك خلع الا متجرد البقل حتى وقوله فكان ذلك
آخر العهد به وقال الحكيم الترمذي رضي الله عنه لم تزل
الدنيا مذمومة في الأمم الخالية عند العقلاء منهم وطالبوها
مهانون عند الحكماء الماضين فما قام داع في أمة إلا وقد
حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها ألا ترى مؤمن
آل فرعون كيف قال اتبعون أهدكم سبيل الرشاد قال إنما هذه
الحياة الدنيا متاع أي لن يصل إلى سبيل الرشاد وفي قلبه
محبة الدنيا وطلبها والحكايات والآثار في ذم الدنيا
وغرورها وشرورها أكثر من أن تحصى ولا شيء أبين في ذلك من
قول الله تعالى في حقها اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و
لهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل
غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله و
رضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وقال رضي الله عنه
إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار
تزهيدا لك فيها ورود الأغيار والأكدار في الدنيا
على العبد نعمة من الله تعالى عليه لأن ذلك يدعوه لا محالة إلى
الزهادة في الدنيا والتجافي عنها والنفور عنه وجود

الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يستقيم به الحال
والمثال لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على تقبلها انما
هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه
من شهوته ونهمته من غير نكد ولا منغص ولو تصور له
حصوله على ضد الاشياء على ما يحبه ويشتهيه لكان ينبغي له ان
يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لانها ماله
الى الفناء والى العود الى الانقضاء ولا ترتجى الوقوف ولا تستقر ولا
خير من خير لا يدوم وقـــــال الشاعر

• اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا
• ارى الدنيا على من كان فيها • تدور فلا تدوم عليه حالا

ثم هي ما نعته من سعادة الآخرة والقرب من الله عز وجل
التي هي غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين وكيف
وهو مع ما فيها لانواع المصائب والفجائع ووقوع الا
غيار والاكدار فما من احد فيها الا وتعوج الا وقامتهم في
لانهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فان نزل
به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت الخيرات عبرة وصارت
الفرحة ترحة وهذا كذا شان الدنيا ابدا فلا يبقى من وجودها
بمعمورها ولا يدوم خبرها بتر هاي كذا قصر والشاعر في قول

ارى

• ارى الباني لم يحصر الى احد • الا مات البه بعد الاحسان •
وجدوا ابطال من قال • ما قام خير كرباز مان بتقربه • اولى فيما اقل
منك وما احياه • زمن اذا العطا استرد عطاءه • واذا استفاد
بدا له فيخ فاوه • وقد كتب علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان
رضي الله عنهما انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل
سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن
اسر ما تكون فيها احذر ما تكون فيها ~~ودع عنك همومها~~
~~لما تيقنت~~ فان صاحبها احذر ما تكون كلما اطمأن فيها الى
سرور اشخصه منها الى مكروه وقد قال بعض البلغاء دار
الدنيا كاحلام المنام وسرورها كظل الغمام واحداثها
كصوائب السهام وشهواتها كمشوب السمام وفتنتها
كامواج الطوام وقـــــال ابو العتاهية •

• هي الدار دار الاذى والقذى • ودار الفناء ودار الغير
• فلو نلتها بحذافيرها • لمت ولم تقض منها الوطر
• ايا من يؤمل طول الخلود • وطول الحياة عليه ضرر
• اذا ما كبرت وبان الشباب • فلا خير في العيش بعد الكبر

وانشد ابو منصور الثعالبي رحمه الله تعالى في ذم الدنيا:

قنع عن الدنيا فلا يغبط بحسنها . ولا يتغصص فقالة من تنزلج
بليس بريع من جودة ابتغاء وهاء . وبذكر وهذه اما تاملت راجح
ولقد قال جميع الواصفون واكثروا . وعشق لها صب العمري طامح
سلاب فطار وهاد عاق ومركب شقي اذا استلذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح
فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه اي تمكين لم
يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة اذ ذاك جمع بين
خبيثين وخسارتين وباتيه المونة وهو جمع البحرين من منافع
الدارين وذلك هو الخسران المبين قال ابو هاشم الزاهد رضي
الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به
دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة
بالله من الدنيا مستوحشون والى الاخرة مشتاقون وقيل ان
اوحى الله الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي وترفهي و
توسعي على اعدائي تضيقي على اوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتو
سعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري وقال ه
علم انك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها
ما يسهل عليك وجود فراقها النصح المجرد لا يقبله
الا من لم يتحكم فيه حب العاجلة ولا نفر بلذات الفانية

وكان

١٩٩

وكان لحرم الطبع سهل القياد واما من رسخت فيه تلك الخبا
ئث وتمكنت من باطنه وكان لئيم الشيمة صعب الانقياد فلا
بد من قصد دعوته وارشاده من زيادة على النصح والوعظ
وهو وجود ما يقهره او يجبره ولا يتم ذلك الا باذاقة ما
يضاد فقدر النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسل الوهاب
بحكمه وقدرته وحسن صنعه به وقد تقدم هذا المعنى عند
قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل
الامتحان وقال الشارح رضي الله عنه **العلم النافع الذي ينبسط**
في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه العلم
النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية
التعبد له والتادب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط
في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للاسلام وينكشف
عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة
داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت
قال الشيخ ابو محمد رضي الله عنه العلم النافع هو الذي قد
تمكن في الصدر وتصور ذلك ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت
الامور حسنها وسيئها ووقع بذلك في العبد رجوعه
من الامور جميلة حسنها ويجتنب سيئها فذلك

العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلائق الى الاحد وهي
علامة الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك اللسان انما هو
حجة فقد استودع الحفظة والشهود حجة الله عليه فقد احاطت
به واذا دعيت بظلمة هاضوبه وقال ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد
في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من النار
والرجاء وآفات النفس ومكايدها وهو النور المشار اليه
انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء و علم اللسان لتقول الـ
العقول وقال مالك بن انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الـ
الروايات وانما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى
وانما منفعة العلم ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه
وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد
رضي الله عنه العلم ان تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة
مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علوم الصوفية
وهي معرفة الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه هي
العلوم التي ينبغي ان يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع منها
بكثير ولا قليل وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا

على

على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم لا يحتاج اليه
اليها وربما اضر بصاحبه مدا ومنه عليها وقد استعاذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور عن علم لا
ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة في بيان العلم النافع
فقال **خير علم ما كانت الخشية معه** خير العلوم ما يثمر
وجود الخشية لله تعالى لان الله عز وجل اثنى على العلماء بذلك
فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء وكل علم
لا خشية معه لا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة
قال الربيع بن انس رحمه الله تعالى في قوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء قال من لم يخش الله ليس بعالم الا ترى ان
داود عليه السلام قال ذلك بانك جعلت العلم خشيتك
والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يومن
بك قلت وتطابق المتن فيشاهد العلم الذي هو مطلوب
الله الخشية له وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم من
تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لابنائها وصرف الهمة
الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهات والاستكثار
وطول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه
من ان يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث

الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ومثل من
هذه الاوصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على
غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي من بعضنا وبعضهم
حجة عليه وسببا لتلقي العقوبات لديه انتهى وكان سهل
ابن عبد الله رضي الله عنه يقول لا تنقطعوا امرا من الدنيا والدين
الا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى فمن لم يكن
منهم من العلماء فقال الله تعالى ويبتغون الحياة الدنيا على الدنيا
ويؤثرون الله عز وجل على انفسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في صفته وقتا وفي امره الخبر يخشون الله تعالى
وقال الواسطي رضي الله عنه ارحم الناس من العلماء لخشيتهم من
الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال في المتفق
في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله له برزقه وان العلم
حيث ما تقرر في الكتاب العزيز وفي السنة انما
المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة
قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان العلم
تلازم الخشية وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية
وكذلك قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم وان الخشوع في العلم
وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه

ان

ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء و
رثة الانبياء وقوله تعالى هنا طالب العلم تكفل الله له برزقه انما
المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى
القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل على غير هذا وقد بيناه في
غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة
الله تعالى ويلزم المخافة من الله والوقوف على حدود الله و
هو العلم بمعرفة الله ويشمل العلم النافع العلم بالله وبما
امر الله به اذا كان تعلمه لله انتهى وهو تفعيل المعنى والحاد
على جهة دعوى التعلم والتعليم له عند قوله اذا التبس عليك
امران وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه كل علم لا
يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة
عليهم والحمل على حسن معاملة الله ودوام مراقبته و
طلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة وقلة العز الا
النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو
الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بالله
من العلم الذي لا ينفع ووصف الله تعالى عباده بالخشية فقال
انما يخشى الله من عباده العلماء وقال للمتبع ابهى العالم

فقال اهلكت العالم من يخشا الله تعالى وقال بعض السلف من
ازداد علما فليزدد وجعا وقال رجل للجنيد رضي الله عنه اي
العلم انفع فقال ما يدلك على الله ويبعدك عن نفسه قال والعلم
النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية
السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا و
عن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابواب اربابها وترك ما فيها
على من فيها من اهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم و
مجالسة الفقراء وتعظيم اولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه
فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاف
بغفلة عن الاخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر
بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال الفضيل بن عياض رضي
الله عنه العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فاذا كان
الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى يبرئ غيره فاذا وفق الله
العالم من العلماء لان ينقطع الى الله تعالى وعلم الامور والاعراض
عن الدنيا وما فيها ومن فيها فاول ما يلزمه ان يعرف نعم الله
عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا وافتقارا

ويعلم

ويعلم انه مجبول على ذلك وان ذلك توفيق من الله لا بمجاهدته منه
فان مجاهدته ايضا ومع ذلك منة لله من الله عليه بزيادة توفيق
فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما لتدابير احكام
الظاهرة واحوال الباطنة يهتدي بنوره كل من صحبه وبه
ينتفع بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله على عباده ويرتفع به
بلاده ومن قاده علمه الى طلب الدنيا والعلو فيها وطلب الريا
سة واستتباع الخلق فهو العالم الذي هو غير النافع وهو
العالم المفتون ولا حسرة اعظم من ان يهلك العالم بما يرجو به
نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهى ثم عبر المؤلف رحمه الله
بعبارة اخرى عن معنى ما تقدم فقال **العلم ان قارنته الخشية
فلك والا فعليك** العلم الذي تلازمه الخشية لك لانك
تنتفع به في دنياك واخرتك وليس ذلك الا ما اخذ به ود
العلم الذي لا خشية فيه عليك لانك تستضر به في دنياك
وهذا الفرق فيه بين علماء الاخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماء
الاخرة موصوفون بالخشية والاهبة وعلماء الدنيا مو
سومون بالامن والغرة وقد بين علماؤنا رضي الله عنهم حال
الفريقين واوضحوا امرهم بالنعوت والعلامات وكل الواجب
ذلك التفصيل لما شاهدوا من انتشار الفساد في الارض بسبب

جدول الناس بالعلم النافع أي شيء هو مع ارادة الشبكة في ذلك
واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والآثار فعليه
بالنظر في كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي
رضي الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا انكر البدن المريض لم
يمنعه ان يكون صحيحا واذا انكر البدن الضعيف لم يمنعه ان يكون غنيا
وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه العالم فكيف
لو ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه قد
ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى لكن
لا يرجى حصول ذلك الا لمن حسنت فيه نيته وصحت نيته في ذلك
وان يكون غرضه فيه طلب مرضات الله عز وجل واستعماله فيما
ينفع عنده وابتغاء الخروج عن ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه
هي النية الصحيحة التي ترجى فضيلتها آجلا وتجتنى ثمرتها
في طاعة الله عاجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم
لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع
شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضي الله عنه كان الرجل اذا طلب
العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه
وصلاته وبعده وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من
ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت

له

٢٠٣ له فيضعها في الاخرة وليأتين على الناس زمان يشتبه
فيه الحق بالباطل فاذا كان ذلك لم ينفعهم فيه الا دعاء كدعاء ال
الغريق وقال سفيان الثوري رضي الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى
به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا
المقصد وقصد ثانية طالبه بان يستشفع به التوصل الى منازل
دنياوية من مال او جاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا
مبينا من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه من تعلم علما
لا يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف
الجنة يوم القيامة يعني ريحها وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله
ما طلب احد هذا العلم الا كان حظه منه ما اراده به وقال
الحسن عقوبة العالم موت القلب فقيل له وما موت القلب قال
طلب الدنيا بعمل الآخرة فان انضاف الى هذا الغرض ان يتصدى به
الى نيل الاعمال السلطانية كائنة ما كانت او يتوصل به الى اك
اكتساب مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى
وسخطه وباء باثمه وإثم المقتدي به وكان الجهل له اذ ذاك
خيرا له من العلم واجمع عافية قال ابو عمرو بن عبد البر رضي الله عنه

وروينا عن الأوزاعي رضي الله عنه قال شكت النواويس إلى الله
عز وجل ما تجد من نتن جيفة الكفار فأوحى الله تعالى إليها
لبطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه. قال وروينا عن الفضيل
ابن عياض وسعيد بن العراث قال بلغنا أن الفسقة من العلماء
ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. قال
الفضيل بن عياض إن من علم ليس كمن لا يعلم. قلت والغالب على
طلبة العلم في هذه الأعصار هذا الوصف المذموم لأن حب الدنيا
قد استولى عليهم واستحوذ الحرص على التقدم والترؤس
قد ملكهم فأصمهم وأعماهم ولذلك أمارات وعلامات لا تخفى
ولا تخفى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج
في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود
الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب
يقول الله تبارك وتعالى أبي يغترون أم علي يجترئون فبي حلفت
لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه أبو
هريرة رضي الله عنه وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى في بعض الكتب أو أوحى
الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون
لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك

الكباش

الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل
وقلوبهم أمر من الصبر أبي يخادعون وبي يستهزئون فلأتيحن
لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الأخبار المروية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن
إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه قلوبهم خربة من الهدى و
مساجدهم عامرة من البدن هم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم
منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود واعلم أن العلم النافع المتفق
عليه فيما سلف وخلف إنما هو العلم الذي يؤدي صاحبه إلى
الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق
الأبرار وتوافق الأمور والأعمال إلى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا
والزهد فيها وإيثار الآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة
فيه والحرص على التفكر للأسباب الباعثة له على الاستقامة
ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى فيراعيه حفظا وطلبا
ومعرفة الأسباب العائدة إلى ذلك فيوسعها ربطا وهي
إلى غير ذلك من الصفات العلية والمناصب السنية فهذا
كله يحصل فوائد العلم وثمراته الدنيوية والأخروية فإن خلي
طالب العلم عنها أو عن بعضها فإن كان ما يطلبه علما حقيقيا
كان حجة عليه وإن كان تمويها كان وبالا عليه والعياذ بالله

من ذلك قال في الكتاب المذكور بما عند الخامل من طلبة العلم من
قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله وليس في قول هذا القا
يل ما يستروح إليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة وإنما أخبر
هذا القائل عن أمر منّ به عليه وفتنة سلّمه الله منها لا يلزم
أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض من مرض المعا
أعيى علاجه وطال عليه خلقه فأخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه
ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقتله فخرج منه فهذا لا
يستصوب العقلاء فعله وإن نجحت عاقبته وليست سلامة
العواقب رافعة للعتب عن الملقي بنفسه إلى التهلكة وليس
المغرور بمحمود وإن سلم وقال في موضع آخر ولا ينبغي أن يكون
بك اتباع للباطل والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا
وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت
فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل إليه ومثل من قطع الأ
وقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم
ولا يعمل به كمثل من قعد بعدها أربعين سنة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلاة واحدة إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بال
طهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصري رضي الله عنه

عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره
الحسن فقال ويحك وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه الذي فقه عن الله
أمره ونهيه قال المؤلف سمعت شيخنا أبا العباس يقول الفقيه
من انفقأ الحجاب عن عين قلبه انتهى والرجل الذي سأل الحسن البصري
لعله فرقد السبخي والله أعلم وقد روي عنه في صفة الفقهاء كلام
آخر مما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن قال فرقد السبخي سألت
الحسن عن مسألة فأجابني عنها فقلت إن الفقهاء يخالفونك
فقال لي ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير في دينه المداوم على
عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف
عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقتفي على سنة
المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يهمز من فوقه ولا يسخر
بمن هو دونه ولا يأخذ على علم علمه الله له حطاما قلت وعلى
المعنى أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه إلا لمن توسم
فيه الخير والصلاح إذ بذلك تستقيم فيه الغايات والمقاصد
التي ذكرناها ولا يبذله لمن سوى هؤلاء ممن علم حاله أو جهله
وقال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه لو لقنك شيئا مما معك
من العلم رجوت أن ينفع الله به بعض عباده وتوجه على ذلك

فقال سفيان رضي الله لو اعلم بالخير يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما
عند الله لكنت اتيه في منزله فأحدثه بما عندي وما
ارجوا ان ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب
فقال له السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال له
اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقهه وكتمته فليلجمني به
وقال عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ
العلم ممن يفسده ويضر به اولى فصل
ومن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وقد حكي عن بعض الائمة السالفة انهم كانوا يختبرون المتعلم مدة
في اخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه من التعلم اشد
المنع وقالوا انه يستعين على مقتضى الخلق الردي بجميع علمه
والذي في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء
كزيادة الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة
وهذا كله صحيح مجرب فينبغي اذا للعالم ان لا يهمله بل يراعيه
ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح
على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه
من العلم الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم او غير ذلك فان المفا

سد

٢٠٦

المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة انفسهم التي تتعدى
منهم الى غيرهم اكثر ودرء المفاسد اهم عند العقلاء من جلب
المصالح اما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الخبيثة
واخلاقهم القبيحة بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون
بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال
والتمام فاذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم اليه وعكفوا
بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور
منهم ذلك فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وهو
لهم الفراغ من المذكور في حوازه ذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا
علما ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط
في غاية الخطر منهم لان ذلك متعلق باسباب الدنيا وهو بمنزلة
السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن
التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة
والارض اذا سبخت لم ينفعها المطر وعند ذلك تتمكن فيهم
وتتقوى صفاتهم وتظهر اثار ذلك على ظواهرهم من التكالب
على الدنيا والركون الى من هي عنده من ابنائها المغترين بها ويبقى
لهم ما يتوسلون به اليهم علمهم فيحملهم على تحصيل اقبالهم
عليهم وصرف وجوههم اليهم والاشتغال عنهم بوجوه من الحيل

ولا يسلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق مع ما يحل
بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك او بعضه حصل
لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا من الجهة
الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار
وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا
وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله
الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا
لهم تبعا واعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا نفوسهم ولم يبالوا
بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء
الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا وهانوا على الناس
انتهى ولله در القاضي حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما ، رأوا رجلا عن موقف الذل احجما ،
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ، ولكن نفس الحر تحتمل الظما ،
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ، لاخدم من لقيت الا لاخدما ،
أأغرسه عزا واجنيه ذلة ، اذا فاتباع الجهل قد كان احزما ،
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ، ولو عظموه في النفوس لعظما ،
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ، محياه بالاطماع حتى تجهما ،

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء

قبلنا

٢٠٧

قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون
الى دنيا غيرهم وكانوا اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة
في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في
علمهم لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذا النون المصري
رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا
وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا ولها طلبا
كان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا
وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى
على كثير من اهل العلم فساد الباطن والظاهر قال الشيخ
رحمه الله الى ما ذكر هؤلاء الفضلاء تجره لا زما ظلمة العلم
في هذه الازمان وليس الخبر كالعيان ثم وقوع هذه المفاسد فيهم
وتوغلهم فيها بسوء ادبهم تنعقد عليهم بعد ذلك سلوكهم
طريق الحق لما استحكم فيهم من علل فات الخلق وقد قيل
التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع عنه فكل ما كان بعد
المسافة من الحق كان الياس من الرجعة اوجب واعظم الوبال
عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لقبيح اعمالهم واعتقا
دهم انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل الثواب

فيها وانهم هم الذين حازوا الرتب الشرعية والمناقب المنيفة
التي اختص بفضلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم
من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذه الغرور لانهم لم
يسلكوا طريق ذلك ولم يستندوا الى ما هنالك فهذا هو الفساد
الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه وأما الفساد الذي
يتعدى الى غيرهم فيظهر من كل ظاهر وقد دعيك ممن ملكته
نفسه اشد ملك واستعبدته اي استعباد فعل ما يبغا عليه فيه
من الفتن او نوع من انواع الفساد الا وقع فيه اذا تمكن منه ومن
دفع ما يبعده عنهم من الفساد من غير قصد منه الى ذلك ووقوع
الاغمار او المجهلة الاغمار بمشاهدة حالهم بانهم بمشاهدة ووقع
فقد حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه وينبو هو منها لما اقترب
الاغترار بما جادوه واستجادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء
بهم في طلب العلم ان كانوا ممن كان فيه قابلية لذلك فيقعوا
فيما وقعوا فيه من انواع المهالك ايوديهم ذلك الى محبتهم
وموالاتهم واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم
في اوامرهم ونواهيهم ويخرج بهم استحسان حالهم الى العادة
الدين وهو مسارقة طباعهم الدنيئة واخلاقهم الردية
ان يكون من العامة قابلة لذلك ومهيأة له بمنزلة الهيولى

ثم شرع

ثم شرع فيه اختلاف ارباب منازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يتبدل
في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا و
الترغيب في الاخرة وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة
والتخلق باخلاق الابرار والاسلاف وشدة الحذر من ارتكاب
المناهي والاثام ثم يتحول ذلك بهم الى الشره الجمع والجاه ونحو
بهم المكر البغي والعياذ بالله من ذلك ويكون رجال جميع ذلك راجع
الى المتعلم لبعض اسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك حيث
قال: وهل افسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا * ولم تغل في البيع اثمانها
لقد رتع القوم في جيفة * يبين لذي العقل انتانها
وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاتين بيضاوين
فوضع احداهما في كفه ثم قال ان هذا الخير قد استضاء اضاءة هذه ثم اخذ
هذه ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها
ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون الخير دفنا كهذه
كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم
حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود
هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد
اليقين منها وانكساف انوار الايمان فيها واعلامهم من

حقائق ذلك وعدم احتظائهم بشيء منه فصاروا بذلك مأمورين
للهواهم منقادين لأغراضهم وآرائهم فعميت بذلك نيا
تهم ومقاصدهم والأعمال بالنيات فإذا كانت النيات صالحات
كانت الأعمال صالحة وترتب عليها آثار صالحة والعطف من ذلك
على القلوب من يد إشراق وحمد أخلاق يوجب له ذلك وجود القرب
من الله تعالى ونيل درجة الحب منه وإذا كانت النيات فاسدة
كانت الأعمال أيضا فاسدة وترتب عليها آثار فاسدة والعطف
من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضي البعد
من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الأعمال
معرض للصحة والاعتلال وليت شعري هؤلاء الذين استغرقوا
أعمارهم في طلب العلم والأثر وأتعبوا أنفسهم بالدراسة و
التكرار وقطعوا أيامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمت إن
أنفسهم بغير أوطانهم وذاتهم والبعد عن جميع مألوفاتها هل
بعثهم على ذلك باعث الخير أو باعث الهوى ولا شك أن باعث
الخير غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب
البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور منهم ذلك وهم لم يعلموا
على تكاليفهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبوا
طنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وإن ادعوا أنهم على أحوال الصحب

عليهم

٢٠٩

عليهم فيها ثم يحتاجون إلى تعرفه والقيام به فهم يحدون ويعدون من
أبر لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استعدادته ولا
عناية لهم بذلك أيضا وإذا كان يتصور منهم باعث الخير لفوت
أغراضهم كلها عليهم ووصلوا إلى ما لا يمكنهم الوصول إليه من
شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من أسباب الدنيا ثم يرجعون من
بعد من أوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ويتلقون إلى طلب العلم
عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبه ويدعوه فراغه من اشتغال
دنياه إلى قطع ذلك باللهو واللعب أو ارتكاب معصية أو ذنب
لا البطالة التي تكون فيه استراحة للنفس واستجمام للعقل والحس
في هذا الحال فيدعي باعث الخير من أمثال هؤلاء وأما الحال التي
وصفنا فلا يتصور عليها باعث إلا الدنيا المجردة المجاورة للحد
في الحرص والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا على
غاية ملاذها فإنه يحمل نفسه ما يوصله إلى ذلك وإن كان فيه هلاكه
فتراه يرتكب الأخطار ويخوض لجاج البحار ويجوب البراري و
القفار ويهون عليه في جنب ما يحمله كل مشقة تصيبه وبلية
تنزل به ولو لم يفعل هذه الحيل إلا على سداد موقوف اقتصار
على البلغ والعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصوروا
في قلوبهم الحصول على طلبات أغراضهم من اتساع أموالهم

وجاهدهم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم
لم يبلغوا ذلك ان بلغوه بالاجتهاد ولا اقتفوا على بعضه وهذا
كله من امور الغيب لا اشكال فيه عند من له ادنى تمييز وفهم وليس
المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه هنا اوله
عليهم كيف وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في
الاحايين عند من يخفي قلوبهم بعض ظلمة تنبهوا وتزحزح عنه عنهم
غم انتهى اما تذكير من تذكر من الخلفاء ووعظ واعظ في قلوبهم
من قبل الحق ثم يرجعون به سائرا وفاتهم الى ما الفوا من عاداتهم
ومعتاداتهم وانما المانع اهم من ذلك انفراد الله تعالى بالمشيئة
والقدرة واستئثاره بالخذلان والتوفيق فاذا اراد الله ان يخذل
عبدا او عباده لم ينجع فيه عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وفي مثل هذا
الموطن تبطل احكام الاسباب وتتحقق ارباب الحقائق العقلية
والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر بما ذكرناه اولو
ارباب الابصار وليسلموا احكام الظواهر الفهوم لعلهم بذلك
يعتقدون الى منهج المحققين من غيرهم من سوء الظن
مصائب قوم عند قوم فوائد ولينظر العبد المومن اذا
نظر اليهم واعتبر ما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي

عافاني

عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن
٢١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني
مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلا
عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه
الساعي في عقله وحده ان العامل على تصحيح اعماله وهممه ان
المشفق على دينه الذي هو منوط بلحمه ودمه ان يتامل هذا
المقاصد ويتفحص بها عما توهمه من المصالح الناشئة عن تعلمه
بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدقق في اكثر المسائل التي
لا تختلج اليه ولا يقدح على التعليل في هذه الازمنة ذوات
العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد
ولا تجويز وقوع فكلما دخله ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه
خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رايت سفيان الثوري
حزينا فسالته عن ذلك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا
ابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا عرف
وحمل عنا جعل عاملا او حاجبا او قهرمانا او جابيا فيقولون
حدثنا سفيان الثوري وعليه ان يحرص ايضا على مخالفة نفسه
فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل ما تستحليه النفس وتوافق
غرضها محفوف بالآفات والعلل التي تقدح في الاخلاص

واخلاص الاعمال مشروط بوجود القبول وعند ذلك يذهب عمله
بالكلية ولا يبالي بسعيه كالبلا وقد تقدم من كلام علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اهتماما منكم بالعمل عند قوله
ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب وقد
تقدم ايضا الكلام على اتهام النفس في ادعائها الى ما كان من
خبر عند قوله اذا التبس عليك امران ولم تعلم الخير في ذلك
من بشر بن الحارث رضي الله عنه كان يقول انا اشتهي ولو ذهب عني
شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث انه
سمع ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه قال كان
يقول ان كنتم من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل انتم منتهون فلما سمع منه قال انتهينا انتهينا
ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل على العبادة وروي ايضا
مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من هذا
الحديث بهذه المثابة عن امام الحديث ثم في زمانهما
مع ما فيه من الفوائد الاخروية فما ظنك بغيره من محدثات
العلوم ومستحدثات زماننا ولقد ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر
ابن عبد البر رضي الله عنه باسناده الى عبد الله بن مسلمة
القعنبي رضي الله عنه قال دخلت على مالك فوجدته باكيا فسلمت

عليه

عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي فقلت له يا ابا عبد الله
ما الذي ابكاك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني
جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط
مني ما فرط من هذا الراي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما
سبقت اليه قال بعضهم فما كان هذا فيما اخذ فيه من المسائل المفرعة الم
المبنية على اصول صحيحة ملفقة فما الظن بما انتشر بعده من الهذيان
الذي يجري بحكم العادة واقتضاء العصبية وتداولوا الناس على
الضلال وتقليد الرؤساء الجهال فيا فوزاه ومن لنا مستغيثا
فعلى كل واحد من العالم والمتعلم ان يشتغل بما هو اهم عليه
فما هو مامور به ومسؤول عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه
وقلبه فله في ذلك شغل شاغل عما لا يعرف همه ويقسي قلبه
وينسيه ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب ذكر طالب العلم عند
مالك بن انس ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمه
من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن
عليه شيئا وكان الثوري يقول لاهل العلم للفقه في طلب هذا
ليس من زاد الاخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت
ولكنه علة يتشاغل به الرجل ولولا ان للشيطان فيه نصيبا ما
ازدحم عليه يعني العلم فعلى هذا فتحنا ان ينتهي

هذا الموضع الذي يحتاج هذا التنبيه لينتفع به كل من سول
من الله زوال العمى عن بصيرته ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين
والمتعلمين ويتبين لك كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين
وبالله التوفيق لا إله إلا هو إذا استعجز وقال رضي الله عنه متى آلمك عدم
إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع
إلى علم الله تعالى فيك فإن كان لا يقنعك علمه فيك
فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك
بوجود الأذى منهم العبد لا ينبغي أن يكون معظم همه
إلا في مولاه فلا يفرح إلا بإقباله عليه ولا يحزن إلا لإعراضه عنه
ولا ينظر إلى المخلوقين في إقبالهم ولا إعراضهم ولا مدحهم ولا ذمهم فإنهم لا
يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله غيب
نظر الخلق إليك وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك
فمتى آلمه عدم إقبالهم عليه أو توجههم بالذم إليه فليرجع
إلى ما يثبته ويبريه فإن كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان له
في ذلك أعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا
في قلبه لما عسى أن يكون منهم من إقبال أو إعراض وإن لم يكن قانعا
ولا راضيا فمصيبته في ذلك أعظم من مصيبته أذى الناس له بل لا مصيبة
له في الحقيقة من المشتق عنده من عرف سر ذلك على ما في كلام المؤلف

إيمان. قال أبو الربيع التميمي رضي الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس
في فقال يقولون إنك مراء فقال الآن طاب العمل فقال بعض رضي
الله عنه الكتبي والله يعلم الله فلم يجب أن يدخل مع علم الله علم غيره
وقال ابن الحاج سكون القلب إلى قبول المدح لها أشد عليه
من المعاصي وقال رضي الله عنه إنما أجرى الأذى عليهم كي لا
تكون ساكنا إليهم أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك
عنه شيء. وجود أذى الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لما يصيبه
من اعتقاد منه الملاطفة والإكرام والمبرة والاحترام لأن في
ذلك يعتمد عدم السكون إليهم وترك الاعتماد عليهم وقصده
إياهم بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي أبو
الحسن آذاني إنسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت
فإذا يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائه ثم لا يبالي بهم
وقال بعض العارفين القبضة من الله وسوط الله يضرب به القلوب
إذا ساكنت غيره لولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو
حجاب عن الله عز وجل وقال سيدي أبو محمد عبد السلام شيخ سيدي
أبي الحسن رضي الله عنهما في دعائه اللهم إن قوما سألوك أن
تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم
إني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك وقال

ابو الحسن النوري والنيسابوري رضي الله عنه الانس بالخلق وحشة
والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم
وهن والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا انسه به وبذكره
وتوكله عليه وطهر سره عن النظر اليهم وكذا هم عن الاعتماد عليهم
وقد قال ان هذا في حق المطالع الكبير تقي بالله تعالى
واهل الصفا في حق الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز
وجل فقال في لطايف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدا
بدايتهم ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم
المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد
ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد
استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اسدى
اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص
القلب من رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق تعالى وقال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما
تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك
في بدنك ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو
تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم
عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا افتتنوا

قال

٢١٣

قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبدا امرهم سنة الله في
احبابه واصفيائه وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اللهم ان
القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد
حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطايف
رحمتك وكل عز يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار
محبتك قال ومما يدلك على ان هذه السنة الله في احبابه واصفيائه
قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله حتى اذا استيأس الرسل الاية و
قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الاية وقوله اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالة على هذا الا
اعني ما ندعي ولذلك من استقرى حالا او تشاكل مقاما في سنة الله
تعالى مع اوليائه تشويش الخلق عليهم وفيه سر غيرته على قلوبهم
لئلا تنال لغيره ولئلا تنتفع بسواه قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه من المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء
ما يلقى فيك من تقريبك وكانه في خلال ما تنال حبك بنيل غيبي
فانه بذل الطبيعة يبعدك ويطردك وتختدع خدع خافية ومن
ادركته السعادة تحقق انه شهد بشهود جلاله وجماله باتباع شي
بالطيب احواله وما اختص به من افعاله واقواله واداء الطاعات
على وجه الاستحلاء معه وعندهم من الشهوة الخفية

وفي هذا المعنى ما ذكر عن سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
لما دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام اول ما لقيه وسأله عن حاله
قال له اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من
حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن اما شكواي من
حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الان فيه واما شكواك
من برد الرضا والتسليم فلم افهمه فقال اخاف ان تشغلني حلاو
تهما عن الله سبحانه وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
الكون حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه والوقوف عنده و
الفرح به ولذلك قال السري السقطي رضي الله عنه لو ان رجلا دخل لو ان
الى بستان فيه جميع ما خلق الله من الاشجار عليها من جميع
ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته
وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في يديها
اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله ارض و
لا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في كل
احواله الى الخالق وقيل لبعضهم من [illegible] فان عرض
على ملكه قال ليس من رجاله وان اسلم الى رضوان قال لا اهتدي اليه
وليس من رجاله وان خلف من [illegible] قال ليس ممن
بقي على بقية وقال [illegible] رضي الله عنه بينما انا ادور في جبل

لبنان

لبنان واذا خرج شاب فدا هو في السموم والرياح فلما نظر الي
ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة فقال احذر فانه غيور
لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي الله عنه الى بعض
اخوانه من اشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن
قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع
الى ما اشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على
سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه لباس الطمع
فتزداد رغبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته
عجزا وموته كمدا وميعاده اسفا ونحن نعوذ بالله من السكون الى غيره
وقال ايضا **اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا
تغفل انت عمن ناصيتك بيده** الشيطان عدو مسلط على
الانسان ومقتضى ذلك ان لا توجد منه فترة ولا غفلة على التزيين
والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس فقال لو نام لو
جدنا الراحة فاذا علمت انه لا يغفل فلا تغفل انت عمن ناصيتك
بيده وهو الله عز وجل ان تغيب عن شهودك ذلك له وتوكلك عليه
وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك
وعدوك فبذلك تنجو من سلطنته وتنجو من غائلته قال الله
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال عز من قائل

انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق
بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له وان
التوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به
كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله حبيبه ووليه حفيظه ونصيره
ولولا ما امرهم الله بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو
حتى يستعاذ بالله منه قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه قوله
ان الشيطان لكم عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب امروا بعداوة
الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا ان ذلك
ان الشيطان لكم عدو اي وانا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم
من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن هو الشيطان حتى يهاب
ولقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان
منديل هذه الدار يمسح به اقذار النفس وهو بمنزلة ال
وانواع الفساد والمعاصي البادية اذ لا ينسبها الله عز وجل هذه الا
الجلية كما قال وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى هذا من
عمل الشيطان واما ان له حولا او قوة بنفسه او ينفع فلا قال
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا اهون
عليه من ابليس لولا ان الله تعالى امرنا ان نتعوذ منه ما تعوذنا منه
ابدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما

الشيطان

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

٢١٥

الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا اليه فكفانا من دونه وقيل
لما بدا مع ابليس فقال لا ادعه من للعرب فاما ان اهملت ذلك
وغفلت عنه ولم تعبا به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك
ودخوله بالوسوسة اليك قال اهل العلم ان لكل احد من الناس
وسواسا موكلا به مستوطنا قلبه واضعا راسه او قال خرطومه
عليه فاذا اغفل العبد وسوس واذا ذكر الله خنس اي تاخر واستتر
وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان قديم وانت حديث والشيطان
بصير وانت سيئ الناحية والشيطان لا ينساك وانت لا تزول
دله من نفسك عليك عون وقيل هو من بني ادم مسكنه ومجراه
من بني ادم مجرى الدم وانت لا تقاومه الا بعون الله تعالى وقال
مالك بن دينار رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا
من عصم الله وفيه يقول القائل • ولا اراه حيث ما يراني •
• وعنه ما انسان لا يعصمه • فكيف ان لم تغث سيأتي •
وقال الشيخ المكي رضي الله عنه ان كان يراك من حيث لا تراه فان
الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابليس
لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني ادم ما دامت
الارواح فيهم فقال له ربه بعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما

استعنه وقال ايضا رضي الله عنه جعل لك عدوا ليحوشك به اليه
وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه عداوة الشيطان لك
نعمة عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها كما قلناه الا يغفل عنك
وان يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك بنفسه وخيله و
برجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف
والعجز فيقتضي ذلك الحال منك لا محالة الاستعانة عليه بمولاك القوي
المتين فيوضح منك حقيقة الالتجاء والاستنصار به والتوكل عليه
في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي ردتك الى الحق تعالى بفضل الله
وجمعتك بقلبك عليه وهذه هي غاية المقصود وكذلك حركة النفس
عليك بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جعل فيك من
الطبع والجبلة نعمة عظيمة ايضا وان كانت اعدى الاعداء لك
اذ بواسطتها يتوصلون اليك وبامدادها يعملون فيك يعود ذلك
عليك من قبل انك لا تقدر على مدافعتها وقمع هواها الممتد
بحولك وقوتك الا بمن هو اقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد
دعاك بهذه الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهمة عليه وكان
المؤلف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة
المذكورين في قول الشاعر ۝
۝ اني بليت باربع يرمينني ۝ بالنبل عن قوس لها توتير ۝

ابليس

216
۝ ابليس والدنيا والنفس والهوى ۝ يا رب انت على الخلاص قدير ۝
ويتبين في كلامه وجوه عداوتهم ووجوه الاحتراز منهم وتمم
ذلك ببيان ان تلك العداوة وان عظمت من اعظم الوسائل الى
اسنى المطالب لمن اريد به ذلك ووفق له وان تجميع ذلك في العاقبة
بعبارة مختصرة وجيزة محررة جامعة ثم ختم رحمه هذا الفصل بـ
التواضع لكمال النبل والفضل وقال ايضا رضي الله عنه
من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس
التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك تواضعا ف
انت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة اذ لو
كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا يمتنع
في العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج
الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي اثبته
العبد لنفسه لا ينفي عنه وجود التكبر بالفور وابطال معنى
التواضع ... بذلك فان التواضع تفاعل من الضعة وكثير باب
التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك كالتناوم و
التباكي والتعارج والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لا
تقتضي حقيقة الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك
والمطلوب من العبد انما هو ان يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا

فقط بان ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرى العبد
من الكبر فلا يكون له وجود البتة وقال ابن عطاء رضي الله عنه ليس المتوا
ضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع بل المتواضع
الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع وهذا البيان عام لما
ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه
لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنع
من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو شهوده لذلك ووجده
به ولذلك هو اشاره على ظاهرهم بل شهوده لذلك ووجده به مما
يقدح في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي
رضي الله عنه من وجد دون ذله في ذله فهو متعزز وفيه بقية
وهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من افعال المتواضعين
ما فعل لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع
من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان اثبته لنفسه
ورأى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له
فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه يوما
في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة
فليس له من التواضع نصيب وقال ابو سليمان رضي الله عنه لا يتوا
ضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد رضي الله عنه ما

دام

٢١٧

دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون
متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد
على قدر معرفته بنفسه وبربه وقال ابو سليمان رضي الله عنه
لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا
عليه وقال ابو نصر بن عيينة رضي الله عنه قد ابن جابر في عرفات لم اشك
لولا كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال ليتني
لم اكن سبب هلاككم ومن علامات المتخلق بهذا الخلق ان لا يغضب
اذا عيب او تنقص ولا يكره ان يذم ويقذف بالكبائر ومن
علاماته تخفيفه اثقاله ان يشتد حرصه على ان لا يكون له جاه و
قدر عند الناس ويلتزم الصدق في حاله بان لا يرى لنفسه
موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك
في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويحكى عن ابي الحسن
ابن الكرخي تلميذ استاذه الجنيد رضي الله عنهم ان رجلا دعاه ثلاث
مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره
بالمرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين
سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود
ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد
ذلك لاجبتك وقال ابو طالب رضي الله عنه وحدثت

عن بعض الصوفية انه وقف على رجل ياكل بعد بركة فقال ان كان
من شي الله تعالى فقال اجلس وكل فقال اعطني في كمي فاعطاه
في كمه فقعد مكانه ياكل فساله عن الامتناع من الجلوس معه
فقال ان حالتي مع الله تعالى الذل فكرهت ان اجاوز حدها قال
وكان فقرا بما هو بين الى الحرس فيجعل فيها ميتة
ومن اغرب ما رايت في التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف
المعارف قال رايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه
في سفره الى الشام وقد بعث بعض ابناء الدنيا طعاما على
رؤوس اسارى من الافرنج في قيودهم فلما مدت السفرة
والاسارى ينتظرون الاواني حتى تفرغ فقال للخادم احضر
الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وان
فقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته
ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم واكل واكلوا
وظهر لنا في وجهه ما نزل باطنه من التواضع لله تعالى والا
نكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه
وعمله واغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب
ونبيه الراغب ابو الحسين علي بن عثمان بن عمر القرطبي رحمه
الله عن ابيه ان رسول الشيخ العفيف ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن

ان

٢١٨

اربعين وكان من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشي في يوم شتاء
كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق الذي كان عليه
واتيته قد لصق بالحائط وعمل الكلب لم يتقا ووقف بين شيخه
لعجوز وحينئذ يمشي فلم يزل منه الكلب فلما اتيته قد ترك
مكانه الذي كان فيه وزال الشيخ وترك الكلب يمشي فوقه
قال فلما جاز له الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة
فقلت له يا سيدي اني رايتك صنعت الان شيئا استغربته
كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع
النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تفكرت وقلت لم
ترفعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع من الكلب بل هو
والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى كثير
الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي
عليه وانا الان خائف من المقت من الله الا العفو عني لاني ترفعت
على من هو خير مني وقال ابن عطاء رضي الله عنه التواضع
الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي
صفته شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي يوجب
للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يحول
النفس ويذيبها ويكمل التنزيه فما تجلى الله لشيء الا خضع

له فلا تنقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر الا به لا لما يتكلفه
العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال او احوال قال الجنيد رضي
الله عنه التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد
ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد
لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه
نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى
سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها
حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع الا ينظر الى نفسه
دون الله وفي كتاب عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند
ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر
والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو اثارها و
سكون وهجها وغبار رهجها وقال ابن عطاء رضي الله عنه لا يخرجك
عن الوصف الا شهود الوصف هذه عبارة مليحة موافقة
لمعنى ما تقدم الا ان الوصف المذكور اولا وصف العبد
والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تعالى وقال رضي الله عنه
المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه
شاكرا

شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا
شكر النفس نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة وذلك
ثناء عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظوظها واعتقاد
ان لها حقا على ما تفعله من الطاعة وهو مضاد للقيام بحقوق
الله تعالى فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في نسبة شيء
من المحاسن اليها وفي طلب حظ عليه لها بل يشغله الثناء على
الله تعالى والحرص على توفية حقوقه في جميع ذلك وقال ايضا
ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا ولا يطلب
منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له
المحبة تقتضي من المحب بكليته وجود بذله في مرضات محبوبه
من غير طلب حظ ينال منه فقدا مما يلزم وجود المحبة كما
قيل ان المحب اذا احب حبيبه : تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل
لم يرا ما فعل في ذلك غاية الحظ وموافقة رضى محبوبه ونهاية
السعادة والبغية كما قال ابو حفص عمر بن الفارض رحمه الله
ما لي سوى روحي وباذل روحه : في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتني : يا خيبة المسعى اذا لم تسعف
ولذلك قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع لمحبوبه ميسورا الا
بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقي لحظ ولنفسه ولحظه

نجساً ولا سنة ولا بينت من كان له بدله سمعة وأنشدوا

ليس يخفى به العين مني فطرته ان اذ ابتلى العاشقين دخيل

وقال ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة ان تهب كلك
لمن احببت لا يبقى لك منك شيء وقال ابو يعقوب السوسي رضي الله
عنه حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه
وقيل لبعض المحبين المحبوبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله
ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه في المحبة
فقال كلمة سمعتها من خلو لخلو عشقه في هذا البلاء قيل وما
هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي
كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني
فـ[illegible] على فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق روحي
حتى اهلك ففعلت هذا خلو لخلو وعبد لعبده فكيف بخلق الخالق
وبعبد لمعبود وكان هذا سببه بهذا الذي ذكر شأن من لوازم
المحبة الحقيقية وامارات العبودية فطلب الغرض فهو دال من
مقامه الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة بشيء قال
الشاعر من لم يكن بك فانيا عن حظه * وعن الهوى والانس بالاحباب
فكانه بين المراتب واقف * لمنال حظ او لحسن ثواب
وقال آخر وما انا بالباغي على الحب رشوة

ضعيف

٢٢٢

ضعيف هوى يرجى عليه ثواب * قال ابرهيم رقيم
من احب العوض بغض العوض الى محبوبه وقيل اوحى الله عز وجل
الى عيسى عليه السلام اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب
الدنيا والآخرة ملأته من حبي وقال بعض المحبوبين كوشفت
باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من
ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن
نظرة فعوقبت اربعين ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوق
هن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن فسجدت وغمضت
عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك
لا حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني وقد ذكر
الشيخ الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه قال قال مصبرة الخادم
خرجت في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في
الحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها وحمل على الميسرة حتى ثناها
وحمل على القلب حتى ثناها ثم انشأ يقول

احسن بمولاك سعيد ظننا * هذا الذي كنت له تمنى
تنح حوراء الجنان عنا * ما لك قاتلنا ولا قتلنا
لا لك الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما اعلنا

قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مقامه فتكالب

عليه العقد وباد العقد وتحمل الى الناس وأنشأ يقول

فقد كنت ارجو رجائي لم يخب • الا يضيع اليوم كدي ولا طلب

بأمر ملا ملك القصور بالكعب • لولاك ما طلبت ولا طاب الطلب

ثم قاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه
العدو وحمل ثانية ثم انشأ يقول

يا لعبة الخلد فيه ثم اسمعي • ما لك قاتلنا فيك وارجعي

ثم ارجعي الى الجنان واسرعي • لا تقطعي لا تقطعي لا تقطعي

فقاتل حتى قتل ولاجل ما ذكرناه من اقتضاء المحبة كلية البذل من
المحب لزم وقوع الابتلاءات والمطالبات به حتى يحصل التوفيه
بهذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يقول الله عز
وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال
لا اريد الا انت قيل له من دخل معي في هذا فلا بد له باسقاط
الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب له العدم
وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه
يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت
بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت
عليه اياه فقال لا فقال لا تطمع نفسك في المحبة فانه
لا يعطيها احدا حتى يبلوه وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم

كل

٢٢١

كل اهل المقامات يرجى ان يعفى عنهم ويسمح لهم الا من ادعى
المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بمثل الشعرة مطالبة وبكل حركة
وسكون ونظرة وخطرة لغير مع الله وقال ابراهيم بن ادهم رضي
الله عنه وكانت له مقامات من المحبة رفيعة قلت ذات يوم
يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم
قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرأيت في النوم
انه اوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسألني
ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق
قبل لقاء حبيبه ام هل يستريح المحب الى غير مشوقه قال
فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني كيف
اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني
شكر نعمائك انتهى فالمحبون في زفرات وحرقات وتطايب وملا
طفات ويحصل لهم بذلك الشوق في صفاء حبهم والوجد في مواطن
قربهم بحيث يغيبون عن غيرهم ويحجبون عنهم مخافة ان يستنزلوهم
من ذلك قلوبهم بادنى ميل او مساكنة فيوجب ذلك لهم
السقوط من مقامهم الى فتح ابغض أهل الحب وأقلوا له في
ذلك قال ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه حبابة المحب
عن الله تعالى اشد من معصية العامة وهو ان يسكن الى غير

او يبسا كن الى غير الله اذ ليس شئ سوى الله، وقيل اوحى الله الى داود
عليه السلام يا داود ان حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب
غيري، وحُكي ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام نعم العبد برخ
الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار
فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شئ، وبروى ان عابدا عبد الله في
غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها
كان يجيء عندها لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس
بصوت ذلك الطائر ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان
قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها
بشيء من عملك ابدا، وقال ابن عطاء رضي الله عنه لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السائرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها
رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك
السير الى الله تعالى قطع عقبات النفس ومحو آثارها وعوائقها
وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى تتطهر من ذلك وتحصل
لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ولولا
معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق
تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهي المسافة التي
تطويها الحسي وهي المسافة التي تطويها رحلتك والبعد المعنوي
والقطع:

والقطيعة التي تمحوها وصلتك محال في حقه تعالى البعدين لمثلية
في الاول وعدم الحدية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر بها
المؤلف رحمه الله من السير والميادين والرحلة والوصلة وجميع
معانيها السير والسلوك والذهاب والرجوع فهي عبارات
استعملها الصوفية في امور معنوية تجوزوا بها عن امور حسية
مرجع جميع ذلك الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير
وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هنا وما تقدم له ولنا
غير ما مرة من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وان مجاهدتها
بعد تركها وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله في اماتة النفس
وقيل النعمة العظمى الخروج من النفس لان النفس اعظم حجاب
بينك وبين الله، قال الشيخ ابو محمد رضي الله عنه من لم يمت لم
ير الحق، وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من
بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي واما باب
الفناء الذي يعنيه هذه الطائفة، وعن حاتم الاصم رضي الله عنه
انه قال من دخل الجنة في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع
خصال من الموت موت احمر وموت اسود وموت ابيض وموت
اخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال اذى الناس
والموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعد

بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر
ما ظهر ذلك السر على احد من خلقه الا على فرعون فقال انا ربكم
الاعلى ولها سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما
يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت
النفس تحت الثرى وصلت بالقلب الى العرش يعني بذلك اذا خا
لفتها وعارضتها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس
انما يكون بتقديم الاستغفار ودوام اللجاء والرغبة الى مولاه بان
يعينه ويقويه على اثر نفسه ويسهل طريق سلوكه وليستعمل على امر
هذا في كل حال ووقت وليجعله عمدته فيما هو سبيله وقد
تقدم من كلام المؤلف رحمه الله ما توقف مطلب انت طالبه
بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس و
انما الخروج من النفس بالله ثم ليشتغل بمراعاة حدود الشرع
والحق فيه بظاهره وباطنه والتزام آدابه ولكل عبد عمل
مخصوص ينبغي لامثاله ذلك مخصوص لا يعرف تحقيقه وذلك وذلك
يختلف باختلاف احوال الناس وحركات العبد وسكناته في
اعماله الظاهرة وخصوص همته وارادته في اعماله الباطنة
ولكل واحد من المنتسبين ينبغي ان ياخذ فيه بعزائم الامور و
يجتنب الرخص التي هي من شان العامة والجمهور حسبما
تقدم

تقدم عنه قوله من جهل المريد ان يسيء الادب فتؤخر
العقوبة عنه فيهمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر الى فعله ولا
يتوانى عنه وليتبع جميع آدابه اللازمة له وليتحر بذلك ما يكون
منه وبال اليه اذا علم باي مرتبة هو وانما اشترطنا هذا الشرط
لان المفتقد وباب الخير تعترضه يحتاج فيها الى تقديم الاولى
فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل من هذا وقدم ما تيسر
فاذا كان متبعا للهوى لا لموجب العلم وليأت ذلك بالقصد
من غير اعتراض ولا تعريج ولا غلو ولا تقصير ففي حديث عائشة
رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا
من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان افضل العمل ا
دومه وان قل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
~~عن رسول الله صلى الله~~ انه قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين
احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وان كان حراما
فليبادر الى الترك والى اجتنابه وليقطع عن نفسه جميع اسبابه
وليتحر بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل
نظر المريد فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه ويقف على حد دون
الخروج منه وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه و
يعظم حرصها عليه اكثر من اجتنابه لما فقد منه ذلك في

ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص تميل نفسه الى ما
لا تميل اليه نفس شخص اخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال
علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون
وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل
الهوى والشهوة وربما يشتد ميل نفوس اكثر الناس الى ما
يكون بسبب تناوله واستعماله مراعات نظر الخلق والجري على
عوايدهم السيئة ومن السمعة المذمومة ومجاهدة النفس
في مثل هذا عسيرة جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه والرياسة
وقبول الخلق وولاية حكم او نشر علم او غير ذلك فانها اشد
الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فيجب عليه ان
يعتني بذلك ويبالغ في تصحيح ظاهره وباطنه منه مما يتعاطاه
من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في اول الكتاب عند
قول المؤلف رحمه الله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما
لم يدفن لم يتم نتاجه ويتعين على المريد في رياضته ومجا
هدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان
في مظان وجدان شهوته ويجب عادته ولا يجري معها ولا
يتبع هواه فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وحكي
كما قيل ان السلامة من سلمى وجارتها ان لا تمر على حال بواديها

فليراقب

224

فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك
مثلا في طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق له ان يقع بصره
على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالطبع والمحبة
فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه في الحقيقة ما كان بدا مع
في سنته مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضي الله عنهم
النفس في مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليقضي
بها حاجاته وكانت دابة جموحا صعبة المراس فجاز بها
المستعير في بعض تصرفاته على باب مولاها فنزعت الى دار
سيدها لا محالة فيحتاج الى صرف عنانها فان تعاصت ضربها
بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك كرها عن الميل وقد
يكون عليه في ذلك تعب ومؤنة وسبب هذا انما هو مروره
بها على دار مولاها التي الفتها واعتادتها ولو لم يمر بها
عليه لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة فان تغافل عنها
حتى ادخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منه حتى
اراد صرفها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب
الدار كرها وربما حطم راسه في العتبة وسبب ذلك انما
هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها
فكذلك حال النفس فان النفس ان اعطيتها هواها فاغرت

11

نحو نفوسها بها ولذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الوا
جبات على المريد فإن نفسه إذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد
انقطعت عوائدها وفترت دواعيها وبعد دوامه على ذلك يحصل
لها من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ما هو
المقصود بالرياضة والمجاهدة فإن اعتراه شيء مما ذكرناه
اختل عليه حاله واحتاج من ذي قبل المجاهدة الشاقة والرياضة
الصعبة وأنى له مع ذلك تلازم مألوفاته وقد قالوا وقفة المريد ب وقفة
شر من فترته قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه والفرق
بين الوقفة والفترة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها
والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل مريد
وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء انتهى كلامه رحمه الله
فهذه آفات الأمور التي يجب أن يراعيها المريد والله ولي
التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم عن تحصيل
ما يحتاج إليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن
يرجع حاصله إلى أمر واحد وهو إخلاص التوحيد لله عز وجل
باعتقاد العبودية له وذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام
لأحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين
يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله عنه كتاب

التنوير

التنوير فلا يستعجل المريد على ذلك ولا يقصد برياضته ومجا
هدته التوصل إلى شيء من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الإ
جابات فإن ذلك فتنة وبلية قاطع عليه طريق العبودية قال
أبو عثمان المغربي رضي الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي
أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه وخاليا من جميع
الإرادات إلا رضى ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأ
سباب وإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية
وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من عمل ليجد أو ليرى
لم يفتح له بشيء حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما
يجب عليه من حقوق الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف
من دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان ووسوسه
جميع الخيالات واستملاه من الغرور والمحال ويظن أنه حصل
على حسن الحال قال ولقد خلفت الفتنة على قوم دخلوا
الخلوة بغير شيخ وحدهم وأقبلوا على ذكر من الأذكار واستمدوا
نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل
الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم
لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن
سياسة الشيخ وصدق متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ائتج تنوير القلب والى صحبة الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة
لله باخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك
من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتج صفاء في النفس ويستعان به على اكتساب علوم
رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر
من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه
الشيطان بما يكتسبه من علوم الرياضة او بما يتراءى له
من صح الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه الركون ويظن انه قد
فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا القدر من العناية
غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصود
من الخلوة بقول الصحيح الحق يريد منك الاستقامة وانت
تطلب الكرامة وقد يفتح على العباد فيشيء من خرق العادة
وصدق الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد
لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما
يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة وما يفتح من
ذلك على العباد فيصير مزيد اتباعهم والداعي لهم
الصدق والمجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق
بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة

الشرع

الشرع يصير سببا المزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته
على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام
عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن
ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الر
سول ثم يتدرج من ذلك الى التلحد وتزندق ونعوذ بالله من
الضلال وقد يلوح لاقوام ضلالات يظنونها من فوائد المشايخ
من غير حقيقة في ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو غاية
الحسن ونهاية التحقيق بمداومة العبد على مثل هذه اد
اب التي ذكرناها مشاهد التوفيق من ربه عز وجل و
تاييده له يحصل له مزيد كشف وعند ذلك ينفتح باطنه من
جميع الآفات وخبايا الصفات وتستنير سريرته بانوار
المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام ابو القاسم الق
القشيري رضي الله عنه من ظهور نوع من التحقيق بعبارات صحيحة
مليحة فقال فتلوح الحقيقة المنيرة من مولاك وفوقها او شهود
شيء منها ورود واعيتها اليها وتشوفهم تعبيرها عليهم
وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من
اختيارها وارادتها وامتحاء اثار بشريتها عنها
بالما يقلبه الرسوخ والهيبة كمل ملاحظتها ولا غيرتها انتهى

بعد ذلك هي السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس
لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بانوارهما
يهتدي كل سالك ومريد ولابد للمريد في هذه الطريق من
صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص
من هواه فليسلم نفسه اليه وليلتزم طاعته والانقياد
اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تاويل ولا تردد
بقدم فانه لا مولى لمن لا شيخ له فالشيطان شيخه وقال ابو علي الثقفي
رضي الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف
الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او
مؤدب ناصح ومن لم ياخذ ادبه من امر له او نهاه ويريه عيوب
اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات
وقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه من لم ياخذ الادب
من المتادبين افسد من يتبعه قال المولف رحمه الله في
كتابه المنن اعلم انه يكون لافتقاد ولي دلك الله عليه واطلعك
على ما اودعه من الخصوصية الالهية فتطوي عنك وجود بشريته
في وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل
الرشاد ليعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها
ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار مما سوى الله ود

بما يرد

٢٢٧

وبما يرد في طريقك حتى يوصلك الى الله يوقفك على اساءة
نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة ان
اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك
العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر
اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه فان قلت
فاين من هذا وصفه لقد دللتني على عنقاء مغرب فاعلم انه
لا يعوزك وجدان الولي وانما يعوزك وجدان الصدق
قال الله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك
الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لو
جدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت
الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت
الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير
متعذر عليك ولتوجه الحق لتيسير ذلك عليك
انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه على ان الشيخ من
منح الله وهداياه للعبد المريد اذا صدق في
ارادته ووجد في طلبه مولاه جهد استطاعته
لا على ما يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله

سوء استعمال الأدب معه لما استبعده من علا مرتبته ورفيع حرمته
قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك با
لتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك
في مغيبه وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن وليس شيخك
من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من
واجهتك عبارته إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته وليس
شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب
وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك الذي نهض بك حاله
شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك
ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار قلبك نهض بك
إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال محاذيا لك
حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك
انتهى وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذ
كورة في كتب أئمة الصوفية رضي الله عنهم ومن أبلغ ذلك وأوجزه
ما ذكره الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه قال من شرط المريد
ألا يتنعم نعما إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نعم من أد
جهل فيعيش في غيبة من غير ما حببه من لعا ومخالفة الشيوخ فيه
يستشعرونه منهم أشد مما يكابدونه بالهجر والنزلان

هذا

٢٢٨

هذا التخلق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فإن
بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل
منه من المخالفة والخيانة ليسهل على شيخه الذي ما فيه كفارة جرمه
ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فإذا رجع المريد إلى شيخه وجب
على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على شيوخهم
فرض عليهم أن يتعففوا من قوت أحوالهم ما يكون جبرانا لتقصير
هم انتهى وقال الشيخ العارف محي الدين أبو العباس البوني رحمه
الله وإياك أن تخفي حالا يخطر لك إلا أن تلقيه للشيخ طاعة كان
أو معصية على أي نوع برز لك ولو اختلف عليك ألف مرة في
الساعة اختلف إليه إلا ما عز به الخاطر ليعلم كيف الدواء الذي
تزيله به أو يحيل عنك بهمته قال ولقد رأيت تلميذا من أصحاب
شيخنا الإمام تاج العارفين أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القر
شي المهدوي رضي الله عنه وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي
يده باقلات فقال يا سيدي إني وجدت لهذه الباقلات جملة
أصنع بها فقال له اتركها حتى تعلو عليها فقلت له يا سيدي
متى الباقلات يعلو عليها فقال يا ولدي من خالف الحكمة يخاف أنه
لا يفلح أبدا فإذا حوطت النفس بهذا الجهاد هذبت وفي
تلك هذه المقالات رجعت عن جميع ما لوقانه الدنيئة

وعادت تقصد الرجعية وزال عنها الشعور بالاستكبار ودانت لمو
لاحكام العبودية والافتقار وتركت اهوالها وصحت احوالها
وهي هذه خاصيتها التي خلقت لاجلها ومن مقتضاها الا ان نزعت
من قبلها وانما البعث هذه المرض اطا بيعها من الركون الى هذا العالم
الادنى والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها
ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها واذا
دندنها فلما انعالجت بما ذكرناه عادت الى الفطرة والطبع
الاصلي فالبعث العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمينة
فالحق لا يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال الشيخ
العارف ابو محمد عبد الحق بن المسعود رض الله عنه النفس الـ
المطمينة هي التي تخلصت من السوى ولم يبق بينها وبين
السوى نسبة وكانت فيما ذهبت في الاكتساب الا بماله والـ
الرضا المكتسبا فلما صفت وتطهرت من جملة المخلوقات
وزوال الحجاب الذي هو صحبة الخلق سمعت النداء من مكان
قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت المواهب والرضا الوقع
الموهبي الذي قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه بدخلت
في رضا الله المطلوب الموهوب وفي عبادته وجنته التي

جنته

في جنتها بوصف كسبي وانما هي التشريف وعلامة
وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان تستوي عنده الاحوال ٢٢٩
ولا يتاثر باطنه بما يرد به من قبيح الافعال والاقوال الا
ستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال قال ابو عثمان الجريري
رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى تستوي عنده في قلبه اربعة
اشياء في المنع والعطاء والعز والذل قال محمد بن خفيف رضي
الله عنه قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت
اخدمه واخذ منه الطست طول الليل فاغفيت مرة فقال لي
نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك
الله فقال كقوله رحمك الله وحكي عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
انه قال ما سررت في الاسلام الا مرات معدودات كنت في مركب
يوما وكان فيه رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس
وكان يقول رايت وقتا في معركة الترك علجا فعلقت هكذا
وكان ياخذ بلحيتي ويمر بيده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه
ولم يكن في ذلك المركب عنده اصغر مني ولا احقر فسررت بذلك
ويوما اخر كنت في المسجد نائما فصعقني من غير سبب و
يوما اخر كنت في المسجد نائما وبال علي وكان في وقت حالتي
الاهم رضي الله عنه في الفرو فيه في اصحابه وتواجههم كل

يوم بالفيح فوقع عليه جذع من السقف في بعض الايام في محل
مواجهته القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل
له هذا خلاف ما تأمر به فقال ما حمدت الله شماتة بموته
بل حمدت الله اذ لم اسمع بنكبته هذا او اشباهه من احوالهم
معلوم ضرورة والابلغ من هذا كله محبة الموت وكراهية
البقاء في الدنيا اشتوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة
زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير
اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلا
مات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه
وكان كما قال الشاعر • ذكا الدهر طوعا والانام عبيده
فيعيش كل يوم من زمانك عيد •

وقال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في مثله •
بدا لك سر طال عنك اكتتامه • ولاح صباح كنت انت ظلامه •
فانت حجاب القلب عن سر غيبه • ولولاك لم يطبع عليه ختامه •
فان غبت عنه حل فيه وطنبت • على موكب الكشف المصون خيامه •
وجاء حديث لا يمل سماعه • شهي الينا نثره ونظامه •
اذا سمعته النفس كان نعيمها • وزال عن القلب المعنى غرامه •
وانشد ـــــــ في هذا المعنى ايضا

قوله

قوله لا مالي الا ما يعجل • وقد انجز الاحباب في موعد •
فقد كنت قبل اليوم مستانسا • منك بخل مشفق مسعد •
دار نسيم الوصل من نحوهم • فهب في عندي كل ند •
وهبت لا اهتدي الى اعلامهم • فليس في فقد الى مرشد •
وان لم يجد معالج نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهدته
ولا يغتر بما يتراءى له من بعض حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل
له من تقوى نفسه شيء ولينتظر بغموض النفس فيقطع جميع
الارتباطات عنها وردها الى الاجتزاء بالحشيش والنخالة وانما
لغته في التقشف والتقلل مع قطع التفتيش عن احوال القلب
وهمته وقصوده وارادته وترك الالتفات الى ما يحصل منه
وما يذهب فان ذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا الابواب
من الناس من عملوا عليه في رياضتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا
بذلك اخلاص العبودية لربهم فاداهم ذلك الى اختلال عقولهم
واختلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على طائل وذلك
لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة وقال ايضا •
جعلك الله في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته •
ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة •
تنطوي عليك اصداف مكوناته [illegible]

تقويمه واتم تسويته وتعديله جعل بنيته متضمنة اسرار جميع
الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار
لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا ولذلك يقال له العالم
الاصغر وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط
بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة
وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه
المثابة تحت جميع الموجودات الجسمانية والروحانية
كانت الاكوان كلها له باعتبار احاطته بها وجمعه لها بمنزلة
القشر والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة
النفيسة التي تحويها تلك الصدفة والمقصود من هذا ان
يعرف الانسان جلالة قدره وعظيم امره فيعلو بهمته الى
المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لربه
عز وجل وقطع التعلق من كل ما سواه ويشير هذا المعنى الى ما
قال الشاعر • اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة ونارا وافلاكا تدور واملاكا
• وكنت من السر المصون بمرتبة • وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
• فهم التداني الحقيقي تمسكا معي مع الامر ان امامك ام الكا
وكان الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الاكوان كلها
عبيد مسخرة لك وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب

المنزلة

المنزلة يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض الاثار
الالهية عن الله تعالى يا ابن ادم خلقت الاشياء كلها من اجلك
وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عما انت له وقال
الواسطي رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم
قال بان سخر لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تسخير شيء ومن
يتفرغوا الى عبادة ربهم وقال ايضا رضي الله عنه وسعك
الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت
روحانيتك انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود
المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو
بالكفاية به وقضاء اوطارك منه ووقوف امدك في مقدار
حاجاتك عليه ولا خاصية لك في هذا ايها الانسان لان من ثبتك
اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم
المجانسة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون
وهذه هي خاصيتك التي فيها شرفك وعلوك ورفعة
قدرك فلم تهملها وتنحط منها الى اسفل مما عليه وقال
ابو عبد الله بن الجلاء رضي الله عنه من علت همته على الاكوان وصل
الى مكونها ومن وقفت همته على شيء سوى الحق فاته الحق لانه
اعز من ان يرضى معه بشريك وقيل لاحمد بن حضرويه رضي الله عنه

أي الأعمال أفضل فقال رعاية السر عن الالتفات إلى شيء سوى الحق
وقال أيضاً الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته من لازم الكون ونفى
معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له ميادين الغيوب الملكوتية
ولا غلق بسره إلى أفضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه صفة أصحاب النار
كما قال الله تعالى أحاط بهم سرادقها ولبسوا في جحيم عذاب
أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال تعالى وإذا ألقوا منها
مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحد
وما ذكرناه هو حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظها كما بينا
ما كان في بعض الآثار المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان
همك أكفك كل همك ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت
بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك. وقال أيضاً رضي الله عنه
أنت مع الأكوان ما لم تشاهد المكون فإذا شهدته
كانت الأكوان معك قلت يعني كونك مع الأكوان أو كون معك
فإن كونك مع الأكوان يقتضي تعبدك بها وحاجتك إليها فأنت
بذلك عبد لها ثم هي خاذلتك ومسلمتك أحوج ما تكون
إليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك

للمكون

للمكون وكون الأكوان معك يقتضي ملكك لها واستغناءك عنها
فأنت حينئذ حر عنها وهي محتاجة إليك وخادمة لك ومتبركة
بك حتى الجمادات والحيوانات. قال القشيري رضي الله عنه ليس يحظر دون
الكون ببال من عرف المكون انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها
شهودك المكون. قال بعض أصحاب الشيخ رضي الله عنهم إنما أدخل
الصوفي والأشياء تشتاق إليه وأنا من جملتهم وعن المزين
الكبير رضي الله عنه قال كنت مع إبراهيم الخواص في بعض أسفاره
فإذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعني وقال دعها
كل شيء مفتقر إلينا ولسنا مفتقرين إلى شيء. وقال محمد ابن المبارك
الصوري رضي الله عنه كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس
فنزلنا وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت
صوتاً من أصل الرمانة يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً
فطأطأ إبراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات فقالت يا محمد كن
شفيعاً إليه ليتناول منا شيئاً فقلت يا أبا إسحاق لقد سمعت
فقام وأخذ منها رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها
وهي تعرف الحكاية أن الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض
وأنها تطلع في كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلا ثمرها
وصارت تطلع في كل عام مرتين وكانت العباد تأتي إليها

ابن عبد الله رضي الله عنه فقد خلفهم بيننا عشرة وبضعة عشر ويطعم
القوم وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في البادية مرة فعرضت
في وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب ماء فنزلت فاذا بسبع
عظيم قد اقبل علي فاستسلمت فلما قرب مني اذا هو يعرج فجمجم بين يدي ووضع
يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فاخذت
خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده
خرقة فمضى فاذا انا به بعد ساعة ومعه شبلان تبصبصا
لي وحملا الي رغيفين وقال بعضهم اشرفت على ابراهيم رضي الله عنه وهو
يعوج بمسمار في كفه وقد اخذه النوم واذا حية في فيها طاقة
نرجس تروحه بها وحكي عن ابي اسحاق الصعلوكي رحمه الله انه
قال خرجت مرة الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما
جن علي الليل وكانت ليلة قمراء سمعت صوتا ضعيفا
يقول يا ابا اسحاق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه
واذا به شاب نحيف قد اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة
منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة — ارنت
شمشاط كنت في عز وشرف فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت
وقد اشرفت على الموت فسألت الله تعالى ان يقيض لي وليا
من اوليائه فارجو انك هو فقال فقلت الك والدان فقال

نعم

نعم واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم والى ذكرهم
فقال لا الا اليوم اردت ان اشمهم فاحتوشتني السباع
والبهائم ويبكين معي وحملن الي هذه الرياحين قال فبينما
انا في تلك الحالة اذ نزلت حية فلما اذا الحية اقبلت وفي فمها طاقة
نرجس كبيرة فقال دعها فان الله تعالى يغار على اوليائه قال فغشي
علي فما افقت حتى خرجت نفسه رحمة الله عليه ورضوانه
ثم وقع سباتا فانتبهت وانا على الجادة قال فدخلت مدينة
شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتني امراة بيدها كوز فلما
رايت اشبه بالشاب منها فلما راتني قالت يا ابا اسحاق كيف رايت
الشاب فانه انتظرك منذ ثلاث ليال قد حرمت (?) [illegible] الى
ان قلت ان اشمهم فقط (?) [illegible] الى ان بلغ الفتح النفس وخرجت
نفسه فخرج اتراب لها عليهن المرقعات والعكاكيز يكلمن
امرها وتولين شانها رضي الله عنهم اجمعين جعلنا كذا ان من
يكن عليهم الهمة بترتيب الارادة والنية لا يماكر احدا من
المخلوقات ولا يتوكل بنفسه على شيء من المصنوعات يتكفل
الله تعالى باموره ويجعل له الكون خادما له بامره رزقنا الله تعالى
مما رزقهم ونفعنا بهم ونفعهم بجوده وكرمه وقال ايضا مر
لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية اغلا

مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار وظهرت في الآفاق
وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه على ليل وجودك
وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار
ليس منك اليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية
للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري امر
ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عقلا
انقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة احكام ذلك الوصف
على العبد فقط لاجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا ال
وارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في
يده اسيرا ومثال ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار
على الاماكن المظلمة ليزيل اشراقها ظلمتها فتستنير بذلك وتتزين
فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس
بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية انه
كونه تعالى يخص اولياءه من ظهور اوصافه العلية ونعوته
القدسية عليهم ليغطي بذلك اوصاف نفوسهم الدنية الر
دية عنهم لئلا يظهر اثارها ورسومها في ... فلا تقع كما
تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه و
غطى نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على ليل وجودهم

ذهب

ذهب بظلمات نفوسهم وتغوص في عالم الوصلة والقربة من
غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك اليك ٢٣٤
وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم من
الوقوف على حدهم وكانوا في ليل الظلمة والحجبة كما كانوا
قبل ذلك والغرض من هذا الرد على طوائف غلطت في هذا
الامر وتغالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصول اليه انما
يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافهم بصفات
الربوبية بدلا منها فهذا ما عبر به المشايخ من الفناء وان
الفناء فوقعوا في ذلك في ضلال وتزندقوا والعياذ بالله في ذلك
والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى
دل بوجود آثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه
على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته
اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب
يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته
ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه ثم يردهم الى شهود
آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السا
لكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية
المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق

لهذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله المخلصون منه و
الوصول اليه بتخصيصه وذلك قسمين سالكين ومجذوبين فحيث
ان السالكين الاستدلال بالاشياء عليه وهم الذين يقولون ما رأينا
شيئا الا رأينا الله بعده والمجذوبين الاستدلال به على الاشياء
وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا الا رأينا الله قبله ولا شك أن
الدليل أبدا أظهر من المدلول فما كان أظهر للسالكين الآثار وهي
الافعال فاستدلوا بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات و
بالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من
أسفل الى أعلى وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقد
سة ثم ردوا منه الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق
بالاسماء ثم نزلوا الى شهود الآثار فكان حالهم التدلي والنزول
من أعلى الى أسفل فما بداية السالكين من شهود الآثار اليه
انتهاء المجذوبين وما بداية المجذوبين من كشف حقيقة
الذات اليه انتهاء السالكين لكن لا بمعنى واحد فان مراد
السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود
الاشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو
والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن
التي يغيب المتنزل به بتلك المنازل المذكورة لزم منه التقلد

بط

بطريقين مسيرهما السالك مترقي والمجذوب متدل وقال أيضا ر
ض لا يعلم قدر أنوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت
كما لا تظهر أنوار السماء الا في شهادة الملك أنوار القلوب
والاسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف
قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك تحصل تمام
لهذه الانوار من آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما أن أنوار
السماء المشرقة على ظواهر الاجسام لا تظهر الا في شهادة الملك
وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشياء وقال
وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود
الجزاء عليها آجلا ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في أعمالهم
لهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الانس ولذة
القرب والطيب الموصل بشائر من الله تعالى عاجلا بوجود الجزاء
عليه في الدار الآخرة بانها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على
وجود القبول آجلا وقال رضي الله عنه كيف تطلب العوض على عمل
هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق
هو مهدى به اليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه
هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم تجد لك ذلك منفعة

ولم يبق جمع عندك بسببه مزية والأعمال الدينية المطلوبة ظاهرا
وباطنا بخلاف هذه كلها إذ هي مسلوبة عنك منسوبة إلى ربك
خالقها واخترعها لأجل غاية ثمرة ذلك ومنفعته عليك في ظاهرك
وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق لا
ابتداء تنبيها على أن ذلك لم يكن إلا لمنفعتك فطلب العوض
والجزاء على عمل هذا صفته في غاية القبح ولذلك صدر المؤلف
كلامه فكيف يطلب مزيد ذلك قال الواسطي رضي الله عنه
مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسئل أبو العباس
ابن عطاء الله رضي الله عنه عن أقرب شيء إلى مقت الله فقال رؤية النفس
وأفعالها واستعمل المؤلف رحمه الله لفظ الحرفة في الأعمال
الظاهرة ولفظ التعدية في الصفة فهو على مدار الأعمال الباطنة
المنة إشعارا بتنبيه في التقرب كتنبيه الحرفة والتعدية قال

قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم
ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا

سبقية الأذكار للأنوار هو حال المريد السالك ومن ذلك الأ
شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالأذكار في حال كلفة
منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الأنوار وإلى هذا المعنى
الإشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

وسبقية

وسبقية الأنوار للأذكار هو حال المريد المجذوب وليس له نعم
مقاموح المسهولة والخفة فهم لها وجمعوا بالأنوار فجعلت
منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطائف المنن ما كيفا
من شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه قال الناس على قسمين قوم
وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة
الله قال الله سبحانه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب
قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب
الوصول إليه فصار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه إلى أن
وصل إلى حضرة ربه فهو على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله من
غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته
من يشاء فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان
مبدأه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدأه المواصلة
رد إلى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق
طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا إلى الله تعالى عاجلا
وكثيرا ما تسمع عند مراجعات المنتسبين الترجيح بين السالك
والمجذوب فإن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف ما طرق تفصيلا فوصل إليه والمجذوب
لم يعرف ذلك وهذا إنما هو من أن المجذوب لا طريق له وليس

له من كمال عموما فإن المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن
طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وإنما فاته منها عجائبها
وفوائدها والمجذوب كمن طويت له الطريق إلى مكة والسالك
كالسائر إليها على المطايا انتهى ملخصا في حال السلوك والجذب
وكلامه في ذلك حسن فإن وجد لذلك [illegible] فلذلك أوردتها
بعينه بكماله وقال المؤلف رضي الله عنه ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن
فكر أعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
والذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين هذا
المعنى بقوله أشهدك من قبل أن استشهدك فنطقت
بإلهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر
كاشف الله تعالى القلوب والأسرار في غيب الغيب بحقائق و
حدانيته وأحديته فهو معنى قوله أشهدك ذلك فعلمت
وتذكرت وبلا شك فتحققت بذلك الأحدية فلما أظهرها
في عالم الشهادة ملتبسة بالأجسام والهياكل طلب منها
الشهادة بالإلهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت
الشهادة منها لما استشهدت تبعا للشهود فلما أشهد
بالعبد من حيث سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه

بنعت

٢٣٧

بنعت الفرق ولا يحجبه نعت الظاهر بنعت وجود الجمع والفرق
وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل
وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة هو
لو تحققتك في سري فناجاك لساني فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن يكن غيبك التعظيم لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني
ذهب الجنيد رضي الله عنه إلى أن قربه بالوجد جمع وغيبته في
البشرية تفرقة وقال المؤلف رضي الله عنه أكرمك بكرامات ثلاث
جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره
عليك وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك وجعلك
مذكورا عنده فتمم نعمته عليك أكرم الله تعالى عبده المؤمن
بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد أولها كونه
ذاكرا له بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن أين له ذلك وأنى
وسبيله بأن له ذلك لولا فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذ
كورا به فيقال عبد الله ووليه وحبيبه ومختاره وذلك بما أكرمه
به من تحقيق النسبة لديه وهي إثبات الخصوصية له وقد تقدم
معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه هي
غاية الإكرام ومنتهى الفضل والإنعام قال الله تعالى ولذكر
الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد الله وفي
معناه

حديث ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقرا عليك القران قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك
قال نعم فقرا على قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون وفي حديث انس رضي الله عنه قال لما
نزلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الى اخرها قال جبريل
عليه السلام ان ربك يامرك ان تقراها ابيا فقال النبي عليه السلام
لابي ان جبريل امرني ان اقرا عليك هذه السورة قال ابي وذكرت
ثم يا رسول الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي
بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني
في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت اليه
ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي
اتيته هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد يشهدان به على
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون يذكرون
الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت
عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الاقلام يجري في اللوح
المحفوظ بذكرك لمت طربا وقال ايضا رضي الله تعالى عنه

عمر

عمر اتسعت في آماده وقلت امداده ورب عمر قليلة
في آماده كثيرة امداده الامداد الالاهية التي يمد الحق
تعالى بها عباده المومنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم ٢٣٨
الا ترى فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنقص بقصره ولا تزيد فيه
ولا تقل ولا تكثر وانما بل عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب
قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف هذا باختلاف تر
كيب خلقهم ومجبول فطرتهم ولا فضل للزمان في هذا الباب العريض
وبهذا افضلت هذه الامة على سائر الامم على قصر اعمارها ومع
طول اعمارهم قال احمد بن الحواري رضي الله عنه قلت لابي سليمان
الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال باي شيء قلت
بثمان مائة سنة كانوا حتى يصيرون كالشنان البالية وكالحنايا
وكالاوتار فقال ما ظننت الا وقد حشيت بطنك والله لا يريد منا
ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما
عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما نال ذاك في عمره وقال
من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن من منن الله
تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارات ولا تلحقه الاشارات
البركة في العمر ان يرزق العبد من اليقظة والنباهة ما يحمله على
اغتنام اوقاته وانتهاز فرصتها فكانه خشية فواته فيبادر الى

الاعمال القلبية والبدنية ويستغرق في ذلك مجهوده بالكلية
وفي اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالاهية ويشرق عليه من الانوار
الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تتسع الاشارة اليه وكل
ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيرتفع له في شهر مثلا ما يرتفع
لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر والعمل فيها لمن اراد جعلها
خير من العمل في الف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف ليلة
بمنزلة ليلة القدر وكان شيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول
اوقاتنا كلها والحمد لله ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا
تطويله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى في تاويل ما ورد في
الخبر البركة في العمر وقال ابن عطاء رضي الله عنه الخذلان كل الخذ
لان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك
ثم لا ترحل اليه من الخذلان ان تجد العوائق والشواغل عن
التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى
ذلك وترمي بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا
الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة
قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس
فان زالت شواغلك قلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه و
الرحيل

والرحيل عنه هو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه فراغ القلب من الاشتغال نعمة
عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح على نفسه باب
اللهو وعرج في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه
وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه وقال ابن عطاء رضي الله عنه
الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار الفكرة التي امر
بها العبد وحض عليها هي سير القلب في ميادين الاغيار
وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته واما الفكرة في ذات
الله تعالى فلا سبيل اليها يعتبرون المتفكرون في اياته ولا
يتفكرون في ابانة ذاته روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول
صلى الله عليه وسلم اتى قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق
فقال تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون
قدره قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه التفكر
نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من
الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم تفكر الزاهدين
في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكرة
زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا
عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الالاء والنعماء فيزدادون

للحق

محبة للخلق سبحانه وقال الجنيد رضي الله عنه اشرف المجالس
واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وفي بعض
النسخ الذكر ثم سير القلب في ميادين الاغيار ومعناه ظاهر
وقال رضي الله عنه **الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت
فلا اضاءة له** القلب الخالي من الفكرة خال من النور مظلم بوجود
الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب
شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة وقال رضي الله عنه
**الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود
وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب
الشهود والاستبصار** تقدم ان الفكرة سير القلب في ميادين
الاغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب
الاعتبار وهي فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالك
وهي حال ترقيهم وهو نعت المستدل بالاثار على المؤثر
والنزول لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة
عن الشهود والعيان وهذا للمجذوب وهو حال تدليهم وهو
وصف المستدل بالمؤثر على الاثار وقد تقدم هذا المعنى
عند ذكر المجذوب والسالك وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض
اخوانه هذا الكتاب تضمن ذكر احوال السلوك من اول ابتداء سيره

الى

الى انتهائه وحصوله في مستقره وذكر اداب السلوك والو
صول وقد اتى رحمه الله في ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واد
استعارات حسنة مليحة على كل نوع عظيمة اذا سمعها السامع
طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذاك الا لما تعلق بها
من انوار قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه
كسوة القلب الذي منه برز **اما بعوما ر البدايات مجلات
النهايات** المجلات مجال التجلي والظهور فما للسالك في ابتداء
سلوكه تتجلى له امر نهايته وقال **من كانت بالله بدايته
كانت اليه نهايته** هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله
ان تكون مجاهداته ومكابداته وانواع رياضته مصحوبة بالا
ستعانة بالله تعالى والاعتماد والانقطاع اليه فذلك يبعث له
ويعبد في توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطلب
انت طالبه بربك ومعنى كون نهايته اليه ان ينكشف له انوار
الله تعالى بالقيومية وتوحيده بالربوبية وانه هو الاول والاخر
والظاهر والباطن انكشافا يضمحل له عين ذاته وتلاشيه
وتدكدكه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية التي
ذكرناها وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى عند

قوله من كلمات الشيخ في النهايات الرجوع الى العبد البدايات
وقال ايضا والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه
والمشغول عنه هو المؤثر عليه المشتغل به لك اذ
ابتغاء المريد السالك انما هو عمله على التقرب لربك واذا
التوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي احببته
وسارعت الى اجابة دعوته فيجب عليك الا تستغل ذلك
المستغل ان تكون به قريبا غيرك والمشتغل عنه انما هو شيء
بغية حظوظك العاجلة ومراد تلك الزايلة وهو الذي
يستحق عليه الايثار اذ هو دار مقعد الحقيقة لم وله
فلتطلب عنه نفسا ولا تجعل فيه غفلا ولا حسا وهذا
الكلام تحضيض للسالك وانعاش لعقوته وانهاض لهمته
قال الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه
سمعت عني الله بن سعد القاضي يقول ما انتفعت الا
بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام في السحر فاذا رجل
يسف التراب فقلت ممسوس او مجنون ثم قلت يا هذا
لم تسف التراب قال فقال لي او تراب هو ثم قال ولي شيء قال
فصاح تشككت انه سويقا فتدانا الشك اليه قال فقلت
ولي الله وجثوت على ركبتي وقلت ادع الله لي فقال لي عرفك

الله

الله قدر ما تطلب مني بدهور عليك ها تنزل وقال ايضا
وان من ابتغى لله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم
٢٤١ ان الامور بيد الله اجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب
لربه عز وجل باقامة وظايف العبودية له وذلك بما اختصه
٢٤١ به من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك
الطلب عائد على العبد فلم البعد والعبد في طلبه واجتهاده
اذا ابتغى بذلك ولله الامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك
سعيه وكده فلم لا يتوكل عليه في ذلك فيتيح همته
ويتيسر عليه امره اذا علم ذلك فالقسم الاول قيام بمقتضى
الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة وقال ايضا قد
وانه لابد لبناء هذا الوجود ان تتقدم دعايمه
وان تسلب كرايمه ذكر بهذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته
في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الا
شياء لابد ان تزول عنه او يزول عنها ولو بعد حين وكلها
شهوات قريب لم يغتبط بما يكون منها الامر الى ذلك ويكون
طيب النفس بتركه وتقديم الدعايم وسلب الكرايم من
الاستعارات البديعة وقال ايضا ما لعاقل من كان بما
هو الفاني فرح منه بما هو باقيا فذا شرو نور و

ظهرت تباشيره بعدها فرح العبد بالأشياء الفانية هو موجب
لزيادة همه وغمه إذا فقدها قال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه من فرح بغير محبوبه فقد استجلب حزنا لا انقضاء له
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن
عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه
وإنما يكون فرحه بالأمور الباقية التي لا تفنى قبل شروق نور
ذلك في قلبه وظهور تباشيره على وجهه وإشراق النور
واضطرار الفناء تشير نتائج تحققه في مقام الزهد وقال رضي
فصدف عن هذه الدار مغضيا وأعرض عنها موليا
ولم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا يعني أن العبد
على هذا الوصف صدف عن هذه الدار الفانية أي مال عنها
مغضيا جفنه على أقذائها من غير مبالاة لذلك معرضا
عنها بوجه قلبه قد ولاها دبره من غير التفات إليها
وهذا مبالغة في نبذها واطراحها فلم يوطنها كالدار
على سبيل التمتع بها والاستقرار ولم يسكنها
لكنه على جهة الحبة بها والاعتبار بل نزلها منزلة
السجن والمضيق وطالب نفسه فيها على تحمل ما يطيق
وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الأمر

الفانية

الفانية التي هي مبغضة له قلبا وصل إلى ذلك حصل له
من طهارة قلبه وصفاء لبه ما حمله على التعلق بمولاه
الباقي الدائم فجعل فيها معبرا يعبر به إليه كما أشار له المؤلف
رحمه الله بقوله بل أنهض الهمة فيها إلى الله وسار فيها
مستعينا به في القدوم عليه يعني أنه سعى بقلبه
إلى الحضرة العلية وبدأ بإنهاض الهمة إليه والاستعانة به
في القدوم عليه وهو أساس أمره كما تقدم قال الشاعر
إذا لم يعنك الله فيما تريده • فما لك مخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك • ضللت ولو أن السماك دليل
قال أبو محمد الجريري رضي الله عنه من توهم أن عملا من أعماله
يوصله إلى مولاه الأدنى والأعلى فقد ضل عن طريقه لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي أحدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف
كيف يوصل إلى المأمول ومن صح اعتماده إلى فضل فذلك الذي
يرجى له الوصول وقال رضي الله عنه فما زالت مطية عزمه
لا يقر قرارها دائما تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس
وبساط الأنس محل المفاتحة والمواجهة والمجا
لسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت
الحضرة معششه يأوي إليها ويرد بها يسكنه

هاذه استعارات مليحة [illegible] القلوب الى حضرة
الرب وقد تقدم معنى ذلك حتى فوائد الاعتبار في النفوس مع تحقق
سير السائرين و حضرة القدس وبقاء التلفيف فيما هو فيه
حتى الرجال وبلوغ الاوطار والامال قبل ان الشاذ يفنى
عنه ومسوء بمنزلته وتبطل احكام البشرية وتنكشف له اذ
ذاك اوطار معروفة كراي العين ويكون سره مع الله تعالى بلا
اثر فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة
السنية فوصل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من
تحف السعادات والاقتراب وهي معاني هذه الالفاظ الـ
السنية التي ذكر المولف لا تعرف الا بالذوق ولذلك التعرفة
تبين معانيها بحيث يفيد المعنى السائرون عطا بسيرهم وحمدوا
عاقبة امرهم وصارت حضرة حبيبهم معششا لقلوبهم و
مستوطنا لهم في ذهابهم وايابهم الى ظلها ياوون اذا ظلتهم
غيوم بنيران هواه وبدا الملامة منه يسكنون حتى
يزعج سواهم عن منعة جنابه وما هنا حصل التحقيق بمقام
البقاء والصحو وهذا هو انتهاء سيرهم بمعنى الصعود
والترقي وقال ايضا رضي الله عنه ان نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين

فلم

فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ
بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن
الله والى الله هذا هو معنى الترقي والنزول وبه يتحقق مقام
البقاء والصحو فاذا نزلوا من سماء ترقيهم الى سماء الحقوق
وهي حقوق الله عليهم مما امرهم به او نهاهم عنه ليقوموا
في ذلك فعلا او تركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ نفوسهم التي
تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك
بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك ان يدخلوا في
ذلك بمراد الله تعالى لا بمراد انفسهم ويجدون الاذن من
الله تعالى بما يشرق في قلوبهم من النور الذي جعله علما على ذلك
وقد ذكر سيدي ابو الحسن في بعض كلامه قال رضي الله عنه ومعنى
الاذن في حق الولي نور ينبسط على القلب يخلقه الله تعالى فيه
وعليه فيمتد ذلك النور على الشيء الذي يريده فيجد ذلك نورا
مع نوره او ظلمة تحت ذلك النور فيشهد ان تاخذ او تمسك
او تترك او تختار او تدبر او تعطي او تمنع او تنظر او تقف او
تقوم او تجلس فهذا باب المباح المراد وجهه بالتخيير فاذا
القول ان ذلك الفعل المباح يحبه الله تعالى فعلم فان فيه نية
صحيحة لفعل يزال عنه حكم المباح وصار مندوبا وان

كذهبت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا تخلوا ان يبوح
عليه لائح الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه ا
المحظور ويكاد ولا تقطع بذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى او
سنة او اجماع او طلاب لمغلوب فلذلك كما لك والشافعي
وغيرهما من العلماء الى التخيير فاحكم على اصل صحيح وان تعكس
الظلمة تشبه غيم لا ينقشع معه القلب ولا يتفرغ معه الا هم
فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بعقلك وراء
رايك بعد ظاهرها هنا خلق كثير ولا تقف احد وان استفتاك
واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت ذا تبا فعن
قريب تأتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام
سيدي ابي الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله الا ان
ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المؤلف بل انفى الا من في ذلك مجملا
كما تراه وتقريره فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا فيها لم
ينزلوا اليها بسوء ادب ولا عجلة وهو ان يستعد وافيها
مع به من انفسهم او يجلبون عليها ثوابا من ربهم وان
نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها شهوة غالبة قاهرة
لهم ولا منفعة يقصدون اليها في دنياهم بل ذ طواع ذلك
بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله واخذين والى الله متو

سلين

244

متوسلين فرحين بالله تعالى اذا الهم في الاشياء واخرجهم
منها واوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية نفوسهم وصاروا
احرار كرماء وقال رضي الله عنه وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا اد
خلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني المدخل
والمخرج الافعال والاخراج وقد عبر بدعائه عن العبارتين عن
السعي بالمذكورين في المدخل هو سعي التي في لله دخول الى الله
عز وجل في حال منقبة عن نية عين والمخرج هو سعي النفس
لانه خروج الى الخليقة لعبادته بالارشاد والهداية في حال نهايته
برتبه ويحققه فيها اذن اخبار امين اي في مقام الغيبة والبقاء
هو معنى صدقية مدخله ومخرجه وانما طلب هذا ليحصل
له بدخوله هذا اعز به نفسه في الغيبة والوقوف مع الحق
في الاد فال يشاهد حول الله تعالى وقوته فتنتفي عنه بذلك
النسبة الى نفسه وفي الاخراج ليستسلم اليه وينقاد اليه
فينتفي عنه بذلك مراعات حظه وقال البغدادي رضي الله عنه
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بي ولا
ينصر علي ينصرني على شهود نفسي ويفنيني عن دائرة حسي
طلب من الله تعالى التوفيق ليستقيم امره وطلب منه القوة

ليكمل ذاته فالنعمة له نعمى املاك ارباب البدايات من اهل الغيب
اذ بذلك تنتفي عليهم عقبات النفس وشهود دواعي الهوى
والحس والنعمة به نعم مقتضاه ان ارباب النهايات من المحققين
لان بذلك تحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية
وكل واحد من القسمين له نعمة على شهود النفس وفناء عن
دائرة الحس واخراج النعمة عليه من السوال او الطلب لان ذلك
كله من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة احكام نفسه والغائه
مع دائرة حسه وقال رضي الله عنه مما كتب الى بعض اخوانه ان
ان كانت عين القلب تنظر ان الله واحد في منته فالشريعة
تقتضي انه لا بد من شكر خليقته اذا وصل الحق تعالى اليك نعمة
على يد انسان سواء كانت دينية او دنيوية فعليك في ذلك
وظيفتان احداهما ان تشهد انعام الله تعالى بذلك فلا ترى
النعمة الا منه وحده ولا ترى من سواه ممن اجراها على يديه
مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعي والبواعث
حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية ان
تشكر من وصلت اليك على يديه بان تدعو له وتثني عليه امتثالا
لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان
اشكر لي ولوالديك وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر
الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن
زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس
لله اشكرهم للناس ومن ان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك واهله
له من اسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو
هذا الشرع وقال ايضا رضي الله عنه وان الناس في ذلك على اقسام
ثلاثة غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه
وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين
ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه
جلي واما استنادا فشركه خفي وهذا ابتداء احوال الناس
بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسائط والعبيد
ففيه ذكر عامة الناس وهم الغافلون في غفلتهم اصحاب
الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم و
قطعوا معهم وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم ولم يجلوا
بين فنظروا الاحسان من المخلوقين فتعلقوا بهم وطمعوا
فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين فجهلوا النعمة واستوجبوا
سخط الله ونقمته ثم في ذلك على قسمين احدهما ان يعتقدوا
في ذلك اعتقادا فكلوا بهم انه منهم ومن قبلهم فهذا هو

الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر
والعياذ بالله والثاني ان يحصل ذلك منهم استنادا واعتقادا
على غير الله وسكونا الى سواه مع سلامة عقدهم وهذا
هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق الايمان ويبعد خلله
في ابواب الشفاعة والعياذ بالله من الشرك جليه وخفيه وقال
ابن عباد رضي الله عنه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك
الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهذا
عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها وهذا سالك
للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار
مطموس الاثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على
فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره وهذه احوال
الخاصة من ارباب الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود
الملك الحق فلم يبق لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا
عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا
جعلا فهم مواجهون بحقيقة الحق ظاهر عليهم سناه وهم
اي نورها وضياؤها سالكون لطريقة الحق قد استولوا على مداها
اي وصلوا الى غايتها ونهايتها الا انهم غرقوا في بحار انوار
التوحيد مطموس عليهم اثار الوسائط والعبودية مغلق

عليهم

٢٤٦

عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم اح-
احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها
وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق عز وجل على فرقهم وهو ثبات وجود
الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على بقائهم و
هو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب احوال الخلق عن نظرهم
الى حضورهم مع الخلق في معان تعود الى العالم كما قرروه استفادة ربنة
وهي العالم كذا ولشيوخ الصوفية المحققين رضي الله عنهم وغير واحد
في كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بعلمها ليتميزوا بعضهم
من بعض فانظرها في مواضعها ولهم الفاظ كثيرة غيرها وكان المؤلف
رحمه الله اراد ان لا يخلو الكتاب عن ذكر شيء منها وقال الشيخ 8/
والكامل منهم عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا
فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا
فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي
كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه وهذه احوال
خاصة الخاصة الذين حازوا رتبة الكمالية وهم قوم شربوا كاس
التوحيد فازداد صحوهم وغابوا فازداد حضورهم قد
ملكوا الاحوال وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو
ولا طمس ولم يحجبهم شيء عن شيء بل وفوا حقوق جميع المراتب

باعطوها ما العطا من نفسه واجبة وذلك لا نستطيع بشكرهم ونجود
بجودهم وهذه هي صفة الصديق رضي الله عنه في القصة التي في
كيف الاذن وقال رضي الله عنه وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله بدلها ابو بكر رضي
الله عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المتسع لاثبات الاثار
وقد قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وقال صلوات الله
عليه وسلامه لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هي في ذلك
المقام مصطلمة عن شهود ما غايبة عن الاثار بعلم الشهود الا
الواحد القهار وهذا مقام يعتبر التعبير وقد اتبع المؤلف
رحمه الله تعالى الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة لتاجيه
للمزيد تنبيه الا قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن
شاهدها اي مقتطعة عن شاهدها وهو حكم يقتضيها سطو
وات عن احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل
الفهم وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت
اشعار بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع اوقاتها بل كان
ذلك في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حال

الخ

رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته كنحو ابيها رضي الله عنهما وذلك معلوم من اخبار
وسيرهما رضي الله عنهما وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلوات
الله عليه وسلامه: وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك
خاص به ام لغيره منه شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين
بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات
الله عليه وسلامه ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته
وانما قلنا ان قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده
لانه قد اشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ
هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف
وهو يدل على هذا المقام ويامر به من سواه بقوله صلوات
الله عليه وسلامه اعبد الله كانك تراه ومحال ان يراه و
يشهد معه سواه فقال له القائل قد تكون قرة العين با
لصلاة لانها فضل من الله وبارزة من منة الله فكيف لا
يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم ان الاية
قد اومت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك
فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا

بالاحسان والتفضل ولسبق من هكذا انتا بالمتفضل كما قال في الاية الاخرا قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الصلاة هي اجل ما يتقرب الله به عباده ويتعبد به النعم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوتي عبد خيرا في الدنيا من ان يوذن له في ركعتين يصليهما ففيهما يحصل لهم الخلوة والانفراد والمجالسة له والانقطاع اليه وفيها ترتفع عن قلوبهم الحجب والاستار وتشرق فيها شموس الانوار وفيها تكون المناجات والمطالبات كما تقدم وهي صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه الصلاة عماد الدين واول فرض الله تعالى على المسلمين اقبال الله على العبد ليقبلوا اليه في صورة العبيد تذللا وتسليما وتبذلا وتخضعا وتخشعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم والثنا والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب والتشهد تملق فاقبال العبد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتفضل والتكرم والتقرب فليبصر من امر الدين اعظم من هذا ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال الحديث واخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على عبده بوجهه ما دام في صلاته وان الله لينصب اليه وجهه ما دام مقبلا عليه

انتهى

٢٤٩

انتهى ولاجل هذه الفوائد كانت الصلاة مفزع ذوي الفاقات والضرورات من ارباب القلوب فيفزعون فيها ويجدون فيها عن كل مرغوب ويتسلون به عن كل محبوب قال الله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا الاية فيوجب اذا ان تكون قرة اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح والانس وكمال النعيم واللذة التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها تختلف باختلاف احوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت مرتبته كانت ملايمته وموافقته في شهود المعبود وكمال التجريد المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه اذ يحال ان يراه ويشهد معه سواه كما قال المؤلف رحمه الله فيه روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير رضي الله عنهم انا كنا نترايا الله بين اعيننا وكان هذا لما خطب اليه عروة بن الزبير ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشي ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذه الحال تكون قرة عينه في الصلاة لا بها لما تضمنته من التجلي التام والشهود الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته وموافقته في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكان قرة عينه بها لا فيها لانه فضل من الله و[illegible] من منة الله تعالى

كما قاله المؤلف رحمه الله ولا شك أن معنى قرة العين في الوجه الأول
حظوة أنصب وأليق لأن صاحبه فارغ عن نفسه باق بربه ومن تلك
في هذا الوجه فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين
ومن زالت سلطنته عنه لم يحتج لأجل دفعه ومراجعته وكانت
طاعته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان
العبد لحديث نفسه ووسوسة عدوه يحصل له غاية النعيم واللذة
ويتحقق في حقه معنى قرة العين فأما في الوجه الآخر فإن صاحبه لم
يفن عن نفسه فضلا عن أن يترقى إلى درجة البقاء بربه فلم ينقطع
عنه حديث النفس ولا وسوسة العدو فيحتاج لا محالة إلى مجاهدة
ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر لذته فيتضعف معنى قرة
العين قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي
الله عنه وقرة العين لا تكون لمجاهد ولا لمريد مع الشيطان عنه
بل هي لمن استراح من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل أشرف المنازل ومرتبته
في المعرفة به أرفع المراتب بحيث لا يتصور أن يشاركه في ذلك
غيره أو يحل به سواه كانت قرة عينه في طاعته على حسب ذلك
من الكمال ذلك ظاهر بلا تردد في المرتبة العليا والخاصية ال
الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل الخاص قوله صلى الله عليه وسلم

وجعلت

وجعلت قرة عيني في الصلاة بعد قوله إنما حبب إلي من الدنيا
الطيب والنساء ولا انفكاك فيه لمعنى من الأمرين ليس على قياس
حب غيره لهما والتلذذ بوجود الخاصية التي فتحققنا منه ذلك
ألا ترى أنه أبيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر أكثر من أربع ولم يمس
لا يجوز لغيره فوضع المجانسة العليا فقط والتشاجر بسبب اجتماع
الضرائر والتنازع الموقع عليه وسلم وجميع ذلك إنما هو للعناية في
الصلة المتقدمة بين جانبيه ولا يحصوذاته عن الطيب والنساء قال
أنس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ألين من كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة مسك قط ولا عنبر
أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا كان حاله في هذين
الأمرين على ما ذكرناه مع أنه لم يذكر فيهما سوى وصف الحب
وهي ملذوذات الدنيا فكيف يكون حاله في الأمر الثالث
مع أنه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة وهو من أعمال
الآخرة ومعنى قوله من الدنيا أي في الدنيا ومن قال إن الغير
نزدا أو نصبا على المعنى الذي يليه فهذا الغير فلقوله وجه
وجواب المؤلف رحمه الله محتمل للقدر من الوجهين والله أعلم بما
أراد منهم أو من غيرهم وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض
إخوانه الناس في ورود المنن على ثلاثة أقسام فرح بالمنن
لا من حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود

٢٤٩

متعلقة بها بعد فقدها من الغنا فليس يصدق عليهم قوله
تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ومن فرح
بالمنن من حيث أنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة
ممن أوصلها يصدق عليه قوله قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ومن فرح بالله
ما اشتغله من المنن ظاهرها متعتها ولا باطن منتهاها بل
شغله النظر إلى الله عما سواه والجمع عليه إلا إياه
يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون تظهر بهذا الفصل بيان ما يجد من أحوال الناس وما يلزم
عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح إذ ذاك لهم وينبغي عليهم
ما يكون من ذلك نتيجة لهم وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف على
ثلاثة أقسام وجعلهم مرتبين وأسفل قسم في غاية الد
ناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث فيها حظا لا[illegible]
نفوسهم ونيل أغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم
فأحوال هؤلاء مذمومة جدا لأنها بهم كالأنعام والبهائم و
هذه أحوال أهل الكفر والبعد والاستدراج والمكر
حسبما أشار إليه في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله
في هذا القسم وهذه الأحوال بعيدة من الشكر منافية له و

قسم

وقسم في غاية الشرف وهو الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم
يلتفتوا إلى ظواهر النعم لأجل ما فيها متعتهم ولذاتهم ولا إلى
بواطنها لكونها دلائل على عناية الله تعالى بهم وتفضله بها
عليهم فأحوال هؤلاء محمودة جدا لأنهم غابوا عن الأغيار
بالعبودية وتحققوا بحقائق الوحدانية كما أشار إليه في الآية
الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وحال
هؤلاء هو الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب
لأن الشاكر للمنعم من حيث حظوظ نفسه فهو يرى الأشياء
كلها نعمة فلا فرق عنده بين وجود وعدم والعطاء
والمنع فما يجري عليهم من التغير والانقلاب لتغير
الأحوال والأسباب ما يجري على غيرهم لبقاء حظهم
ولذلك قال أبو محمد الجريري رضي الله عنه من رأى النعم ولم
ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى المنعم بغيبة النعم
فقد شكر وقال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي
الله عنه كل من لم يشهد المنعم في النعمة كانت النعمة
في حقه استدراجا لأنه يود بها أن يسكن إليها وإذا نعمت
لديه أن ينعم عليها ومنها وجعل له نصيبا والشرك
والجلال النزول فقط من الزيادة والكرامة الذين هم الذين فرحوا
بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم فمن حيث

شهودهم للمنعم ربهم فرحوا وحلقا افرادهم
وكانت احوالهم محمودة وهو شكر منهم لا يعادلهم
وحيث نظرهم لا لنفسهم وبقائهم مع صفوة نعيم
كل سالكهم نصيبا ولذة وانغمسوا فانقهوا بعزاء
الوصفاء عن مراتب الاعلين وان تعلق بالوصفاء الاول
عن احوال الادنين محجوبين باهو هباء من علامة المنعم
منين واعتماهم في الاية الكريمة التي ذكرها ابو طالب
رحمه الله في هذا القسم وفرض الامام ابو حامد الغزالي
رضي الله عنه في كتاب الشكر لمعنى الاقسام الثلاثة
مثالا مثال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم
على انسان بفرس يتصور ان يفرح المنعم عليه
بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من
حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق
غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل
غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء لكان فرحه
به مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه
فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه
بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح
به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا واستحقاره له بالاضافة الى المطلوب
من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج به في خدمة
الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخـــــــــ منه

بخدمته مرتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة بحيث
انه ليس يقنع بان يكون كله في قلب الملك محل من يعطيه فرسا
ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب الا ان لا ينعم الملك
بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة
ايضا الا مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب
دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه
ثلاث درجات فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان نظر
صاحبه مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه
حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرض
فهو بعيد عن معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من
حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام
في المستقبل وهذه هي حال الصالحين الذين يعبدون الله و
يشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام
في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل
من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في
جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي الرتبة ال
العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرة
ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده

عن سبيله لانه ليس يريد النعمة للانعام الذي به كما لم يفرح صاحب
الجوهر لانه جواد ومصطلح من حيث انه جليله في صحبة الملك حتى
تحرم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه
الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضي الله عنه
شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات
القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من حصرت عنده اللذات
في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات و
خلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله
تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العا
دة كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض
المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
فاذا هذا اتم الشكر بنعمة الله عز وجل فان لم تكن اهلا فمعز
دا لم يكن هذا في الدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل
حساب فكم بين من يريد الملك للنعيم ومن يريد النعيم للملك
وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل ليتنعم عليه وبين من
يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام ابي حامد
وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف
رحمه

رحمه الله ولذلك اورده بكماله ههنا وقال ايضا وقد اوحى
الله الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين
٢٥٢ بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا فهذا انما قصد
تنبيههم وعلم ارتفاع مرتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة
الغلام دخل في بعض الايام على رابعة العدوية رضي الله عنهما
وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق
من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي لم
اره فيك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن اولى بهذا
التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم
كنت متوجها الى مكة فبينما انا امشي واذا رايت شيخا يمشي معي
وهو يتبختر فيه ويرقص فتقدمت اليه وقلت له يا شيخ ما
هذا الرقص فقال دع عنك قلت في نعيم عبيد من انا وكيف
لا اتيه اقتلوا وبيت من انا فاصدعا يستفزه الوجد في فضاء وسع
انشد في هذا المعنى شعر
قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا
ويجوز ان يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا اي بذكري
اياهم في الازل حيث لا وجود لهم والاعيان الذي المنسوب

البهم مثل الاجابات والعلل وهو اجل نتيجتهم من ان يكون نعيمهم
في شيء ملتبس وقال ابن عباد رضي الله عنه والله تعالى اسال ان يجعل
حظنا واياك به وبالرضى منه والا يجعلنا من الغافلين
وان يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه هذا دعاء
حسن مهوا فوق معنى ما تقدم وهو بين لا يحتاج الى تنبيه عليه
نسال الله تعالى ان يحققنا بذلك بفضله وقال ابن عباد رضي الله عنه
الهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيرا في فقري
الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي
العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض
له والمنسوب اليه تفضلا على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف
رحمه الله من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما
فقصد رضي الله عنه بهذا الاعتراف بدوام الافتقار وظهور الفا
قة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه عز وجل من الاحتياج
اليه والتعلق به والسؤال والطلب منه في كل حال من احواله كما
قال بعضهم: انك كالبحر في العطاء من محتاج: ولو كان في مفرقي الاكليل
والتاج: وهذا منه دليل على تحققه في مقام العبودية التي
اقتضتها عظمة الربوبية ونفعنا بما اهداه المعاني بين يدي
دعائه ومناجاته في غاية الحسن قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه

٢٥٣

رضي الله عنه ما طلبت من الله شيئا الا وقد قدمت اسائتي
امامي يريد رضي الله عنه حتى لا يطلب من الله شيئا بوصف مستحق
فتول العطا بل لا يكون طلبه ووجود فعله الا بفضله وقال ابو
عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
التضرع اليه في الدعاء الا تقدم اليه اعمالك وصلاتك وصيامك
وقراءتك ثم تدعو على اثره انما التضرع ان تقدم اليه افتقارك
وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو ابلا علقة
ولا سبب فيرفع دعاءك وقال ابو العباس رضي الله عنه تضرعا بذل
العبودية وخلع الاتكال له وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى في وقت الدعاء في شيء يجلبه الا
قال الله لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك وقال
الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك
منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء و
الياس منك في بلاء تلون الاحكام على العباد يقتضي الا
يساكنوا منها الا الشارع يكونون عليها ولا ييأسوا في حال ضراء
تنزل بهم من وجود الراحة والفرج وهذا محض تعلق بالله
تعالى وهو نعت العارفين وقال ايضا الهي مني ما يليق
بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك لوم العبد الذي ركب عليه

بجفنه منه مبارزة مولاه بالعظايم والكبائر وكرم المولى
نعم مقتض به تحقق منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره
ونعتذا الكلام من الخلف وجوه المسؤل الذي عنيته وهو من اداب
تحكى ان رجلا قال لبعض الانبياء عليهم السلام قل لربه لم ابتليته
واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله الى ذلك النبي قل
لتعلم انا انا وانت انت وقال الشيخ رضي الله عنه الهي وصفت
نفسك باللطف والرافة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني
منهما بعد وجود ضعفي اللطف والرافة صفتان له عز وجل
اتصف بهما في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته
وهما مقتضيان لوجود اثارهما فيه لا للاثار بعد وجود ذات
العبد وصفاته وهو امبالغ نعمه عليه وابطال افضاله عليه فكيف
يتصور منه اخذ ذلك منه وقال الشيخ رضي الله عنه الهي ان
ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت
المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي تصور المحاسن
على العبد وهي انواع الطاعات والحسنات والعبادات المحمودات
فضل من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور
المساوي منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والاثام
المذمومات عدل من الله تعالى اذ له ان يفعل بعبده ما يشاء والحجة

لم عليه الا الرب وهو عبد فما حلت العبر لما بجزا
القطع من احسن المناجات وهي مقتضية لوجود اسقاط
وموالات الكافة عليه لما فيها على الثناء على الله تعالى على نعمه
قربه وذكر في صفاته العلية والتعلق منها والاعتراف له بالنعم الظا
هرة والباطنة ولما فيها ايضا من رؤية ضعف النفس والاعتراف
عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والاهانة
وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال اللهم لا لك
شريك فيؤتى ولا وزير فيرشى ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد
وان عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فباثبات حجتك علي وا
نقطاع حجتي لما غفرت لي فسمع الهاتف يقول الفتى
عتيق من النار وقال الشيخ رضي الله عنه الهي كيف تكلني وقد
توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر لي ام كيف اخيب
وانت الحفي بي والوكيل والناصر والحفي اسماء الله عز وجل وهي
مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية والمنعة والشفقة
والغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد
بعد وجودها عنه لما تقدم في اللطف والرافة والشفقة اللغة
التشفع الحفي هو اللطيف والقصد لعبده علمه بد
ما ينفعه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق

قال الله تعالى ... بعباده ثم قال أيضا إلهي أنا أتوسل
إليك بفقري إليك التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به
وأعظم وسائل العبد إلى مولاه تحققه بما توجبه عبوديته
وهو فقره إليه في كل حال من أحواله فلا يرى لنفسه حالة يقتني
بها ثوابا ولا ذخرة يدفع بها عن نفسه عقابا قال أبو
يزيد رضي الله عنه نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوءة من
الخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل أبو حفص
رضي الله عنه بما يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير أن يقدم
به على ربه سوى فقره وقال أيضا رضي الله عنه وكيف أتوسل
إليك بما هو محال أن يصل إليك بين المتوسل به والمتو
سل إليه نسبة تامة ووصلة حقيقية هي التي اقتضت له
وجود التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت
العبد وبين إلهي الذي هو الغني الأكبر وأيضا توسل العبد
بفقره يقتضي شهوده له واعتداده به واعتماده عليه
ورؤية العبد أحواله وسكونه إليها علة خفية والأحوال
المعلولة لا تليق بالحضرة الإلهية ولا توصل إلى الله بمعنى
أنه ما يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل إلا به
من هذا الوجه أيضا وإلى هذا المعنى يشير ما حكي عن
أبي

أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه حين دخل على شيخه أبي محمد
عبد السلام رضي الله عنه فقال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله
تعالى قال ألقاه بفقري فقال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك
لتلقينه بالصنم الأعظم ولا تصح حقيقة الفقر إلا بالغيبة
عن الفقر وإلا كنت غنيا بفقرك فلا إذا وسيلة إلى الله سواه
وقال أيضا رضي الله عنه أم كيف أشكو إليك حالي وهو
لا يخفى عليك شكوى الحال لا تصح إلا لمن يخفى عليه
وهو غير عالم والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقد قال إبراهيم
عليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وقال
أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز إليك
الترجمة بالمقال هي التعبير باللسان عما في الضمير ليقع
بذلك التفهيم للمترجم له والله تعالى هو الذي أنطق اللسان
وأطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت وإليه مآل
أمرها والعبد بمعزل عن ذلك فكيف تنسب له الترجمة
ونسبة ذلك إلى الله تعالى دليل على إحاطة علمه بأحوال العبد
فكيف يصح في حقه معنى الترجمة وقال أيضا رضي الله عنه
أم كيف آمالي وهي قد وفدت إليك إن آمال الوافدين
على الله تعالى لا يخيبها من قبل أنها جاءت إليه ومتعلقة

به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم
فليثق العبد بذلك ولا يجزع على بعض منه وان لم يبتدل وان لم
يطلب وقال ايضا الهي كيف لا احسن احوالي وبك قامت و
اليك من تعرف بالمعرفة ان احواله كلها حسنة لوجود
قيامها بالله ورجوع امرها اليه وبعده كلها انواع من
التعجيب يحجب بها المولف رحمه الله بنفسه من نفسه من
بيه نقوبعد ده وقصوره في احواله الا ولي وقال ايضا
الهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي وما ارحمك بي مع قبيح
فعلي شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب له الذل
والانكسار فيستمسر منه حينئذ الاعتراف لله بقوله
وقال ايضا الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك شهود
المولف رحمه الله قرب الله تعالى منه لما راه من بعد الاشياء
عنه وبعدها له الى ما سيانة من قوله فقد وعقني العوالم
اليك وشهوده لبعده من الله عز وجل من حيث افبية
الطلب له والطلب لشي دليل على فقد الطلب له وبعده
عنه فالمشاهدة الاولى اوجبت له ملازمة باب مولاه
والانقطاع طمعه من كل ما سواه والمشاهدة الثانية
اوجبت له التلطف في سؤال التقرب وادامة الغناء

عن

عن طلب الغريب ومن دعا سيدي العباس المرسي رضي الله عنه
يا قريب انت الغريب وانا البعيد قربك ايسني من غيري
وبعدي منك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحوا
طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز وقال ايضا الهي ما ارافك بي فما
الذي يحجبني عنك الى انه اشد الرحمة ولما شاهد رافة
ربه به غاب بهذا المشهود عن رؤية نفسه وصفاتها
فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه وقال ايضا
الهي علمت باختلاف الاثار وتنقلات الاطوار ان
مرادك مني ان تتعرف الي في كل شي حتى لا اجهلك في شي
قال المولف رحمه الله يقول اختلاف الاثار علي وتنقلات
الاطوار بي من الصحة والمرض والغنا والفقر والعز والذل
والقبض والبسط والفقد والوجد وغيره ذلك من ما هو
مختلفات احوالي التي هي من شونك التي تنزلها بي
علمتها منك انما ذلك بي ان تتعرف الي في كل شي ثم باد
خاطبني حالة فحالة حتى اشاهد وحدانيتك وعظمتك
وجلالك وكمالك بحيث لا يتصور مني جهل بما انا قابل
لمعرفته في جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا او
الزمني حالة واحدة ان تنقيصها التجلي واختارها

٢٥٦

لكانت معرفته ناقصة ومشاهدته قاصرة فإنما أراد أن تتقلب في
جنة معجلة أنواع مختلفة الثمار، وقد استغرقتني مطالعته
من عظيم النوال وشغلني ذلك عن الدعاء والطلب والسؤال وطلب
الكون على ما أن تعقبه من الأحوال وتلك الجنة على نعمك الباطنة
والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم في الدنيا
جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم
يستوحش قيل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال مالك
ابن دينار رضي الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا
أطيب ما فيها قيل وما أطيب ما فيها قال المعرفة ثم
قال أيا من هو ذو الجلال العزة • وضياء وبهجة وسرور •
• وعلى العارفين من بهائه • وعليهم من المحبة نور •
• فهنيئا لمن عرفك يا إلهي • هو والله دهره مسرور •
وقد روي أنه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين
في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها مكتوب إذا أحسنت
كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل
وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله عز وجل أشرب وأظمأ
حتى إذا عرفته رويت بلا شرب قال في التنوير بعد كلام
ذكره وإنما قلنا أن العاقلة زائلة عنك لا محالة فإن مراده

أن

أن يشغلك في الأوقات وتخالف عليك الآثار لينتقي إليك
في كل حالة خاصة تتعرف بها فإن أردت أن يدوم لك على حالة
٢٥٧ واحدة فقد أردت أن يسلك معك غير الكمال وكأنه يقول
لك لا تطلب مني أن أقيمك في حالة واحدة فإنك لا أفعل
ذلك معك أتريد أن تبقى ربوبيتي معطلة الآثار ولا يمكن
أن الشعرك تطع حيث ما أردتك وحيث ما أقمتك
حتى تكون في قال الله سبحانه يسأله من في السموات
والأرض كل يوم هو في شأن فهو يمنع ويعطي ويضع ويرفع
ويقبض ويبسط ويعز ويذل إلى غير ذلك من متعلقات
آثاره فكأنه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدي لا تأسى
على شيء ما دام منا لك ولا تفرح بشيء مولاك ليس لك
فإنه العوض عما سواي وسواي لا يغنيك عني ولا تكن
ممن يعبدني بالعلل فتكون من عبيد الحظوظ فإن العبد
في حال كمال الغنا موصوف وبدوام الافتقار معروف
قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن
أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة خسر الدنيا و
الآخرة لأن طلبه عن الله غيره فما دام له وهو ما طلبه
حتى يكون له ومن عبده مع سواه فهو عبد ما سواه

ومن عبد لاجل وجوده ونعماه فهو عبد جوده ونعماه
لا من احب شيئا فهو عبد ما احب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
تعس عبد الخميصة انتكس واذا شيك فلا انتقش
فالعبد عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى
وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء
وفناء وبقاء الى غير ذلك من مختلفات الاثار وتنقلات
الاغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه الاحسان
كله جزاه الله خيرا وقال المصنف رضي الله عنه الهي كلما
اخرسني لومي انطقني كرمك وكلما ايستني اوصافي
اطمعتني منتك لوم العبد ومخالفته وعصيانه تخرس
لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه
ينطقه بذلك واوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها
طبيعته وجبلته تويسه من حصول الاستفادة على
طريق الحق ومنة الله تعالى التي شملت البر والفاجر
تطمعه بعد ذلك وقال المصنف رضي الله عنه الهي من كانت
محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي
ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه

عبيه

بالهيئة
بحال الجبة ونفاذه للطاعة هو اقامتها على الوجه الا
مور من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها
من فعل واداب وتنشيط الحالة وهي تزيينها وتع
تطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاءها ويكشف ضياءها
وكانه لما جعل هذين الا من بيده انه تحقق بجرحين
ووادي الى ركن يشهد بذلك لما شهد عند الله هدم عليه
ذلك لان مقتضاه ان يفعل ما يشاء ولا يبالي باعمال العا
ملين فكلما شاهد فضله وكرمه افاله من ذلك بان جعل
له من المتعلق به بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض
فسبحان المتفضل المنان وقال المصنف رضي الله عنه الهي
انك تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد
دامت محبة وعزما جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها
وان لم يدم عليها فعلا من وسائله وذلك صحيح وكم من
شخص قد طرد والعبد قبل بكل عنده عزم والا فعل حزم.
وقال ايضا الهي كيف اعزم وانت القاهر وكيف
لا اعزم وانت الامر استبعد من نفسه وقوع العزم
منه وجعل مستند ذلك وجود القهر لا من شهد قهره
بكل عزمه لانه الغالب واستبعد ايضا عدم العزم

وجعل مستندك لشهود الا مولاك من شهد أمره بادر
الى امتثاله وتحرر من غفلته واهماله وقال أيضا رضي الله عنه
إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني
عليك بخدمة توصلني إليك شكا إلى مولاه عز وجل كون
تردده في الآثار وهي الأكوان وأخبر انه يوجب له بعد المزار
وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب
منه ان يختصه في طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من متعلـ
ـقات الآثار بخدمة تخلص فيها عبوديته ويصل منها الى
مولاه من غير تردد ولا تحول وقال أيضا رضي الله عنه **إلهي**
كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر
اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى
يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج
الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآ
ثار هي التي توصل إليك هذا تقسيم لأحوال المستدلين
على ربهم وهم أصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى أهل
المقام الآخر وهم أرباب الشهود والعيان قال أبو بكر
محمد بن علي الكتاني رضي الله عنه وجود العطاء من الحق شهود

الخلق

الخلق بالحق لا الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليل
عليه قال ولكا [illegible] امن ارباب الدليل والبرهان عمومهم
عند أهل الشهود والعيان فقد سوى الحق عند ظهوره من
ان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب
الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعروف له قال الشيخ
أبو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت
المعارف أي كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء
وقد قال أبو يزيد لشيخه ابراهيم يا استاذ فقال له استحي من
الله ان تطلب مع العين أثرا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
شتان بين من يستدل به او يستدل عليه وقال أيضا ره
إلهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا الرقيب هو
الحفيظ جعل الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع أحواله لا يخفى
عليه شيء واستحيا منه وهابه ان يراه على ما يكرهه منه
وقد قيل إذا عصيت مولاك فاعصه بموضع حيث لا يراك
ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى فقد عميت عين
بصيرته فبارز الله بأنواع القبائح والفضائح من غير التفات
ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على غض
بصره قال بعلمه بان رؤية الخالق له تسبق نظره الى تلك المحظورات

وقال الله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن
وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه و
قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه خوفهم بما
عرفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته لما
يسلكونه من فنون أعمالهم والعلم بأنه يراهم يوجب استحيا
ء منه وهذا حال المراقبة والعبد إذا علم بأن مولاه يراه
استحيا منه وترك متابعة هواه والهجوم على ما نهاه
وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان وقال

خسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا

حب الله تعالى لعبده هو رحمته وثناؤه عليه وإحسانه إليه
وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقته أمره وتعظيمه
وهيبته والحب المضاف إلى الكاف في قوله من حبك يحتمل
إضافته إلى الفاعل وإلى المفعول والظاهر كونه مضافا إلى الفاعل
لأنه أبلغ وأمدح لأن محبة الله لعبده أصل محبة العبد له قال
الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن أعطاه الله تعالى من الحب المذكور
نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بغرة العيش ومن حرمه
ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته وفي بعض الكتب

المنزلة

المنزلة على بعض الأنبياء عليهم السلام يا عبدي أنا لك محب
فبحقي عليك كن لي محبا ويحكى عن بعضهم أنه قال اشتريت
مملوكة فسمعتها في شطر الليل وهي تقول اللهم بحبك إياي
إلا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي
إياك فقالت يا سيدي بمحبته إياي أخرجني إلى الإسلام وأيقظني
لعبادته وكثير من عباده نيام وقال زيد بن أسلم رضي الله عنه
إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له
اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال أيضا رضي الله عنه

**إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها
بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى
أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون
السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها إنك على كل شيء قدير.** الآثار التي أمر العبد بالـ
رجوع إليها بعد وصوله إلى حضرة المعرفة وخالص التوحيد
هي المكونات التي يلزمه إذا تلبس بها حظ ويكون له فيها
منفعة وحظ فيسأل الله تعالى أن يرجعه إليها على حالة تكون
مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكـ
مكسو بكسوة الأنوار وهي أنوار اليقين مؤيد بهداية

الاستبصار وهي العلم الراسخ المتين فاذا رجع الى الآثار على هذا
الاسلوب والمعيار ولم يؤثر فيه ولم تأخذه منه لكمال حريته عشى
وكان رجوعه الى مولاه في مثال مركبه مثل دخوله منه في ابتدائه
وسلوكه بحضور الهم عن النظر اليه بغير الاستبصار مرجوع الى
النعمة عن الاعتماد الى الابتداء نوال واحسان ويوخذ نحو هذا المعنى
في قوله فيما نزلوا الى سماء الحقوق والارض الحظوظ الى آخره وقال
اللهم هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك
هذا انطراح منه على مولاه ومبالغة في شكواه والتلطف
في سؤال رضاه وبمثل يرجى اجابة الدعاء واستحقاق جزيل
العطاء وقد قالوا ابواب الملوك لا تقرع الا بالايادي بل بتعبير
المحتاج وقال بعضهم قلت لسهل جوري اعجب في قسوتي
وقد شاورت بلا نار ما شار علي بالصوم ولم تزل القسوة ورني داري
واشار بالسهر ولم تزل فقال الشيخ جوري رضي الله عنه خاطب
احق الخلق بالتزام اذا نام الناس وتضرع وقل الهي في امري
محذ بيدي فجعل وزالت القسوة وقال الشاعر
وما رمت الدخول عليه حتى ... حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها ... وصنت النفس عن قال وقيل
وذل العبد لمولاه غاية العز والفخر فالخ والنور المعرفة

الله

رضي الله عنه ما اعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل
نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه
وقال ايضا رضي الله عنه منك طلب الوصول اليك
العارف فبي الهم فقيل لا يسبق بخواطرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه
ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غيره وقال رضي الله عنه
وبك استدل عليك لا بغيرك لانك انت الظاهر قبل وجود
كل شيء بل بظهورك خفيت المظاهر قيل لبعض العارفين
بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو
القاسم النصراباذي رضي الله عنه لا دليل على الله سواه وانما تطلب
العلم لادب الخدمة وقال ايضا جاهدني بنورك اليك
وهو نور الابصار والبصيرة وقال ايضا واقمني بصدق العبودية
بين يديك حتى اكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك
وقال ايضا اللهم علمني من علمك المخزون اضاف العلم
الى الله تعالى ها هنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم
اللدني الذي اختزنه عنده فلم يوته الا المخصوصين من اوليائه
قال تعالى في شان الخضر وعلمناه من لدنا علما وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا

به لا يذكره إلا أهل العزة بالله فسر العظيم هي أسرار الله تعالى
يدلها الى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة
سنة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص وقال أبو بكر
الواسطي رضي الله عنه في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين
رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم
وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من
مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب
النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة وقال أيضا
ورضني بسر باسمك المصون المطلوب هو صيانته عن
رؤية الأغيار بما يتجلى لقلبه من الأسرار وقال أيضا رضي الله عنه
اللهم حققني بحقائق أهل القرب حقائق أهل القرب هي
الفناء في التوحيد والتحقق بالتجريد فيتكلم في مقام رؤية الأسـ
ـباب وبزوال مطمع يخرجهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي
أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزبه الكبير وافتح لنا من نفحة ربك
قريبا تمحو به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج
لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه
وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء
كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب

التوحيد

شئ

شئ ولا ببعده عني إنك على كل شئ قدير وقال أيضا رضي الله عنه
واسلك بي مسالك أهل الجذب وأهل الجذب هم المجذوبون
ومسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا مشقة
بل يجدون اللذة والحلاوة في أعمالهم وذلك من قبل الله أخرجهم
من أسر نفوسهم وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة
منهم ولا مكابدة وقال أيضا اللهم أغنني بتدبيرك عن
تدبيري واختيارك عن اختياري ووقفني على مراكز
اضطراري المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار
هو الله عز وجل فمن كان له موجود في شئ من ذلك فقد نازع
الله تعالى في ربوبيته واختياره وأن يوقفه الى مراكز اضطراره
ليكون متحققا بصفاته متعلقا بصفات مولاه وقد تقدم
هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي
استعارة حسنة وقال أيضا اللهم أخرجني من ذل النفس
ذل النفس الذي طلب الإخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى
بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت
أغصان ذل إلا على بذر طمع وقال أيضا وطهرني من شكي
ومن شركي قبل حلول رمسي الشك والشرك هما بسبب
وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه

له وصار كلما جانبه حقا نور الايمان والتوحيد عاد الى الله منها
والشك ضيق الصدر عند احساس النفس بامر مكروه يصيبها
فاذا ضاق صدره بسبب ذلك انزعج قلبه واطار به من اجله الهم و
الحزن ولو علم انه منه انما يكون بقدره وهو اليقين فيه يتسع
الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر احتمال
القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر وانبساطه وعند ذلك
يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط
والشك والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن
المسبب ونسيانه تعلق العبد بالشرك ويكون مبدا ذلك
هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحمله
لو حينئذ الهوى فيقع اخذا بالاسباب التي يتوصل بها
الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتكب من اجل ذلك في حبائل
الشرك ولو علم انه منه يفرج وهو نور التوحيد الذي يقذفه
الحق سبحانه في قلبه فيتخلص من ذلك بنفسه ويسكن عن
الشره والحيرة التي اطبقها وكلما قوي نور التوحيد في
قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر ويمتنع عنه الاسباب ويثبت

فيه

فيه اخلاص التوحيد فانه انكشف عن القلب الشك والشرك
تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتاييد
وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود
هل تدري متى اتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من
قلوبهم الشك وقال ايضا وعليك اتوكل فلا تكلني واياك
اسال فلا تخيبني وفي فضلك ارغب فلا تحرمني وفي
جنابك انتسب فلا تبعدني وببابك اقف فلا تطردني
تعلق بالله تعالى في كل مطلب من هذه المطالب واخرج عن الوسائط
بك وان اسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي سال مولاه ان
يحققه له بتطهيره من اضداده ومعاني هذه الكلمات قريب
بعضها من بعض قال ابو الحسن علي بن هند القارسي رضي الله عنه
استعد في الانقطاع في باب سيدك تخال انه ملجا الكل فمن
بارز تلك انا مجاب السادة لا بعدها لا يعد فيه فمن اراد
مقاما وقال ايضا رضي الله عنه الهي تقدس رضاك ان يكون
له علة منك فكيف يكون له علة مني رضى الله تعالى عنه صفة
من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سبقية العلل
والقديم لا يكون مسبوقا بشيء واذا كانت صفته العلية منزهة
عن ان يكون لها علة منه فكيف يكون لها علة من غيره

ويرضى الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه هو سبب أعمال
العاملين حسنها وسيئها رضي عن قوم فاستعملهم باستعمال
أهل الرضا وسخط عن قوم فاستعملهم بأعمال أهل السخط قال
أبو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان
على الأبد بما جريا به في الأزل يظهران الرسمين على المقبولين و
المطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما
بانت المطرودين بظلمتها عليهم فأنى تنفع مع ذلك الألوان
المصفرة والأكمام المقصرة والأقدام المنتفخة وقال أيضا رضي
إلهي أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك
فكيف لا تكون غنيا عني الكلام في الغنى كالكلام في الرضى
وكان المؤلف رحمه الله قصد في مناجاته بهذه الكلمات إلى الا
ستنزال والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله
المدخولة وأحواله المعلولة وذلك من أحسن ما يقصد العبد إلى
وقال أيضا رضي الله عنه إلهي إن القضاء والقدر غلبني
وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرني فكن أنت
النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي وأغنني بفضلك
حتى أستغني بك عن طلبي هذا اعتذار واعتراف والله تعالى
أكرم من أن يرد عذر من اعتذر وأن يخيب من اعترف بذنبه وأقر

به

به لديه تعالى والعبد يتوسل إلى الله تعالى بالاعتذار والحق
سبحانه يقول يا عبدي لو لم أقبل عذرك لما وفقتك إلى الاعتذار ٢٦٤
وقال الكتاني رضي الله عنه لم يبق الله سبحانه لسان المؤمن إلا
لمعذرة إلا لأنه فتح باب المغفرة ولا جرم لما وثق وقوي رجاؤه وجه
طلبه منه النصرة له على أعدائه ولم يقتصر على ذلك بل أضاف إليه
النصرة به لتكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه كما قال الشيخ
أبو الحسن رضي الله عنه واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخا
بينهم وبين أعدائك ولم يقنع بذلك حتى طلب منه أن يغنيه
لما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يوليه من فضله العظيم و
كرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة كما قال أبو الحسن
رضي الله عنه والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك وقال
إلهي أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى
عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب
أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا إلى غيرك أنت المؤنس
لهم حيث أوحشتهم العوالم بسبب أن أشرف العوالم لهم ما
هي عليه من الطاعات والافتقار والفاقة والاضطرار وكل واحد
منها طلب لنفسه كالابن تخلصه من كمال نقصه ووجود جنسه
والله تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده

عكفوا عليهم متوددا اليهم وما يليهم فلما شهدوا هذا كله
مشاهدة يقين ومعاينة باستشهاده اياهم لم يتمالكوا ان احبوه
ووادوا اليه وفوضوا امورهم اليه وجعلوه معتمد انفسهم و
استغنوا به عن ابناء جنسهم فجعلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا
بالحظ العظيم قال ذو النون المصري رضي الله عنه بينما انا اسير
في بعض البوادي لقيتني امراة فقالت لي من انت فقلت رجل غريب
فقالت وهل توجد مع الله احزان الغربة وكتب محمد بن عبد الله
ابن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن انسك بالله
وانقطاعك اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم
اشد استيناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون الناس في
انس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون وقال

وانت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم

لما تولى الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد والمعرفة ابان
لهم علامات ذلك ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات
والادلة التي شرحت صدورهم بانوار الاعتبار والتفكر فلم تجد
قلوبهم شكا ولم تخالجهم ريب والمعالم جمع معلم وكان المولف
رحمه الله تعرض في هذه الكلمات بالطلب الذي يحصل به تستغني
عن الطلب وهو اشراق الانوار في قلبه وازالة الاغيار عن سره و

انباسه

وانباسه له وهجر انقطاعه باله ووحدته الى ربه
لا يسعى الى غيره فيه في مطالبه متضمنة
وقال الانصاري رضي الله عنه **اللهم ماذا وجد من
فقدك وما الذي فقد من وجدك** قد تقدم من غير ما مرة
ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق
انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المولف
رحمه الله تعالى ها هنا وكان هذا امرا بينا فيه وقال ابو علي الروذباري
رضي الله عنه سالني ابو بكر الزقاق رحمه الله لم ترك الفقراء اخذ
البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي عن
العطاء فقال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات ايش
وقع فقال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذ الله فاقتهم
ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجودهم وكان ابو حمزة البغدادي
رضي الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم ان من فقد
اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك بمعنى هو غيرك فلا تسعد
فقري وقال الانصاري رضي الله عنه **اللهم لقد خاب من رضي دونك
بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا** هذا بين وهو
مبني على ما تقدم من الكلام رؤي الشبلي رضي الله عنه في المنام
قيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبرهان على الدعاوى
الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسران الجنة

ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران العقل وفي معنى
ذلك أنشدوا: سدى العيون لغير وجهك باطل وبكاؤها لغير
فقدك ضايع . وقال بعضهم كان عندنا ثلاثة عشر سنة
يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى قعد من رجليه فإذا صلى
العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف
أرادت بك بدلا بل عجبت كيف استأنست بسواك ثم يسكت
إلى المغرب . وقال المؤلف رضي الله عنه إلهي كيف يرجى سواك
وأنت ما قطعت الإحسان وكيف يطلب من غيرك
وأنت ما بدلت عادة الامتنان هذا التعجب ممن كان على
هذا الوصف وهو التعجب من كل عجب والمعنى في ذلك بين يا من
أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه
متملقين استعزازهم بعزته تعود في همهم عن تعلقهم
بغير الله تعالى الملق هو التلطف في التودد وترتبه على ذوقهم
لحلاوة مؤانسته بين ويا من ألبس أولياءه ملابس
هيبته فقاموا بعزته مستعزين استعزازهم بعزته تعود
رفع همهم عن تعلقهم بغير الله تعالى تبعدا وتكبرا عليهم
وثقة منهم به وذلك مما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم
يبقوا بواطنهم غيره ولم تناله فلم يرجع إلى سواه ولذلك قالوا

المعرفة

المعرفة احقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره
وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين
وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بان يكون لك
معك بين يديك . وقال المؤلف رضي الله عنه إلهي أنت الذاكر
من قبل ذكر الذاكرين وأنت البادي بالإحسان من قبل توجه
العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين
وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين
الحق تعالى له الأولية في هذه كلها كما ذكر قال أبو يزيد رضي الله عنه
غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء توهمت أني أذكره
وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق
ذكري ومعرفته قبل معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي
أولا حتى طلبته فإذا كانت له الأولية في هذه كلها لم يبق للعبد
وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه ومما يوافق ما ذكره
المؤلف ما حكي عن الجنيد رضي الله عنه في مناجاته يا ذاكر الذاكرين
بما به ذكروه ويا بادي العارفين بما به عرفوه ويا موفق
العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك
ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك واستنقذ من عبيدك ما
في قلوبهم لغيرك وأنالته لشرفه وعدوه مع ذلك

مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية في إكرامه له وتفضله عليه
قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ليثبت لك معه نسبته
استقرض منك ما اشترى ثم وعدك عليه من العوض أضعافا بين
في ذلك أن نعمه وعطاياه تعم تارة أن تكون منسوبة بالعلل
قال ابن عباد رضي الله عنه إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك
واجذبني بمنتك حتى أقبل إليك لا وصول للعبد إلى وصوله
إلى الله تعالى إلا برحمته فلذلك طلب منه أن يطلبه بها ولا يتأتى
له الإقبال عليه إلا برحمته ومنته ذكرناها قبل وقال أيضا رضي
إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كما
أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك الخوف والرجاء حالان
يتعلقان على قلب العبد وعند العامة استواؤهما هو المطلوب
سواء العبد في طاعة أو معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان
وجناح الطائر وهذا أمر على مشاهدتهم العارفين والأولياء رض
ذلك لأن مشاهدتهم عندهم إنما هو شهود الصفات المخوفة
والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها وكذلك مشاهدتهم
تبعا لا تفاوت فيها فإن وقع فيها تفاوت كانت مشاهدتهم
ناقصة وأحواله معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع
الإتيان بأعمال البر بالطاعة وغلبت الرجاء مع ارتكابه لطمه

المعصية

المعصية كما وصفه المؤلف رحمه الله بنفسه قال ابن عباد ر
ضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع
الأعمال لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها
وأنا بالآفات معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك
وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف
رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود
الزلل ومن دعاء سيدي ابن عباد رضي الله عنه إلهي معصيتك
نادتني بالطاعة إليك وطاعتك نادتني بالمعصية فمع أيهما
في إليك أرجوك إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع
في خوفا وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع في رجاء
فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك أم كيف أجهل فضلك
مع عصياني ومن كلام ابن عباد رضي الله عنه العامة إذا
خوفوا خافوا وإذا رجوا رجوا والخاصة إن خوفوا رجوا ومتى
رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا
أن العامة واقفون مع ظواهر الأمر فإذا خوفوا خافوا وليس
لهم نفوذ إلى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لأهل الله وأهل
الله إذا خافوا رجوا علما منهم أن ما وراء خوفهم وما به خافوا
أوصاف العبد إلى الله لا ينبغي أن يقنطهم من رحمته ولأن يبسط

من منته فاحتالوا على ادخاب كرمه علما منهم انه ساق فوجهم الا
ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجعوا خائفين غيبه [illegible]
الذي هو من وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما الطمع من الرجاء
اختيار العفو لهم بل تقف مع كذا [illegible] الرجاء ان تنفعد الى خوف ما
بكن بل لذلك المستغرق الرجاء خوفهم وقال المصنف رضي الله عنه ١٨
اللهي قد دفعتني العوالم اليك اما دفعتني العوالم اليه
لما تعلقته من الحالات الموحشة لما تقدم ولقد اوقعتني
[illegible] وحشته مع [illegible] مع غير الله وانتشوقه ما زع
العين [illegible] تعلمت المنكر حسن مد عنها عيشي.
وقال المصنف رضي الله عنه وندا وقفني علم بكرمك عليك
اذ الكريم لا [illegible] امال المومليين ولا تتوجه الى سواه طلبات
[illegible] وقال المصنف رضي الله عنه الهي كيف اخيب وانت املي
اي كيف اخيب عليك منكلي لما تعلق بالله وتوكل عليه [illegible]
استبعد ان يخيب [illegible] وقال المصنف
الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف لا استعز
واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر وانت الذي في الفقر
اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني
[illegible] مشاهدته

ما ذو جمعهما والذلة المنسوبة فيهما هي ذلة الخلقة والعبودية
والنسبة التي اشار اليها هي نسبة الخصوصية والافتقار بمعنى
الذلة واما منتفتان مثل المعزة كما قال بعضهم ان التاذ لكل ذي
ذل عز [illegible] وذكرت [illegible] عز كل ذي عز فانا عزه على
عزهم وقال الشيخ رضي الله عنه لقد ذللت حتى عز في ذلتي
[illegible] حتى ما العز الا في [illegible] وقال
الهي انت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما
جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل شيء فرا
يتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر في كل شيء
هذا كله قد تقدم معناه وبعضه في كلام المؤلف رحمه الله
على غاية الكمال والتمام والحاصل منه ان الظهور التام لله
تعالى بكل اعتبار ثم عشر هنا [illegible]
تقدم [illegible] يا من استوى برحمانيته على عرشه
فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم
غيبا في عرشه كانه اشار بهذا المعنى الى قوله تعالى
[illegible] على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش
الرحمن برحمانية الله تعالى لكونه رحمانا والرحمن اسم الله
تعالى المقتضي وجود الموجود وهو مشتق من الرحمة

والرحمة هاهنا هي الرحمة العامة التي وسعت كل شيء كما
وسع علمه كل شيء في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ولذلك دخل تحت مقتضى
اسمه الرحمن جميع اسمائه تعالى الاحدية ويعمهم من معنى
الاستواء القهر والغلبة ومقتضاها في حق الله تعالى ان لا
يكون لغير الله وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره في
ولاجل هذا لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه
الذي العوالم كلها في طيه فلا ظهور اذا كان العرش في طيه
الرحمانية منه وما فيها والعوالم كلها غيب في العرش لانه
في طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور
لله عز وجل ثم قال رضي الله عنه اللهم محقت الاغيار
بالآثار كما بين العوالم والعرش ومحوت الاغيار
بمحيطات افلاك الانوار كما بين الامر في دوران رحمانية
ومحيطات افلاك الانوار هي اسماء الله تعالى الحسنى
والله تعالى اعلم وقال ايضا يا من احتجب في سرادقات
عزه عن ان تدركه الابصار عزه الله اقتضت كون كل
سواه محتجب عن رؤيته الله تعالى فان العزيز معناه المنيع
الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه
وقيل

وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره ولا
يسمو الى صمديته ذهن ومضى الى تصويره وقيل العزيز
من ضلت العقول في بحار عظمته وحارت الالباب في ادراك
نعته وكلت الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف
جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وذكر المراد فلان مضافا الى
غيره واحتجابه فيها مجاز حسن وقال ايضا رضي الله عنه
يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار كمال بهائه
هو محاسن صفاته واسمائه في ظهور ذلك وتجليه فتحقق
تحققت عظمته اسرار العارفين قال ايضا رضي الله عنه
كيف تخفى وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت
الرقيب الحاضر والله الموفق وبه استعين هذا
كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه غير ما مر من كلام
المؤلف رحمه الله وقد نجز والحمد لله ما اردناه وبلغنا
الغرض الذي قصدناه ولا حول ولا قوة في ذلك الا بالله
وبعد ذلك وينبغي ما عندي في مسائل الكتاب والله تعالى
الهادي الى الصواب وقد تقدم اول هذا التنبيه انا لم
افرد الا هذا المعنى ولم نلتزم كون ما ذكرناه فيه صحيح

Copyright © King Saud University

المعنى حتى يحتاج الى نصب الادلة والبراهين على ما ادعيناه
فيه وانما سقناه ذلك على سبيل الحكاية لمذهب والموافق
والمخالف له فله ذلك ان يصححه او يبطله ان اراد ولو وقع فيه
من نوع الاستدلال على مطلب من المطالب فانما ذلك
متبرع بارجح ذلك لا لدليل يدعو المطلوب وان ينطق
تبيين ببطلانه بطلان المدلول وقد بقي المذهب فلا
للتصحيح او الابطال من غير ان يتوجه على مطالبة
بذلك والذي حملني على سلوكي هذا السبيل ما فيه من
وجدان السلامة من الخطر الذي يتعرض له من يتكلم
على طريق التصوف بما لا يخفى له فيه ويدعي صحة ما ينكره
بعقله ويجهله وينسب ذلك الى القوم ولعل نشاء من
ذلك لا يخفى عنهم فيكون بذلك معتبرا بالكذب عليهم ثم
فيه من سوء الادب معهم والتقحم بين ايديهم ما لا
يخفى له شيء وعند ذلك يكون الخزي والندم وذهاب
الحس والحركة اوانه واحد عافية تخلصه بذلك من
شر لسانه وبنانه في ما قصد ناله من ذلك لا يمنع من
حصول الفائدة لمن اراد الله تعالى ومقصدها له فعلى العبد
ان يعمل على خلاص نفسه ولا بد له من انتفاع من نفعه غيره

وقد

من قبل رجال الناس على انه لا نزر ذلك ونحن نرغب الى من وقع
في هذا التاليف وهي لا فيه خطا او تحريفا ان يصلحه
ما العلماء محسنا وان يستعين بالاعتذار عند الله بعفو التلافي
وان ظن لنا ان يضع في ذلك الاتلاف تضمن نسبيلا
تعرضا من البعض المذاهب الى نصي وما الى ان او
وقع مضى ونحن نستغفر الله تعالى مما يعلمه منا من التعدي والجرأة
على التعدي منا من بيان كلام الاولياء والراسخون في العلماء
وتعدي عبارتهم واسرار رايهم من غير اطلاع منا على كنههم
لا بصيرة فيه ونستغفر الله تعالى مما اقر منا عليهم والجهل
ستره واعلان ما استروه ونستغفره ايضا مما وقع منا
فيهم من ذكر احوال الاولياء ومقاماتهم ونبي بحثنا على سلوك
سبيلهم ونعلم مع ذلك انا مع الاستنان جميع ذلك وعدم اختصاصنا
بها ... مما انهوا عليه
وكشفه سرا من نعم انواع الفضائل والمعارف التي
نعلمه منا ولا نعلمه او نعلمها ولا نستحي نفوسنا ...
منها والقصور عنها اعتبارا ما له واستهانة
... ونعلم ونعمل وقعا ان اعلينا نتو
... اعمالنا كل هوية حتى يغلب علينا الحزن ... سبيل
... اوانهم فيندامعهم